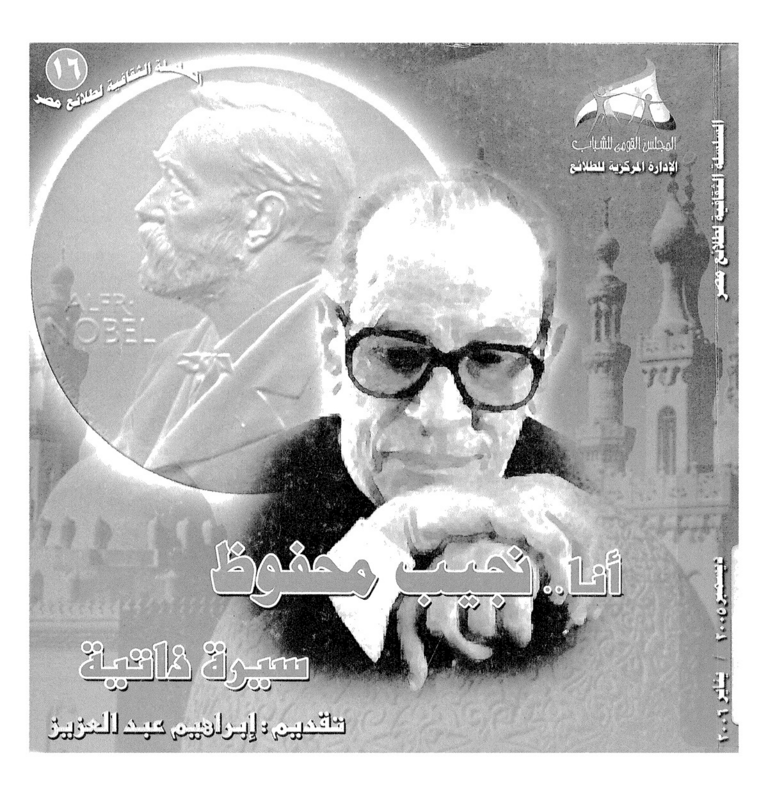


١٦
الثقافية لطلائع مصر
المجلس القومي للشباب
الإدارة المركزية للطلائع
السلسلة الثقافية لطلائع مصر
أنا.. نجيب محفوظ
سيرة ذاتية
تقديم: إبراهيم عبد العزيز
ديسمبر ٢٠٠٥ / يناير ٢٠٠٦





المجلس القومى للشباب

السلسلة الثقافية لطلائع مصر
١٦-١٧-١٨
ديسمبر ٢٠٠٥ / يناير ٢٠٠٦

أنا نجيب محفوظ

سيرة ذاتية

تقديم
إبراهيم عبد العزيز



السيدة الفاضلة/ سوزان مبارك
راعية الطفولة فى مصر

تحية وتقدير



إيمانا بأهمية الارتقاء بطلائع مصر ،جيل المستقبل، يواصل المجلس القومي للشباب إصدار السلسلة الثقافية للطلائع وذلك لإتاحة الفرصة لملايين النشء على أرض الوطن، للقراءة والتعرف على تراث بلدهم وأيضا الانفتاح على الثقافات العالمية، وتعميق مفاهيم المعرفة والإطلاع، فالكتاب خير سفير، والقراءة غذاء للروح والعقل، و تسهم في صنع وتشكيل الثقافات باعتبار الكتاب مصدر المعرفة الأول وخير جليس للإنسـان مهما تعددت مصادر المعرفة في ظل عصر المعلومات ، حيث تتضمن السلسلة موضوعات ثقافية وسياسية وعلمية من إبداعات الطلائع أنفسهم فضلا عن الاستعانة ببعض الأساتذة المتخصصين لإعداد مادة علمية للموضوعات المتعلقة بالنشء بهدف الارتقاء والنهوض بعقولهم ومداركهم للتحليق في الآفاق العالمية ، ومواكبة التطورات من حولنا محليا وإقليميا وعالميا ،حتى لا يعيش أبناؤنا في معزل عن هذه التطورات المتلاحقة .

ويسعدنا تقديم هذا الكتاب للطلائع لتعريفهم بسير الرواد في المجالات المختلفة كمنارات حضارية للمستقبل، وذلك لبناء جيل من المبدعين الذين يرفعون اسم مصر عاليا. ويقدم لنا هذا الإصدار رائد الرواية العربية نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل للآداب ومرآة عصره والذي نفخر دائما بتكريمه عالميا لأنه تكريم للأدب العربي .

وباسم طلائع مصر نعرب عن تقديرنا للدور الحيوي الذي تقوم به السيدة الفاضلة/ ســوزان مبارك في رفع شـــعار القراءة للجميع. ونشر الثقافة بين أبناء مصر في كل مكان .

د.محمد صفى الدين خربوش

رئيس المجلس القومى للشباب

المجلس القومى للشباب
الإدارة المركزية للطلائع
السلسلة الثقافية لطلائع مصر

رئيس مجلس الإدارة
د. محمد صفى الدين خربوش

رئيس التحرير
د. محمد أبو الخيـــر

هيئة الإشراف
محمد الغمرى
إبراهيم عبد السلام - عبد الرازق غندور

لوحات
أحمد شربى

المراسلات
وزارة الشباب
الإدارة المركزية للطلائع
شارع ٢٦ يوليو، ميدان سفنكس
تليفون وفاكس: ٣٤٦٧٣٦٧

tmisr@alshabab.gov.eg
www.pioneersegypt.com

التجهيزات الفنية والطباعة
الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
(المطبعة الأمنية)

إشـــــراقــــة



فى ظل الرؤية الجديدة للمجلس القومى للشباب، وفى ظل عالمنا المعاصر وما به من تعددية ثقافية وثورة تكنولوجية تحتم علينا أن نضع رؤى جديدة لتحديات المستقبل.

وانطلاقاً من الإستراتيجية العـامة للإدارة المركزية للطلائع التى تؤكـد على الكشف المبكر عن المواهب (من ٦ – ١٨ سنة) فى مجـالات النشاط المختلفـة وصقلهـا ورعايتهـا لهذا نعمل من خلال الشعب الفنيـة والمنتديات الثقافية، وأندية المبتكرين، وأندية القرن الحادى والعشرون، وجماعات البيئـة برعـاية أبنـاء هذا الوطن من الطلائع الموهوبين والمبدعين.

وهذا الإصدار عن الأديب العالمى نجيب محفوظ كرائد من رواد الأدب ومؤسس للرواية العربية والتى وصل بها إلى العالمية يعطى الطلائع والنشء القدوة لفتح آفاق جديدة للوعى الفنى والثقافى لجيل المستقبل.

تمنيـاتى أن تكون هذه السلسلة الثقافية منارة فى طريق الإبداع، وأيضاً للتواصل بين الأجيال، وفتح لغة حوار مع الثقافة العالمية، لتقديم رؤى جديدة مستنيرة لمصرنا الحبيبة.

د. محمد أبو الخـير
وكيل الوزارة
رئيس الإدارة المركزية للطلائع
www.dr-abouelkhir.com

الفهـــرس

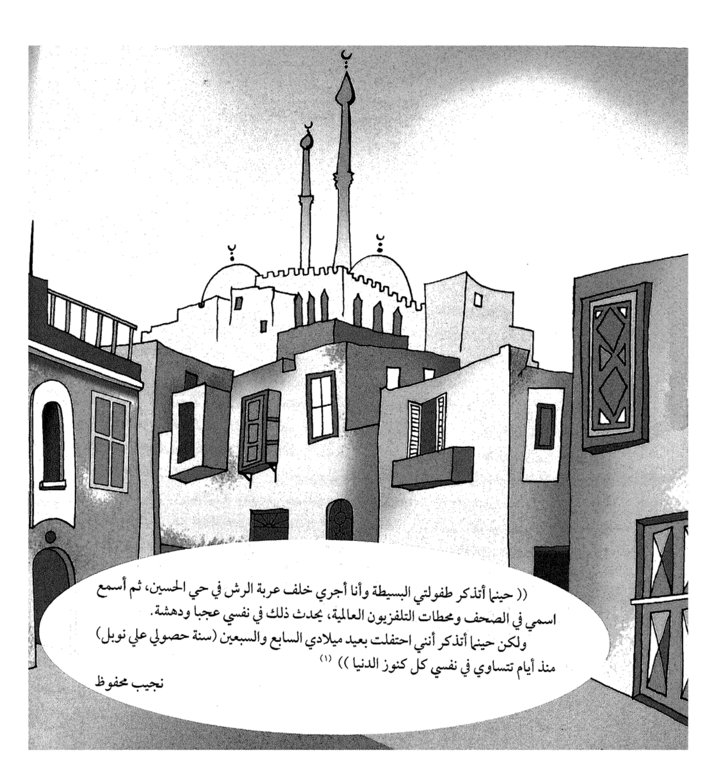
أنا نجيب محفوظ

دعــوة توفيق الحكيم: عــيد ميلاد نجيب محفوظ عيد للرواية العربية
(مقــال لم ينشــر)



من حـظ الروايـة أنها وجدت روائياً موهوباً كرس حياته كلها لها، فلم يشرك بالرواية أى نوع آخر ، إلى أن جعل الروايـة هذا البناء الشامخ. ولذلك إذا ذكرت الرواية ذكر نجيب محفوظ، وأقترح أن يكون للروايـة عـيد، وعيد الروايـة هو عيد ميلاد نجيب محفوظ.أما تاريخ الرواية العربيـة فأقول ما أعرفه وهـو: المتعارف عليه فى المحيط الأدبى هو أن الرواية الأولى فى الأدب العربي هي "زينب" للدكتور هيكل .. وقد كتبها بعد عودته من فرنسـا وأشتغل بالمحاماة ولذلك لم يجرؤ على وضع اسمه عليها لعدم اعتراف المجتمع الأدبي العربى فى ذلك الوقت بالروايـة ولم يجد ذلك مشرفاً له وهو المحامى الشاب فى أولى خطواته، فنشرها باسـم فلاح مصرى، وكان ذلك فيما يظهر حوالى ١٩١٤، ولذلك لم يشعر بها أحد، وكان الذى نعرفه ونشعر به هو كتاب "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي الصغير ابن أديب كبير معروف فى ذلك الوقت هو "المويلحي الكبير"، ومع ذلك عندما ظهر "حديث عيسى بن هشام" لإبنه، لامـه شيوخ الأدب والأزهر فى ذلك الوقت لأنه أرسل إبنه إلى فرنسـا وعاد ليكتب هذا الشيء الذى لا يصح والخارج عن المألوف فى الأدب العربي، مع أن المويلحي لم يخرج كثيراً عن الأسـلوب العربي القديم الذي يكاد يقترب من أسلوب "الحريري" فى المقامات .على أنى أذكر فى ذلك الوقت وكنت قد بدأت أقرأ الروايات أنى قرأت روايات مصرية لكتاب مصريين أكثرهـم من شباب المحامين، ولا أذكر الأسـماء، لأنها لم تستمر ولم تشتهر.كل ما أعرف هو أن بعض الروايات المصرية قد كتبت ونشرت قبل "زينب" لهيكـل دون أن أعرف لها أسـماء، ولكن المعـول عليه فى الأدب ليس هو السبق التاريخي فقط، بل أيضاً السبق الأدبي الذى يمكن أن يتخذ فى تاريخ الآداب مدخلاً لنوع جديد يدخل فيه اللاحقون. ولذلك عندما قامت ثورة ١٩١٩ (مصر للمصريين) وظهرت بوادر نهضـة أدبيـة تقوم على تصوير حياتنا المصرية، وبدأ الاهتمام بالقوالب الأدبيـة التى تصور المجتمع وأفكاره ، تشجع الدكتور هيكل وأعلن أنه سبق أن ألف روايـة فى هذا المعنى بعد عودته من فرنسا ، ولينشر من جديد روايته "زينب" فنشط

زملاؤه إلى هذا الاتجاه فى الروايـة فى إطـار تلك النهضـة التى سميت "عصر التنــوير"، وظهرت "زينب" وكانت قبل ١٩١٩ مجهولة بغير إسم المؤلف ولم يعترف بها ، واعتبرت غير موجودة بالفعل أو يسمع عنها فى الأدب ، ولم يشعر بها أحد، ثم ظهرت بشخصية حقيقية لمؤلف معروف باسمه الحقيقى سنة ١٩٢٤، ثم ظهرت "الأيــــام" لطه حسين ١٩٢٥، ثم "إبراهيم الكاتب" للمازنى ١٩٢٦، ثم "عودة الروح" لتوفيق الحكيم ١٩٢٧، ثم "سارة" للعقـاد ١٩٣٤. وهذا هو الرعيل الأول للرواية المصرية العربيـة .أما البحث عن البدايـة الحقيقية للرواية أو أى عمل فنى على أساس تاريخى ، فهو ما لا يؤخذ به عادة ، لأن البداية التاريخية على الرغم من صعوبة معرفتها، فإنها لا تدل على شيء ثابت، لأن البدايات فى الأنواع عادة تكون محاولات لمجهولين لم تؤثر فى شيء لأنه لم يشعر بها أحد، ولم تستقر لهم أسـماء فى ذاكرة التاريخ الأدبي أو الفني، ولذلك المعول عليه هو البدايـة المنسوبة إلى شخصيه بالذات أدبية أو فنية عرفت فى عصرها وفتحت الباب لرعيل لاحـق.وعلى هذا الأساس اعتبرنا (افتراضياً) "زينب" للدكتور هيكل هى البدايـة ومعه مجموعة قريبة منه فى التاريخ الأدبى يمكن أن نعتبرهـا المجموعة الأولى الرائدة لهذا النوع من الأدب والفن، ودخلت هذه المجموعة الأولى برواياتها الخمس فى إطـار ما سـمى بعصر التنوير عـقب ثـورة ١٩١٩ وشـعار مصر للمصريين.هـؤلاء الخمسـة ينسب إليهم فتح شارع الروايـة ولكنه كان شارعاً شـبه مقفر مهمل ليس فيه غير تلك البيوت الخمسة الأولى، ولم يكن قصدهم الروايـة نفسها، ولكن كان المقصود إدخال "نوع من التعبير الأدبي فى الأدب العربي الحديث ، لأن هدف عصر التنوير الذى بدأ بعد ثورة ١٩١٩ هو وضع كل نشاط مادى ومعنوي على أساس واضح ثابت، فكان فى الاقتصاد: طلعت حرب – بنك مصر ، وفى الفكر والأدب: البحث فى الإسلام على منهج حديث (مصطفى عبد الرازق)، والبحث الأدبي الجامعي (طه حسين)، والفكر العالمي (العقاد)، ثم الفن كأدب وفكر (توفيق الحكيم)، وهذا هو سـر استقبال "أهل الكهف" وضم صاحبها إلى عصر التنوير ممثلاً للناحية الفنية. ولذلك لم يكن اهتمام عصر التنوير بأهل الكهف وعودة الروح، باعتبارها مجرد مسرحية أو روايـة، بل لأنها تدخل فى إطـار أهداف عصر التنوير وهى: العلاقة بالأدب والفكر والربط بالتراث، فكانت "أهل الكهف" مرتبطـة بالقرآن، و "عودة الروح" بمصر القديمة (فى استلهاماتها).أما الروايـة ذاتها والتخصص فيها فقد جـاء روائى شاب موهوب كرس حياته للرواية وحدها، فلا شـعر ولا مسرحية ولا سيرة ولا مشاركة مع نوع آخر من أنواع الكتابة مثل بقية الرعيل الأول الذى كانت مشاركاته مع أنواع أخرى مع الرواية تمثل الأدب العربى كله.هـذا الروائي الموهوب المخلص للروايـة وحدهـا هو نجيب محفوظ.دخل الشارع وإذا به بعد قليل قد شيد فيه العمارات الشاهقة ، ونظم الأرصفة ، ووسع الشارع ووضع المصابيح .. وتبعته أجيال نشيطة مخلصـة ، فإذا شارع الروايـة قد أصبح من أهم شوارع الأدب اليوم بفضل جهـوده التى قصرها على الروايـة وحـدها.


((حينما أتذكر طفولتي البسيطة وأنا أجري خلف عربة الرش في حي الحسين، ثم أسمع
اسمي في الصحف ومحطات التلفزيون العالمية، يحدث ذلك في نفسي عجبا ودهشة.
ولكن حينما أتذكر أنني احتفلت بعيد ميلادي السابع والسبعين (سنة حصولي علي نوبل)
منذ أيام تتساوي في نفسي كل كنوز الدنيا)) (١)
نجيب محفوظ

تقـــديـــم

نستطيع أن نؤكد يقينا أن أستاذنا نجيب محفوظ الذي وصل بأدبنا العربي إلي العالمية بحصوله علي جائزة نوبل بعد حرمان وصل بنا إلي حافة اليأس والإحباط، أنه كتب سيرته الذاتية بخطه وقلمه شعراً ونثراً وأنه قد تخلص منها لأسباب مقنعة له، وإن لم تكن مقنعة لنا لأننا افتقدنا سيرة أديب (كان إنتاجه يعني نقطة انطلاقة عملاقة للرواية كفن أدبي، ونحو تطوير لغة الأدب في الدوائر الثقافية للغة العربية، غير أن المدى كان أعظم من ذلك لأن أعماله تتحدث إلينا جميعاً - كما جاء في حيثيات منح الجائزة - أما متي كتب نجيب محفوظ سيرته الذاتية فإنه يذكر لنا في حديثه الهام مع الناقد الأدبي فؤاد دواره (حين قرأت الأيام لطه حسين، ألفت كراسة - أو كتابا كما كنت أسميها وقتذاك - أسميتها الأعوام، رويت فيها قصة حياتي علي طريقة طه حسين، وأذكر أنى فى هذه الفترة كتبت الشعر (...) فى الغزل العفيف).

وإذا علمنا أن نجيب محفوظ قد تزوج عام ١٩٥٤، فإنه يمكننا القول علي سبيل الاستنتاج أنه ظل يكتب يومياته حتى قبل زواجه وهو ما يعني أن مذكراته قد غطت جزءاً كبيراً من حياته حتى مطلع الأربعينيات من عمره.

ولم يكن الشعر واليوميات هي فقط ما سجل فيها أديبنا الكبير سيرته الذاتية، بل إنه يعترف أيضا لفؤاد دواره في حديثه المشار إليه (ألفت كراسة أخري وضعت فيها فلسفتي في الحياة والكون والخالق) وحين يسأله دواره عن احتفاظه بكراسة (الأعوام) يجيبه ويزده (نعم، أعتقد أن الشعر والكراسة موجودان وإني احتاج إلي نبش كثير حتى أعثر عليهما) ولم يتابعه الناقد الحصيف لحثه علي (النبش) وإن لم يكن مرجحاً في حالة العثور عليها أن يطلع عليها أحد أو ينشرها وإن كان قد اعترف أنه لا يحتفظ بأوراقه الخاصة ولا حتى بمسودات رواياته وإنما يتخلص منها بطريقته المعتادة فيقول «كنت أكتب وأمزق طيلة حياتي، كنت أتعمد التمزيق والتقطيع، كانت هناك أشياء لا يجب أن تترك في الورق، أشياء لا تقال كثيرة، نعم قد يكون فيها بعض الحقيقة، وبها بعض حقوق القاريء والوطن ربما لكني لم أؤثر أن أحتفظ بشيء مما أكتبه قط (...)، أنا أكبر مقطعاتي لم أكن أتحمل أن أحتفظ بشيء عندي بعد أن أقوم بتبييض العمل وبمجرد أن أكتبه علي الماكينة وأبعثه إلي المطبعة كنت أحن إلي التمزيق والإبادة، هكذا هو أنا، كنت أريد أن يري القاريء مني ما أريد أن أقوله أنا له.[2]

وعندما حاولت بالإلحاح مع نجيب محفوظ أن أعرف منه مصير الشعر والأعوام أجابني بعصبيه «حرقتها» وكأنه أراد أن يغلق باب السؤال تخلصا من إلحاح لم يحتمله وهو يمضي في أعوام عمره التسعين بل إنني ذات مرة

سألته سؤالاً شخصياً فلم يجبني حتى جاءني تلميذه ومنقذه من الطعنة الغادرة د. فتحي هاشم ليسر لي في أذني: الأستاذ يطلب منك ألا تسأله أسئلة شخصية !

وهكذا بمضي العمر لم يكن نجيب محفوظ يحب أن يتحدث أو يحدثه أحد عن حياته الشخصية وإن كان يرحب بالحديث في حياته الأدبية وما يتعلق بها من قضايا الأدب والثقافة، وإن كان الحديث في الأمور السياسية هو الأقرب إلي قلبه كما لمست حينما كنت أقرأ عليه بعض الأخبار الطريفة التي ألتقطها من الصحف، فوجدته يسألني: وإيه أخبار البلد؟ يقصد مصر فهو يسعد بكل خبر يدل علي نهضتها وتقدمها وراحة مواطنيها ويشعر بالتعاسة والنكد حسب تعبيره لكل خبر يدل علي التأخر وخلافات ساكني مصر كما حدث عندما تداعت إلي مسامعه أخبار عن فتنة طائفية فظل مزاجه متعكراً وعبر عن مشاعره في (وجهة نظر) وهي مرجع هام في سيرته الذاتية التي يمليها علي الأديب محمد سلماوي بالأهرام مستدعياً ذكرياته التي تدل علي وحدة الوطن وتضامن مواطنيه باعتبار أن الدين لله والوطن للجميع.

لذلك لم يعد صدر الأستاذ يتسع وهو في خريف العمر لأي حديث شخصي يتعلق بسيرته الذاتية وإن اتسع طولاً وعرضاً وعمقاً لكل حديث يتعلق بهموم الوطن وآماله لذلك يقول «بلغت أرذل العمر واهتمامي بالحياة اليومية والسياسية لا يضعف بتقدم العمر»[٣] لهذا عندما أردت الاحتفال بعيد زواجه الواحد والخمسين علي صفحات مجلة نصف الدنيا المفضلة لديه والتي ينشر بها أحدث إبداعاته (أحلام فترة النقاهة) بادرني قائلا: ما الذي فعلته؟ مستنكراً الحديث عن خصوصياته، ولما قال له أحد الحاضرين من الحرافيش: أليس ما نشر معلومات صحيحة؟ فقال: صحيحة ولكنها قديمة، وحينما نشرت الحلقة الثانية إحتفالاً بعيد زواجه طلب مني الاكتفاء بما نشرته، ولما سألته أيضايقه أيضا أن أتحدث عن حياته الشخصية وسيرته الذاتية في كتاب؟ رحب بذلك ربما لأن جمهور الكتاب أقل بكثير من جمهور الصحيفة السيارة ولهذا فضل توفيق الحكيم نشر سيرته الذاتية (سجن العمر) في كتاب علي ألا ينشره الأهرام رغم إغراء هيكل له بآلاف الجنيهات. ولذلك اتجه عزمي علي كتابة سيرة ذاتية لنجيب محفوظ طالما أنه لم يكتب هذه السيرة التي سؤل عنها عشرات المرات وكان في كل مرة يحتج بأن سيرته قد تضمنها كتابان هما (نجيب محفوظ يتذكر) للأديب جمال الغيطاني و(مع نجيب محفوظ) للناقد أحمد محمد عطية، ثم لحق بهما أخيراً كتاب الأديب والناقد الكبير رجاء النقاش (نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة علي أدبه وحياته)كما ذكر الأستاذ أيضا أن الإذاعة سجلت له أيضا نوعاً من السيرة الذاتية أذيع علي ثلاثين حلقة، مرة لإذاعة صوت العرب ومرة أخري لإذاعة البرنامج العام، كما سجل له طارق حبيب في التلفزيون نوعا آخر من السيرة، وهذا ما جعل نجيب محفوظ يقول (لقد كتبت سيرتي الذاتية ونشرت وأذيعت أكثر من مرة

وبأكثر من وسيلة ولو أني حين أشرع في كتاباتها بنفسي لابد أن أتذكر أشياء لم أقلها هنا ولا هناك إنما حقيقة الأمر أني كلما وجدت موضوعاً يصلح لرواية فضلت كتاباتها علي السيرة الذاتية. (٤)

ولا يعني هذا أن نجيب محفوظ لم ينتفع بمذكراته وسيرته الذاتية التي لم يعلنها بل إنه استفاد بها كثيراً في رواياته فيقول (أرجع إلي ذكرياتي أكتب عنها خواطر، أضعها في ملف، ثم أعيد قراءتها بعد ستة شهور، أجد أن بعض هذه الخواطر يمكن أن تكون شيئا (...)غير راض عنه)(٥) ولا يختلف نجيب محفوظ في حرصه علي صيانة سمعته الشخصية والأدبية عن أستاذه توفيق الحكيم الذي يصفه بأنه (أصبح قريباً لي، قرين روحي، الإنسان الذي تجد نفسك فيه ولم يفصلني عنه بعد ذلك إلا الموت)(٦) لقد حرص توفيق الحكيم قبل رحيله علي أن يراجع كل أوراقه ويمزق منها كل مالا يراه مناسباً ليقترن باسمه، بل أنه أحرق ما مزقه من تلك الأوراق حتى لا يبقي منها أثر، فعل ذلك الحكيم في أواخر العمر رغم أنه في سيرته الذاتية قد تحدث عن والديه حديثاً صريحاً جداً، ولكن يبدو أن الإنسان كلما تقدم به العمر يكون أكثر حرصاً علي سمعته وسمعة من يرتبطون به خاصة إذا كان قد رأى أدباء مثله قد كتبوا سيرتهم الذاتية وسببت لهم مشاكل لا يرغبونها، يقول نجيب محفوظ محتجاً إلي جانب هذه الأسباب بضعف قدرته علي التذكر لتبرير عـدم كتابـة سيرته الذاتية (لقد وجدت أن هناك أشياء وتفاصيـل متعددة لم أعد أذكر منها شيئاً، وامتلأت الذكريات بالفجوات فأكملتها، وفي تصوري أن قدرة الإنسان علي الخلق غير محدودة، وأن قدرته علي التذكر محدودة جداً، وهذه حقيقة لا نعرفها إلا بالتجربة، افترض بأني سأحكي حكاية عن والدي، فلابد عندئذ أن تشكك بنسبة سبعين بالمائة في أن ما أقوله لك مخالفاً للواقع، وخصوصاً إذا ما وجدت في هذه الحكاية بعض التحسينات اللطيفة، وبعض المواقف الحلوة والتفاصيل المحبوكة، عند ذلك لابد أن تشكك كثيراً في أن الذي يعمل في صياغة هذه القصة ليس القدرة المحدودة علي التذكر ولكنها القدرة اللامحدودة علي الخلق، والترجمة الذاتية بصفتها الصريحة وصورتها التقليدية المألوفة، لم تكن جذابة لي في الطفولة أو غيرها من المراحل، ربما بسبب أن هذا الضرب من ضروب الأدب لم يكن ممكننا في بلادنا، وأذكر أن عبد الحميد جوده السحار كتب مرة عن أسرته ومدح أخاه ولكنه مسه بشيء من البخل فقاطعه أخوه، وقامت بينهم خصومة امتدت لفترة من الزمن، مـع أنه كان حريصاً علي أسرته، وكأنه يقدم أفرادها لغرباء أو لعيون فضولية معادية، ومع ذلك لم يعفه الحرص من الخناقة)(٧) لذلك استوعب نجيب محفوظ الدرس مكتفياً بما صرح به قائلا (عندما يطلبون مني مقابلة تلفزيونية مثلا وأعرف أن الأسئلة ستكون شخصية أرفضها، ليست هناك كبيرة أو صغيرة في حياتي لم تعرض علي الناس، إلا مالا يمكن أن يعرض) (٨)، هذا فيما يتعلق بحياته هو الخاصة أما فيما يتعلق بأسرته وأقربائه فيرى أن (الناس

لا تحب أن يكشف أحد أسرارها، والسيرة الذاتية نوع من كشف أسرار الآخرين، أنث لم تستأذنهم في ذلك، وهم لم يسمحوا به، قد تكون لي أخت وخلافاتها مع زوجها عادية ولكنها لا تحب أن يعرفها أحد، لو كتبت عنها لظنت أني فضحتها في الدنيا كلها، هذه بيئتنا وعلينا أن نسايرها)[٩] بعكس ما يحدث في البيئات الغربية بالنسبة للأديب حيث أنهم في (الخارج دائما يحبون الأسرار التي لا يمكن أن تنشر[١٠].

وعقب حصول نجيب محفوظ علي جائزة نوبل ونشرت علي لسانه بعض ذكرياته في شبابه حيث كان يمارس حياته كأي مراهق، غضب منه صديقه الذي يعتبره أستاذه - يحي حقي - وحدثه تليفونياً معاتباً يعيب عليه ويلومه لوماً شديداً من باب العشم الذي بينهما أدبياً وإنسانياً، مما أوقع الأستاذ في حرج بالغ جعل مزاجه متعكراً في ذلك اليوم رغم انتصاره وفرحته الكبيرة بنوبل، فإذا كان قد حدث ذلك بالنسبة فيما يتعلق بشخصه فما بالك إذا اتصل الحديث بغيره، فلا حل إذن إلا أن تتحول السيرة الذاتية لعمل فني تتوه فيه الأسماء والشخصيات لتبقي سراً مدفوناً لدي حامل أسرارها وفي هذا يحدثنا الأستاذ: السيرة الذاتية إذا أضيفت إلي المادة التي يستمد منها الأديب كتاباته تصبح ينبوعاً جيداً لأدبه وهذا ما أفضله في السيرة الذاتية لأنها تقوم علي الصدق والتعرية فهذا لا يتناسب مع بيئتنا ولا نحتمله [١١]ويؤكد نجيب محفوظ وجهة نظره التي استقر عليها بعدم كتابته لسيرته الذاتية بمثال آخر غير مثاله السابق عن صديقه الأديب عبد الحميد جوده السحار (فمثلا كتاب لويس عوض) جرح أخاه وأخته ووالده، ولم يمس نفسه فهل هذه سيرة ذاتية؟! بل السيرة الذاتية لأخوه وهذا لا يناسب مجتمعنا، فالصدق والاعتراف يحتاجان لشجاعة وفي مجتمع حر[١٢]، ويشرح نجيب محفوظ مقصده بقوله في حديث آخر (لا تنس أن المناخ الذي نعيشه لا يسمح بكتابة الجانب الصريح جدا من الحياة لأن حياتنا الاجتماعية لا تتحمل الصراحة بل تفضل الأمور المحسنة أو المعدلة أو قل المزوقة حتى تمر بينها ميزة السيرة الذاتية في صراحتها وميزة كاتبها أن يكون صادقاً حيث يقدم نفسه للناس كما هو حتى لو كانت هناك أشياء مؤلمة أو قاسية فلابد أن يعترف بها بكل الصدق والصراحة، نحن لا نعترف بأدب الاعترافات لأننا بالفعل نطلب في مثل هذه الأعمال مراعاة العادات والتقاليد والأخلاق وغير ذلك بدعوى أنها أمور مطلوبة في العمل الأدبي حتى يكون صالحاً للنشر ويقرأه الصغير والكبير في آن واحد مع انك لو تأملت هذا الأمر لوجدت أن الحقيقة مهما كانت مؤلمة أو قاسية ففيها التربية والأخلاق مع التوجيه والتبصير بالحياة وحقائقها كما هي دون أقنعة أو رتوش) [١٣]. ويؤكد أن "هذه الأشياء الخاصة قد تكون مادة ممتازة إذا تعامل معها بخياله وغير فيها كما يشاء لصالح الأدب، أما السيرة الذاتية الحقيقية فيجب ذكر الأسماء والتفاصيل الحقيقية وهذا لا يجوز[١٤] ولا ينفرد نجيب محفوظ بهذا الرأي وحده التزاما بقيود الحرية والبيئة والمجتمع، بل أن الحرافيش من أصدقاء نجيب محفوظ وهم

أدباء وفنانون وصحفيون كبار أصابهم الانزعاج وغشيهم الفزع عندما علموا أن صديقهم المؤتمن علي أسرارهم يكتب رواية باسمهم (الحرافيش) ولم يهدأوا إلا بعـد أن أكد لهم أنه لا علاقة بينهم في الواقع والحياة كحرافيش حقيقيين وبين روايته رغم أنهم أسبق في الوجود من الرواية، يقول الأستاذ: وأذكر أن محمد عفيفي (الكاتب الساخر) حين عرف إنني أكتب الرواية قال لي (هتفضحنا) لكني طمأنته[١٥] ويطمئن نجيب محفوظ نفسه أيضاً ويقطع الطريق علي أي تأويلات تربط بين شخصيته وشخصيات رواياته فيؤكد(لم أضع شخصي في رواية ولم أكتب رواية حول نفسي أو شخصي ولن أفعل ذلك أبداً لأنني لو بدأت في الحديث عن شخصي فسيكون هذا ترجمة ذاتية أو رواية ترجمة ذاتية وأنا لم أقدم علي هذا العمل بعد [١٦] ولكن الأستاذ بعد كل هذه التأكيدات لا ينفي أن ظلالاً وأصداء من سيرته الذاتية قد تناولها في بعض أعماله ونشرها في البعض الآخر، يقول: أنا موجود بقوة في رواياتي[١٧](قشتمر) هي نوع من السيرة الذاتية من خلال أربعة أبطال ومصر[١٨] وأنا الذي أتكلم وأروي في رواية (قشتمر)[١٩] أيضاً هناك أجزاء من هذه السيرة في المرايا والثلاثية وصباح الورد، أما أصداء السيرة فهي تقطير لأصداء بعيدة حاولت استحضارها من عالم مضى حاولت أن أجيء به، وما كتبته في الأصداء إنما هو أصداء كاتب لم يتمكن من كتابة تفاصيل حياته فلم يبق له غير المعني العام)[٢٠] أما أين شخصية نجيب محفوظ نفسه من كل ما كتب؟ فقد اعترف بشكل محدد (أنا كمال عبد الجواد في الثلاثية إنه يحمل ما يزيد علي خمسين في المائة من واقعي ولكن بشكل مروي)[٢١] أما الشخصيات الحقيقية في حياة نجيب محفوظ والتي تأثر بها في حياته فيروي قصتها لفؤاد دواره وكيف أنها بدأت في اتجاه ثم انتهت إلي اتجاه آخر فيقول: الحقيقة أن المرايا هي أقرب الأعمال التي بدأت وكأنها تنشد السيرة الذاتية بطريقة ما وكذلك رواية (حكايات حارتنا) إلي حد ما.. الاثنان بدأتا كنوع من السيرة الذاتية ثم تغير منهجهما وسأوضح لك.. في المرايا أردت أن أكتب سيرة ذاتية من نوع جديد، تستطيع أن تسميها السيرة الموضوعية بمعني أن المتحدث فيها لا يحدثك عن نفسه وإنما عن المرايا التي انعكست فيها صورته عن الذين عرفهم وتأثر بهم وأثر فيهم، أي أنها سيرة ذاتية موضوعية من خلال الآخرين، تحمست لهذه الفكرة وظللت أرصد جميع الناس الذين تأثرت بهم أو أثرت فيهم ثم حين شرعت في الكتابة بأمانة المحقق الموثق وجدت أن الحصيلة قليلة جداً لا تكفي لعمل شيء.. ووجدت في الوقت نفسه أن متابعة شخصية واحدة من الشخصيات الكثيرة التي أريد الكتابة عنها تتطلب وقتاً طويلاً قد يصل إلي أضعاف ما يستغرقه الكتاب كله. فلم يكن أمامي إلا أن أحول الشخصيات الواقعية إلي شخصيات روائية، أخذت من الواقع انطباعي العام عنها وأكملته بالخيال. الكثير منهم جرى حوار بيني وبينهم وعشنا مواقف مشتركة، ليس منهم من عرفته علي السماع أبدا كلهم كان بيني وبينهم اتصال شخصي وعِشرة طالت أو قصرت، لم يكن هدفي أن يرسم كل منهم صورة لي من وجهة نظره بل أن أقول لك :هؤلاء هم الناس الذين

عرفتهم وهذا هو إنطباعي عنهم، فحين تعرف إنطباعي عنهم فسوف تعرفني أنا إلى درجة كبيرة، القراء بالنسبة للمرايا قسمان قسم كان معاصراً لي عرف الكثير وعرف الأصل والإضافات، وقاريء حديث أخذها على أنها شخصيات روائية لأنه لا يعرف أصولها)[٢٢].

وقد شغلتني كما شغلت الكثيرين من محبي الأستاذ نجيب محفوظ وعارفي فضله علي الأدب العربي قضية: كيف لا يكون لمن حصل لهذا الأدب علي الاعتراف بعالميته، سيرة ذاتية؟ إنها خسارة وأية خسارة؟ ولكن ماذا نفعل وللأستاذ أسبابه الخاصة والعامة، فإذا كان المجتمع لم يحتمل نشر رواية له هي (أولاد حارتنا) والممنوع طباعتها في مصر وكاد أن يغتال بسببها مع أن الأجانب الذين منحوه جائزة نوبل قد قرأوا موضوعها علي أنه البحث الأزلي للإنسان عن القيم الروحية، فما بالك بقصة حياة كاتبها وكيف يستطيع بصدقه وأمانته مع نفسه أن يواجه المجتمع بظروفه وقيوده، ومع ذلك لم يحرمنا نجيب محفوظ وهو في سن الثمانين من تقديمه للمح فيه ملاحة وطرافة من ملامح سيرته الذاتية، وذلك برضائه واعترافه حتى وإن كانت نوعاً من السيرة المراوغة، وذلك حين أرخ لحياته بأشهر الأغاني التي سمعها من الطفولة إلى الشيخوخة مروراً بالمراهقة، إنها الأغنيات والمدندنات والألحان التي صاحبت وتغلغلت وسكنت مشوار حياة الأديب المصري العالمي في الطفولة والمراهقة والحب والطريق ونحو السماء والشيخوخة.. الأغاني تدون السيرة الذاتية في ملحمتها المتفردة، وذلك كما قدمت لها الأديبة سناء البيسي على صفحات مجلة نصف الدنيا التي أنشأتها ورأست تحريرها، ولأهمية هذه السيرة الذاتية الغنائية لاعتراف أديبنا العالمي بها وهي المرة الأولى والأخيرة التي يؤكد فيها بقلمه وخطه أنها سيرة ذاتية كما دونتها الأغاني فإننا هنا نعيد نشرها في هذا الكتاب حفظاً لها من الضياع والنسيان الذي غالباً ما يصيب أي نص ينشر في الصحف خاصة وأن هذا النص الذي بين أيدينا قد كتبه نجيب محفوظ ونشره بخط يده في ١٤ فبراير ١٩٩٩، باعتباره يمثل اعترافاً مثيراً ومدهشاً بجانب من سيرته بعد أن ضاعت الأعوام وشعر الغزل وكراسة فلسفته في الحياة، فلم يبق لنا إلا الأغاني.

وها هي تؤرخ لحياة مبدعنا العالمي كما تؤرخ لمراحل تطور الأغنية منذ أن سمعها لأول مرة تطرق أذنه «نام وأجيب لك جوز حمام» إلى أن أعجبته بعض أغاني أم كلثوم وعبد الوهاب التي كان يرددها بينه وبين نفسه ولكن في الحمام زمان باعترافه لسناء البيسي، ومع حبه للأغاني إلى الدرجة التي يؤرخ بها لنفسه إلا أنه كما يقول «لم أحاول كتابة الأغاني وإن دونت أغاني الزمن الجميل على لسان أبطال رواياتي» ولا يتردد الأستاذ في أن يدندن في الشيخوخة ببعض الأغاني القديمة التي تستدعيها ذاكرته ومنها هذه الأغاني التي تؤرخ لسيرته الذاتية:

الطفولة

عصفوري يمه عصفوري
لا لعب واوريله أموري
التوت التوت شرباتـه   حلاوة التوت يا حلاوته

. . .

يا بلـــح زغلـــــول   يا حلـيوه يا بلــــــح

. . .

ياعـــم حمـــزة - إحـــنا التلامـــــــذة   ما يهمناش فى القلعة نبات ولا المحافظة

الطريــق

أنا المصري كريم العنصرين

. . .

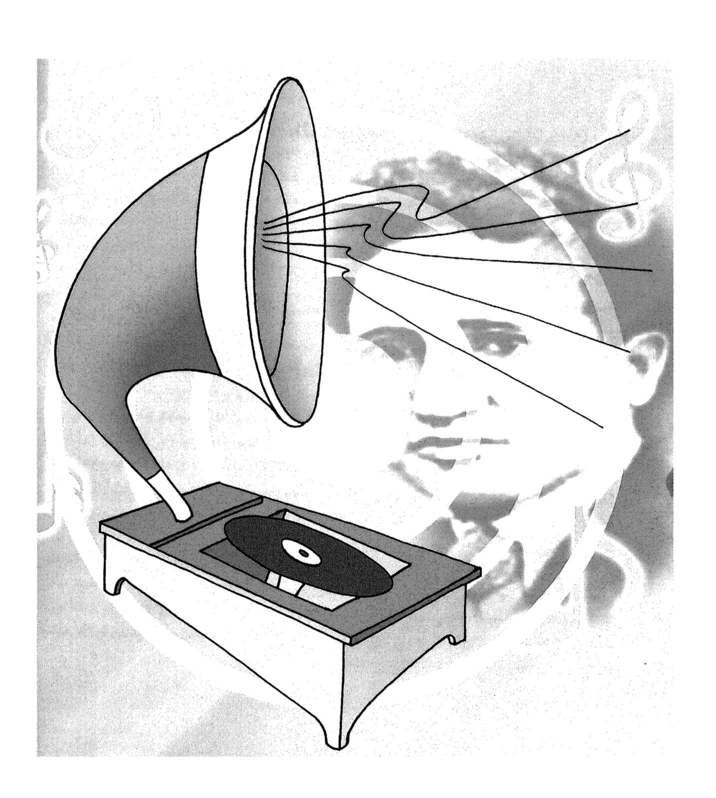
نصيبك فى الحياة لازم يصيبك

. . .

واللى انكتب على الجبين لازم تشوفه العين

. . .

من بعد تَلاتاشر سنة
ارتحت بعد التعب



نحـو السمـاء

سلــوا قلبي غداة سلا وتابــا	بربك يــا من جهلت الغرامــا
يـا نسيم الصبــا تحمل سلامي	أدر ذكرى من أهوى ولو بملامي
رأيت الهلال ووجه الحبيــب	يا آل مصر هنيئا فالحسين لكــم
أهـلاً ببدر أتم روح الجمــال	مولاى كتبت رحمة الناس عليــك

فهل تشفى هذه الأغاني شوقنا ؟ بالطبع لا
إذن ما العمل وهذا هو الواقع أمامنا يحرمنا من الإطلاع على السيرة الذاتية الحقيقية لنجيب محفوظ بخطه وقلمه؟

فكر كاتب هذه السطور في طريقة تحقق لنا على الأقل جزءاً من الأمل الغائب والأمنية التى حرمنا منها فكان هذا الكتاب الذي حاولت فيه على قدر المستطاع أن أتتبع السيرة الذاتية التى بثها نجيب محفوظ في أقواله وأحاديثه وتصريحاته على مدى سنوات عمره المديد وهى أشبه بصورة ممزقة إلى قطع صغيرة وقتافيت مبعثرة، عملت على قدر جهدي واجتهادي أن أجمع ملامح تلك الصورة بعضها إلى بعض في سياق متصل موثق بزمان ومكان بها يرسم لأديبنا العالمى سيرة ذاتية تراعى على قدر الإمكان تسلسل مراحل حياته من الطفولة إلى الكهولة وما حفلت به تلك الحياة من كفاح أدبي تشابك مع قضايا المجتمع وهمومه وأحداث الوطن بآماله وآلامه، وانتصاراته وانتكاساته. وما كان لى من فضل في هذا العمل إلا أن جمعت أجزاء تلك الصورة المتفرقة لنجيب محفوظ ليضمها سياق واحد يغطى ملامح سيرته الذاتية مما هو معلوم لنا ومنشور بالفعل ولكن بدلاً من أن نقرأه في متفرقات موزعة بين الصحف والكتب، فلنقرؤه في كتاب واحد حرصت على أن يكون المتحدث الوحيد فيه هو نجيب محفوظ نفسه دون تدخل مني إلا بحرف أو كلمة أو عبارة قصيرة في أضيق الحدود وضعتها بين الأقواس لمجرد الربط بين أجزاء صورة السيرة الذاتية لأديبنا العالمى الكبير صاحب الفضل في هذا العمل بما منحنا إياه من فخر وشرف صحبته والتعرف عليه، فعشنا في عصره واقتربنا من فكره وجلسنا إليه وتحدثنا معه، فأحببناه وأحبنا، وتعلمنا من سلوكه وذوقه وإنسانيته

أكثر مما تعلمنا من أدبه وقصصه ورواياته، وكيف لا نتعلم منه وهو يدعو لمن حاولوا اغتياله وهو على فراش المرض في العناية المركزة «الله يهديهم، الله يهديهم». إنه شخصية ترفض الإنتقام وترفض الشعور بالكراهية لأن الكراهية كما قال لى - تلوث النفس، وهو لا يحب أن يلوث نفسه، وكيف لا نتعلم منه وهو ينظر إلى سنوات عمره راضيا بها، بخيرها وشرها، وقد وضعها تحت شعار «من جد وجد»، حيث تعلم وعلمنا: أن الصبر الإيجابي مفتاح الفرج، الصبر عندى ليس مرادفاً للاستسلام، إنما باعث على العمل دون انتظار النتيجة ولكن لابد أن تتحقق النتيجة لمن جد ووجد، لهذا عندما سألته وألححت فى السؤال عن العنوان الذى يختاره ليضعه على ملف حياته؟ جاءت إجابته مصدقة لكفاحه وجهاده فى الحياة: «اجتهد وتوكل على الله» وبقدر ما كانت هذه الكلمات دالة على سيرة أستاذنا نجيب محفوظ ومسيرته فى الأدب والحياة، فهى أيضا دعوة لكل فتى وفتاة، خاصة وهو يوضح الفرق بين جيله وجيل الشبان «ضاع معظم وقت جيلنا فى تحطيم الحواجز، وهذا الجيل، إصراره سيجعله يتساوى مع شباب العالم المتحضر». ويطمئن أديبنا العالمى شبابنا رغم معاناتهم موجهاً إليهم حديث مجرب: (أقول لهم: إن الأزمة التى نمر بها، سبق أن مررنا بأشد منها، ولكننا عشنا وانتصرنا، فلا أدعوه إلا إلى التفاؤل والأمل وإلى استمرار العمل الايجابي بإيمان وثقة والاعتماد الكامل على الإرادة والفكر والعمل، كقيم رئيسية فى الحياة»، والسيرة الذاتية لأستاذنا نجيب محفوظ هي خير ترجمة لأقواله وأفعاله، وجهاده فى الأدب والحياة، فهيا بنا إليه لنعلم منه قصته ونتعلم منه الحكمة، إنه معكم، يتحدث إليكم، فقد حضر المعلم قم إليه ووفه التبجيلا، كاد المعلم أن يكون رسولاً، إن الأستاذ يتحدث فاستمع إليه وأنصت، فالحكمة على لسانه، والرزانة في كلامه، والأدب فى بيانه، والذوق جزء من خلقه، والأخلاق طبع فيه لا تطبع، وسيرته التى بين أيدينا أفضل وصف وواصف.

والعذر لى إن قصرت فعلينا أن نعمل وليس علينا إدراك النجاح، ويكفينا أجر واحد هو أجر من اجتهد وأخطأ، وإن كان لنا حق التطلع إلى الأجرين، أجر من اجتهد وأصاب، وإن كان يكفينا فى نهاية الرحلة شرف المحاولة مهما كانت النتيجة، ويسعدنى أن أقدم هذه الطبعة المختصرة الخاصة لطلائع حاضر مصر، وشباب أمل مستقبلها علهم يجدون فى سيرة أديبنا العالمى نجيب محفوظ ما يجعلهم يقتدون به فى كفاحه لعل واحدا منهم يكون «محفوظ» جيله.

إبراهيم عبد العزيز

طفولتي وصباي وأحلامي

عندما أكون فى البيت لا أفكر سوى فى أمور قديمة جداً: فى الطفولة والصبا والشباب [1] نجيب محفوظ

إن حياتى مثل تورته الفرح «تستطيع بالسكين أن تقطعها إلى مراحـل، كـل مرحلة علـى حـدة»[2]

الميلاد ١١ / ١٢ / ١٩١١

التخرج مايو ١٩٣٤

التوظف ١١ نوفمبر ١٩٣٤

أول شيء نشر لي في الصحف ١٩٢٨

أول كتيب مترجم قدمته عام ١٩٣٢

أول رواية ١٩٣٩

تاريخ زواجي ٢٧ / ٩ / ١٩٥٤[3]

أنا نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا (السبيلجى) والسبيلجى هذه لقب مثل الحرافيش أطلقها أدهم رجب* فقد كان لى جد ناظر كتاب، وللكتاب سبيل، وكنت أحكى لهم هذه الحكاية عن شغل زمان، فقالوا لى إطلع يا بن السبيلجى[4]

سألت أمي ذات يوم: من هو «محفوظ»؟

إن أبى اسمه عبد العزيز، فلماذا تدعوني بنجيب محفوظ؟

ضحكت من قلبها، وقالت: أنت نجيب محفوظ، هذا هو اسمك، أما والدك فهو عبد العزيز إبراهيم،

ولهذا الاسم قصة: عند ولادتى بك نصحتنى القابلة باستدعاء الطبيب لأن حالتى كانت سيئة، فذهب والدك إلى أشهر طبيب توليد في مصر، وبعون الله استطاع الدكتور نجيب محفوظ أن يخرجك سالماً إلى الحياة، لذلك أطلقنا عليك اسم نجيب محفوظ، تيمنا باسم هذا الدكتور.[5]

وأذكر أن صديقي الكاتب ثروت أباظة قد أخذني بعد ذلك بسنوات طويلة للقاء د. محفوظ. فقدمنى له قائلا: هذا أحد مواليدك يا باشا.[6]

والباشا لم أعرفها إلا يوم وفاة أبى واطلعت على شهادة ميلاده، فسألت أخى الأكبر عن حكاية الباشا فقال لي: إنها لقب عائلة من رشيد ينحدر جدنا القديم منها[7] –و–عائلة الباشا موجودة علاوة على رشيد في الفيوم.[8]

بيتنا

ولدت يوم الاثنين في البيت رقم ٨ في شارع (ميدان) بيت القاضي في الجمالية في الحسين. [٩]

كان المكان الذي اتخذ منه الميدان اسمه (...) عبارة عن بيت كبير يقوم طرازه المعماري على البواكى التي كان يقال أن قاضى القضاة كان يجلس تحتها ليحكم في القضايا، وعلى مقربة من بيت القاضي هذا كان بيت المال (و)قبو بيت القاضي كان عامراً وكان يؤدى في جانبه الآخر إلى سيدنا الحسين (وكان بيتنا يطل على درب قرمز)وكان الاعتقاد أن قبو درب قرمز (...) مسكن عفاريت وكنا ونحن صغار نخاف منه، وكنا نتحاشاه خاصة في رمضان حين كنا نريد المرح واللهو. [١٠]

أتذكر البيت الذي كنا نسكن فيه بكل تفاصيله[١١] لم يكن البيت كبيراً، لكنه كان مكوناً من ثلاثة طوابق، كل طابق فيه لا يتسع لأكثر من غرفتين، فقد كنا نسكنه رأسياً وليس أفقياً، ففي الدور الأول مثلا كانت هناك غرفة المسافرين التي كان من يأتون لزيارتنا من خارج القاهرة يبيتون فيها، أما غرفتي فكانت في الدور الثاني مع والدتي، وكان في الدور الثالث يسكن أشقائى في غرفة، وشقيقاتي في الغرفة الثانية، إلى أن تزوجوا جميعاً وتركونا إلى بيوت أخرى (...) لقد تركنا هذا البيت بعد ذلك، وانتقلنا للعيش بحي العباسية وأذكر أننى عدت ذات مرة لزيارته فوجدته قد تحول إلى مقهى، وفى زيارة تالية وجدته قد هدم وأقيمت مكانه عمارة قبيحة الشكل، فلم أذهب إليه ثانية. [١٢]

كان في مواجهة قسم الشرطة، وأذكر إنه كان لبيتنا شرفتان كبيرتان تطلان على الميدان، كانت تغطيهما مشربيات جميلة، ومازلت أذكر أنه في ركن إحداهما الأيمن العلوي، بنى (اليمام) عشاً له، ولقد كانت متعتي وأنا طفل صغير أن أتفرج على هذا العش وعلى اليمام الصغير الذي خرج من البيضات التي فقست، ومن هذه الشرفة أيضاً شاهدت معارك ثورة ١٩١٩ فقد كان هناك قبو في الميدان طالما دارت فيه المعارك بين أفندية ورجال الأزهر الذين كانوا يقذفون الإنجليز بالحجارة، والعسكر والخيالة الإنجليز الذين كانوا يطاردونهم ويطلقون عليهم الرصاص. [١٣]

ملعبنا

إنى أذكر جيداً أننى بين سن السابعة والعاشرة كنت ألتقى يومياً مع الأصدقاء في حي الحسين الذي كنا نسكن فيه آنذاك، فما أن نعود من مدارسنا حتى نلتقي بعد الظهر في الفناء الذي يقع أمام منزلنا والذي كان معظم الأصدقاء يسكنون بالقرب منه، ونظل نلعب حتى يحل الظلام، فيبدأ أهلونا في النداء علينا للعودة إلى البيت.

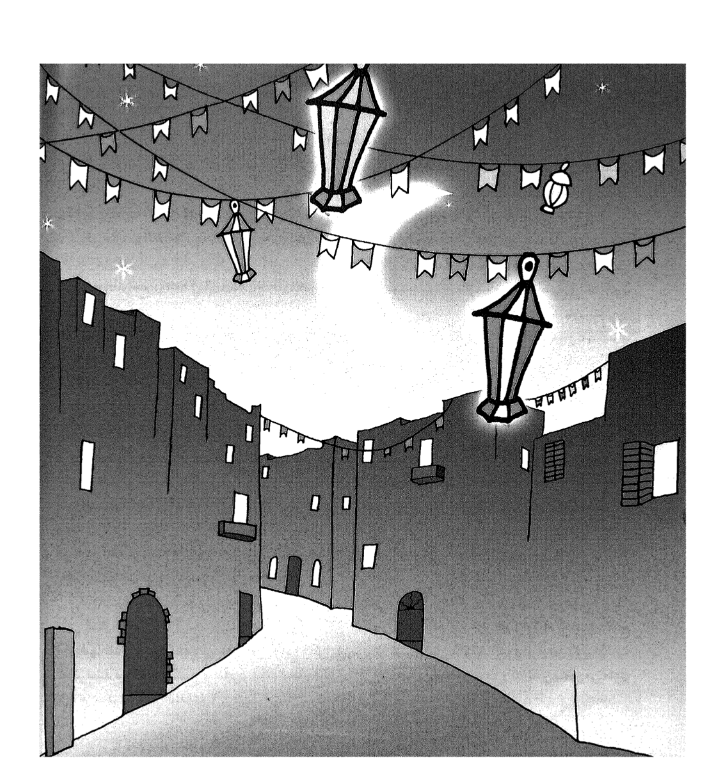
إنى مازلت أذكر الأسماء العائلية لمعظم هؤلاء الأصدقاء، لكن لا يحضرني الآن إلا الاسم الأول لواحد فقط منهم، فقد كان اسمه همام وأذكر أننى ذهبت ذات مرة مع والدتي لزيارتهم بمنزلهم المجاور لقسم الشرطة وبينما جلست والدتي مع والدته في البيت خرجنا أنا وهمام إلى الميدان الصغير المجاور لمنزلهم وظللنا نلعب إلى أن انتهت زيارة الوالدتين.

والحقيقة أن هذا الميدان كان ملعبنا لبضع سنوات، فلم تكن هناك سيارات في ذلك الوقت تمر به، وكان أهم ما يحدث فيه هو مرور عربة الرش التي كان يسحبها بغلان، وأذكر أننا كنا نجرى وراءها حتى تخرج من الميدان.[١٤]

رمضان شهر الحرية

بيت القاضي، هو المكان الذي شهد عندي حبو الطفولة وبواكير الصبا حتى صار بطابعه الخاص جداً محفوراً في ذاكرتي أوقل جزءاً منها – جدران المنازل التي شيدت من أحجار ضخمة تعبر عن صلابة عصر وقوة بنيانه، القبو الذي تدلف من تحته حركة البشر، نقطة الشرطة حصن الأمان لأهالى الحى الطيبين، أما الجمالية فهو المكان الأرحب الذي يستوعب حركة الأحياء والنشاط الجمعي لأهلها وسكانها، وهو نشاط لا يهدأ على مدى النهار، ومعظم ساعات الليل حتى يتردد صوت مؤذن الفجر فتسمع نقرات الأقدام في سعيها لأداء الصلاة، لذلك أنا كتبت عنها كثيراً كما شاهدتها بوقائعها الحقيقية، وكانت كتابة محاطة بالشوق والحنين، هذه الأحياء تشكل مجالاً للأفراح وإشاعة البهجة، وهى من مظاهر الإيمان الحقيقي.[١٥]

وكان ميدان بيت القاضي يبدو في فرح مستمر لمدة شهر كامل، فإذا ما جاء العيد وصل الفرح إلى ذروته وعلت مباني الشارع زينات الأفراح، وقد كان أجمل ما يسعدني أن المنازل التي تقع في الحى كانت وقت رمضان تفتح أحواشها للناس، وكانت تأتى بالمنشدين الذين كانوا يقيمون ما كان يسمى بالتوليد النبوي، وهو مثل حلقات الذكر تنشد فيه قصائد المديح في النبى، وكانت هذه المنازل تتبارى في من يأتي به للإنشاد، وكنا نحن ننتقل من منزل إلى آخر نستمتع بهذه الحلقات.[١٦]



وكان رمضان بالنسبة للأطفال في هذه الأيام شهر الحرية لأن الأهل كانوا يسمحون لنا بالأشياء التي كانت ممنوعة في بقية أيام السنة[١٧] فقد كنا في ذلك الوقت أطفالاً صغاراً لا يسمح لنا بالتغيب عن البيت طويلاً[١٨] ولكن ما إن يجيء رمضان حتى تفتح الأبواب لكى نخرج إلى الشارع حتى في الليل دون أن يقال لنا ألا نتأخر ودون أن يذكرنا أحد بموعد للعشاء أو للنوم. وكانت هدية رمضان الأولى بالنسبة لنا هى الفانوس الذى كانت تضيؤه آنذاك شمعة.[١٩]

ولكن الأكثر أهمية في رمضان بالنسبة لنا كأطفال في مثل هذه السن الصغيرة أن الأهل كانوا يسمحون لى أن أخرج إلى الشارع حتى أجتمع بالأطفال سواء بنات أو صبيان، وكان لهذا الإجتماع وقع خاص في أنفسنا حيث كنا نجتمع في مكان متفق عليه فيما بيننا ثم ننطلق حاملين الفوانيس ذات الألوان الزاهية وندور على جميع بيوت ميدان بيت القاضي مرددين أغاني رمضان في فرحة شديدة.[٢٠]

ذكريات رمضان كلها فى هذا الخشاف، فسائر المأكولات والحلويات موجودة في معظمها على مدار السنة إلا هذا الخشاف، الذى لا يظهر إلا في رمضان وكذلك تاج المائدة الرمضانية هو بلاشك الفول المدمس[٢١].

أما المسحراتي فقد كان يأتي عادة وأنا نائم، ولم أكن أهتم به كثيراً، لكنه عندما بدأ الاعتراف بي وبدأ في ذكر (أسمى مع بقية أفراد العائلة كنت أستيقظ حتى أسمع اسمى وهو يردده: قم ياسى فلان

وفى الأيام الأخيرة في شهر رمضان كنت أشارك في عمل الكعك حيث كنت أقوم بنقشه مع والدتي، ثم يأتي الفران ليحمله للفرن، وكنت أسعد بمنظره حينما يعود من الفرن، أما لبس العيد فكنت أذهب مع والدى أشترى بدلة العيد[٢٢] وما أن يحل العيد حتى تعود بى الذاكرة بسرعة إلى حي الجمالية الذى عشت فيه طفولتي والذى عرفت فيه العيد أول ما عرفت. كم نظرت من خلف المشربية التي كانت تغطى شبابيك بيتنا القديم بحي الجمالية، إلى ذلك الميدان الهادىء المليء بأشجار الصفصاف والذى كانت تملؤه الزينات كلما جاء العيد، فيلعب فيه الأطفال طوال النهار والليل دون خوف من مرور السيارات أو حوادث الطريق.[٢٣]

لقد حضرت في طفولتي عيد الأضحى في أكثر من مكان: أولاً في حي الجمالية الذى ولدت به، ثم في حي العباسية الذى انتقلنا إليه بعد ذلك، ثم حضرته في الكبر في أنحاء متفرقة من القاهرة والإسكندرية لكن ذكرى العيد في الطفولة مازالت هى ذكرى الجمالية فقد كنت أشاهد مباهجه حتى من قبل أن يسمح لى بالنزول إلى الشارع فقد شاهدت من خلف مشربية شبابيك البيت ذبح الضحية بعد صلاة العيد بميدان بيت القاضي، ذلك الميدان الهادىء المليء بأشجار «ذقن الباشا» كما شاهدت الزينات والأفراح التي لم يمر وقت طويل حتى كنت أشارك فيها بنفسي.[٢٤]

كانت ليالي رمضان منذ الطفولة تفوق في متعتها وجمالها جميع الليالي حتى الأعياد، لقد كانت ليالى رمضان أمتع عندي من العيد الصغير أو العيد الكبير، فأول حرية ذقتها كانت في رمضان حين أصبح يسمح لى لأول مرة أن أخرج مع الأصدقاء وأن أسهر معهم في الحى، فنلعب ونلهو بعد أن كنا جميعاً مكبلين طوال أيام السنة حتى أننا إذا لعبنا تحت البيت كانوا يراقبوننا من الشبابيك، أما في رمضان فقد أعطونا الحرية كاملة.(٢٥)

هذا كان رمضان الذى قضيته وأنا طفل، أما عندما كبرت، كان هذا الشهر يحمل البهجة نفسها، لكن تغير الاستمتاع به، أولاً عندما أصبحت شاباً كنا قد انتقلنا إلى العباسية وتركنا حي الجمالية(٢٦) بعد تسع سنوات وسكنا في البيت رقم ٩ في شارع رضوان شكري، وكانت منطقة جديدة وجميلة، غنية بالمساحات الخضراء والأشجار لكن علاقتي بحي الحسين لم تنقطع فقد كنت أذهب إلى هناك باستمرار مع والدتي التي كانت تصحبني معها على عربة كارو لزيارة أولياء الله الصالحين، ومنهم سيدنا الحسين(٢٧). تركنا بيتنا القديم وانتقلنا إلى العباسية، لكن قلبى ظل في ميدان بيت القاضي بالجمالية، وكنت أدعو أصدقائي الجدد في العباسية لزيارة الجمالية معى خاصة في رمضان حيث كان حي الحسين له مذاق خاص، ويختلف عن منطقة العباسية التي كانت تعتبر حديثة بالنسبة للقاهرة القديمة، وأذكر أننا كنا نقطع المسافة من العباسية إلى الجمالية مشياً على الأقدام (...) أحسن السهرات كانت تلك التى كنا نمضيها في مقهى الفيشاوي، فقد كنا نجلس هناك في جلسات سمر (...) ولم تكن السهرة تخلو ولو للحظة من البهجة والسرور، فإذا ما حل موعد السحور لم نكن نجد لدينا الرغبة في مغادرة المقهى، فكنا نطلب سحورنا في المقهى من المطاعم المجاورة، فكنا نطلب مثلا لحمة رأس أو كباب أو غيره، ثم نعود بعد ذلك إلى العباسية سيراً على الأقدام وسط منطقة جبلية خالية أصبحت الآن تضم صفوف المنازل علـى الجانبين.(٢٨)

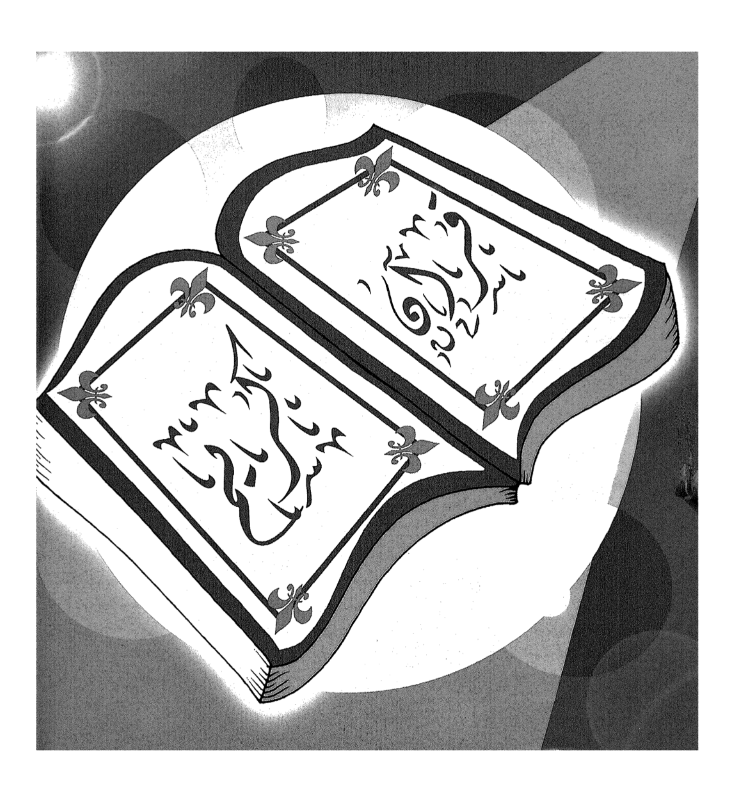
وقد كنت أصطحب مع أصدقائي في العباسية بعض الحرافيش إلى المقهى حيث كانوا يحبون رؤية هذا الجو الرمضاني، لكنهم كانوا ينظرون إليها بعين السياح وأحياناً كانوا لا يطيقون أن يستمروا فيها طويلاً، فإن قضوا ليلة لا يكملون الأخرى لأنهم يرون أن مقهى الفيشاوي مزدحم، وذلك يرجع إلى أن أغلب الحرافيش اعتادوا الأحياء الهادئة فلم يعيشوا معى الجو الرمضاني الذى كنت قد اعتدته من قبل معرفتي بهم، لكن الحقيقة التى لا أستطيع أن أخفيها هي أن أجمل وأسعد رمضان مر علي وبجميع المصريين كان رمضـان ١٩٧٣ (...) تركت كل ما كنت أعمل به ونسيت طقوس رمضان وأصبحت فقط قارئا للجرائد أو مستمعاً للإذاعة التى لم تكف عن إذاعة الأغاني الحماسية وأخبار العبور.(٢٩)

أحب الحياة

كان لدى عادة منذ الصغر وهى عدم العمل فى هذا الشهر إلا الشيء الضروري حينما كنت طالباً ولدى واجبات أو مثل ذلك من الأشياء الضرورية، ويرجع ذلك لرغبتي في الاستمتاع به حتى أحمل لهذا الشهر بداخله ذكريات جميله، ولم أكتب رواية واحدة فى رمضان. فإلى جانب الشعور الروحى الذي كان يساورني فهناك فوائد مادية أخرى حين كنت أقضى الوقت الذى يسبق أذان المغرب فى قراءات مختلفة، أكثرها كانت دينية، فإلى جانب القرآن الكريم كانت هناك كتب كالسير والتراجم الخاصة بمؤسسي الدولة الإسلامية، وقراءات الفلسفة. والتصوف، واللقاء مع عدد كبير من رواد التصوف الإسلامي وفى مقدمتهم ابن عربى، والسهروردى والنفرى، وغيرهم[٣٠] وكانت قراءاتي تتركز في الشعر الصوفى الذى كنت أعشقه وأحفظ منه عشرات الأبيات، كنت أستمتع بالقراءات الدينية خاصة الشعر الصوفى الذى أذكر أنني لم أكن أترك ديواناً منه إلا وقرأته سواء كان عربياً أو مترجماً، وكنت أحرص على قراءته وقت الصيام وبالتحديد ما بين العصر والمغرب، لقد وجدت أن قراءة الشعر الصوفى والإنسان في حالة صيام يمثل تجربة فريدة، فهو ينقلك إلى حالة من الشفافية لا أستطيع وصفها[٣١] فكان له منزلة خاصة عندي لما له من تأثير روحي جميل على نفس قارئه ومتذوقه وأعتقد أنه ترك في نفسي أثراً عميقاً وكان له إنعكاس فعلى كبير ظهر فى كثير من كتاباتى[٣٢] أعتبر التصوف واحة جميله أستريح فيها من الحر، حر الحياة ولكن لا أومن به أبداً، المتصوفون عندي حكماء، ولكنهم ينسحبون من الحياة، نادمون عليها، فالتصوف الحقيقي رفض للحياة، وأنا لا يمكن أن أرفض الحياة، أنا لا أدعوا إلى رفض الحياة ولا إلى الإنسحاب منها أنا أدعو إلى الانغماس في الحياة، فمن العجيب جداً أن نمنح الحياة وأن نوجد فيها، فتكون فلسفتنا هى رفضها، ولكن لأن التصوف رقيق، ولأنه يرفض فقط لأسباب روحية جميلة، فاني أستريح إلى قراءته، أقرأه كالشعر الجميل.[٣٣]

وكم استفدت من هذه القراءات التى كانت تتيسر لى فى رمضان خاصة[٣٤] أما عن رمضان فى رواياتى، فقد شغل مساحة لا بأس بها فى بعض أعمالي لكن أهمها: الثلاثية، وخان الخليلي، فلقد كتبت عن رمضان فى «الثلاثية» مما كانت تحتفظ به ذاكرتي فى فترة الطفولة، ويمكن أن أعتبر أن ما كتبته عنه فى «الثلاثية» كان بعين الطفل نجيب محفوظ وليس الشاب أو الرجل نجيب محفوظ، وفى خان الخليلي كتبت عنه بعين نجيب محفوظ الموظف ورؤيته له.(٣٥)

يبقى شهر رمضان من بين الشهور له طابعه الخاص وصور الاحتفاليات التى تمتلىء بها لياليه أيضاً لها مذاقها الخاص، وسواء الدينية أو الترفيهية، الاثنان لهما أثرهما الشديد جداً، فهى مبعث البهجة والسرور للجميع.[٣٦]



كمن يزور المقام

لم أنقطع عن الحسين يوماً واحداً حتى أصبح الإنتقال صعبا فى القاهرة[٣٧]، ولكن ظل قلبى وتفكيري مشدوداً إلى الحواري والأزقة والأقبية. ظللت متعلقاً بالحسين وبحي الجمالية، وكـان بيني وبين المنطقة والناس والآثار علاقة غريبة تثير فى عواطف ومشاعر غامضة لم أستطع أن أتخلص منها إلا بالكتابة، فغالباً الروايات التى تحمل أسماء أماكن كان وراءها الحب الشديد والعميق لهذه الأماكن، فكان الموضوع الأساسى هو المكان[٣٨] وأعتقد أن أساسيات الكتابة أن يكون هناك حب لمكان ما، للناس أو للفكرة أو للهدف[٣٩]، وأنا أحمل لهذه الأحياء ذكريات غالية دافئة ما زلت أحن إليها وأنا فى شيخوختي[٤٠]. إن تلك الأحياء هي كل شيء بالنسبة لى، إنها مثل زوجة فريدة، ومن الطبيعي أن تكون تلك الأحياء مسرح تجاربي، ولا أشعر أنى أكتب جيداً إلا عندما أكتب عن زقاقي وقد تحول كل ذلك إلى عالم كلى من الكمال استطعت أن أجعله كما أريد[٤١]، هذه الأحياء تسكن ذاكرتي، شغلت وجداني وأججت مشاعري لسنوات طويلة فكان التأثير الواضح الذى تجلى فى العديد من الأعمال والكتابات الروائية: زقاق المـدق، خان الخليلي، الثلاثية، وبالفعل قامت بيني وبين هذه الأماكن علاقة عضوية متينة وترابط كان له أثره وتأثيره، وأعتقد أنه مازال موجوداً حتى الآن، فكثيراً ما تتحرك ذاكرتي به شوقاً وحنيناً غامراً، وأعود إلى رابطــة المكان وهو الترابط العضوي وأحاول الكتابة فى الجزء الذى يتاح لى الكتابة فيه الآن وهو الأحلام، وأقصد بها أحلام فترة النقاهة، حتى آخر أعمالي تجلى فيها أثر المكان حقيقة، ربما كان الأثر الأقوى والأبقى فى الذاكرة هو فى محل الإقامة الأولى فقد استمر معي ذلك حتى رواية «قشتمر» ثم بعدها أصداء السيرة الذاتية، فالانطباع الأول يظل له بريقه ووهجه، أما عن حقيقة ارتباط الإبداع بالمكان فأنا لا أنكر أنني تأثرت كثيراً بتلك البيئة الشعبية التى تنفرد بعادات وتقاليد تخلق نوعاً من الحميمية بين أهلها حتى لتحسب أنهم أفراد عائلة واحدة يتحركون ويفعلون ويمارسون شئون حياتهم بشكل تلقائي ينم عن سريرة حسنة، وهم فى رباط متين فى الشدة وفى الرخاء، مثل هذه البيئة لا بد أن تترك فى نفس من يعايشها أثراً عميقاً، وأتمثل ذلك فيما يبدعه الشاعر من صور شعرية وأخيلة وتشبيهات يستمدها عن البيئة بالمعايشة، تسللت إلى وجدانه وصارت جزءاً من خياله[٤٢] لقد كتب عنى الأستاذ صلاح ذهني ذات مرة وقال «إن عالم نجيب محفوظ حدوده العتبة»، فلقد كنت أستمد مادة أعمالى من روح هذا الحي (الجمالية) لأن المراحل الأولى فى حياة أي إنسان تكون أكثر المراحل تأثيراً فى نفسه حتى لو كانت المراحل اللاحقة مراحل طويلة عايــش فيها شخصيات أكثر واحتك بأناس أكثر، فكل مرحلة من مراحل العمر تضيف للمرحلة الأولى وتجددها، وأنا نشأتي الحقيقية كانت فى العباسية من سن العاشرة، ولكن حينما عشت فى الجمالية وتنسمت رحيقها

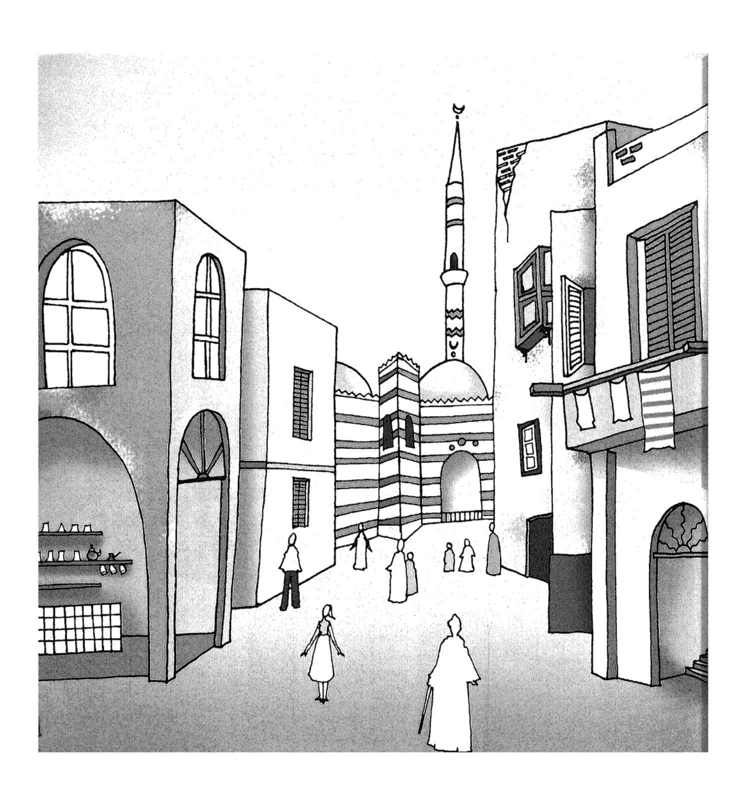
وأحببتها لدرجة أنني أخذت كل أصدقاء العباسية إلى الجمالية، لقد ظلت حياتي كلها مرتبطة بحي الجمالية ولم تمنعني عنها إلا حالتي الصحية، فلقد كنت أتردد على الجمالية كل عدة أيام وأطوف بها لأتنسم المنطقة، وبرغم أنه لم يكن هناك من أزورهم إلا أنى كنت أزورها كمن يزورون المقام[٤٣]، الأحياء الشعبية تمثل لي أكثر من معنى عزيز، تمثل لى الصبا والتاريخ وروح مصر الخالدة، فليس غريباً أن أختارها أماكن لمعظم ما كتبت. [٤٤]

هذه الأحياء القديمة صارت بالنسبة إلى كل شيء. وكأنني زوج إمرأة واحدة، طبيعي إذن أن تكون مسرح تجاربي كلها، وأكون في أحسن حال وأنا أكتب عن الحارة ولذلك جعلتها رمزاً للعالم كله، وغيرت فيها كما أريد، هناك أناس من زملائي يعرفون كل شبر فى مصر، أنا لا أعرف هذا، أعرف القليل فقط ولكن يمكن عبر مجموعة من الناس أن تصل إلى أعماق الشخصية المصرية، برغم أنهم قليلون ومن عينة واحدة، وتبقى الاختلافات بينهم وبين الآخرين فى الجوانب الظاهرة لا فى الجوانب العميقة. الوصول إلى مساحة واسعة ممكن عبر أشياء ضيقة[٤٥] قصور في التجربة؟ غير صحيح، والأمثلة على ذلك: ميرامار، ثرثرة على النيل، الطريق، تلك الروايات ليست من البيئة الشعبية، ولنفرض أن ذلك صحيح، حتى لو اقتصر الأمر على بيئة واحدة، فما يطالب المؤلف بأشياء أكثر مما عايشه وعرفه، وعمل الكاتب أو الأديب لا يقاس بالمساحة قدر ما يقاس به من قيم أخرى كالعمق والإحساس والهدف والمضمون الدرامي وأشياء أخرى كثيرة، ومن الكتاب العالميين العباقرة ما لم تخرج حدود كتابات أى واحد منهم عن قرية واحدة، وهذا بالطبع ليس قصوراً في التجربة ولكن قمة النجاح والتفوق والواقعية. [٤٦]

أفك الأسر

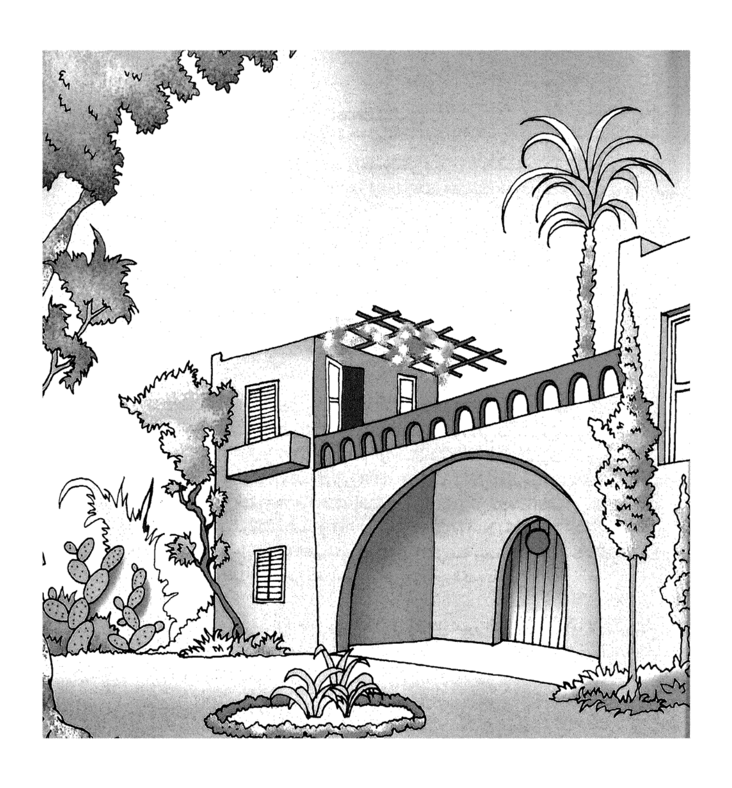
الحارات الشعبية هي مواطن إلهامي، ونشأت فيها وجسدتها في أعمالي الروائية وفى قصصي القصيرة، جسدت في رواياتي مرح الصبيان والنسوة، وغرائز الناس، والجمال والقبح، وصينية الحمام والبرغل، والمعلم الرهيب الذي أنهكته الأمراض دون أن يتزوج، وجسدت – ساعات المرح مع الخلان.

لقد رسمت سطوراً لكل من عايشتهم في الحارات الشعبية: قرمز، والأزهر، وخان الخليلي، ورسومي وصوري استمدتها من تلك الأحياء بعد ما عشت فيها، وترددت عليها مع الأصحاب والخلان،[٤٧] لارتباطي العاطفي بالمكان، «خان الخليلي» كنت سأسميها الحب والموت، ثم استبعدت الفكرة وانتصر المكان، «زقاق المدق» نصحوني بتغييره لأنه صعب فى النطق، وانتصر المكان، «بين القصرين» «ثرثرة فوق النيل»، وانتصر المكان. الأماكن تسلطت على نفسي، بالكتابة عن مكان ما، أتحرر منه، أشياء كثيرة أتحرر منها بالكتابة عنها، أفك الأسر[٤٨].



طبقتي الوسطي

أنا أعتقد أن الطفولة مخزن لكل أديب لأنها الفترة التي يتلقى فيها الحياة بتلقائية كاملة، وليس من خلال نظرية أو فلسفة أو أي شيء أخر، وتختلط في وجدانه، ويعود الأديب إلى فكرتها وإيقاعاتها[٤٩] وكوني ولدت فى بيئة كبيئة الجمالية جعلت التعاطف الوجداني بيني وبين الأحياء الشعبية من الحقائق الثابتة والمؤثرة فى حياتي، كذلك كون والدي موظفاً ثم تاجراً ومن أصحاب الدخول المحدودة باعتباره من الطبقة الوسطي أو الوسطي الصغيرة، فهذا بلا شك له أثر آخر في شخصيتي وكوني قاهري المولد والنشأة والحياة فهذا أيضاً له تأثيره على شخصيتي الفنية، بل شخصيتي الإجتماعية بوجه عام[٥٠] «كتبت عن الحارة كحارة، وكتبت عن الحارة كوطن، وكتبت عن الحارة كالوطن الأكبر والبشرية، فالحارة بحبي لها جعلت منها مدخلي إلى أي تعبير، وقد أخطأ البعض فظن أنني أكرر نفسي[٥١] والحقيقة أن أي أديب يرتبط فعلاً وواقعاً ببيئته ولا يستطيع أن يكتب عن غيرها دون أن يفتعل، فهاردى الروائي الإنجليزى المعروف تكلم طوال حياته الفنية عن قرية واحدة، «ومارسيل بر وست» الرجل الذي غير تاريخ الرواية العالمية بأكمله كان يعيش واقعاً وفناً على الهامش من حياة باريس، وأذكر أن أول رواية كتبتها في حياتى كانت عن فلاحين في قرية، سميتها «أحلام القرية» وجاءت شيئا مضحكا بمقياسي الفني الآن، لأنها كانت نتاجاً مفتعلاً ومتعسفاً لتصوير مجتمع لا أدرى عنه شيئاً، المجتمع الذي كنا نعيش فيه – أيام نشأتى الأولى كانت فيه طبقة شعبية، وأخرى أرستقراطية وثالثة يصح أن نسميها أو نصفها بين الشعبية والأرستقراطية، لأن الطبقة الوسطي العليا تنضم بها لها وبأحلامها إلى الارستقراطيـــة، ولهذا أقول أن طبقتي هي الوسطي باعتباري ابن موظف[٥٢]، إن مفهوم الطبقة لم يكن فى ذهنى في يوم من الأيام وأنا أكتب، ولكن الكاتب ينتسب عادة إلى مجموعة من المجتمع لا يستطيع بحكم صدقه الفني أن يكتب عن سواها، فانفعالاته إنعكاس لانفعالاتهم، وتجاربه صورة من تجاربهم وهم منه وهو منهم، ولذلك يكتب عنهم.[٥٣]



وحــدى

بيتنا زمان كانت له جنينه فيها شجرة جوافة واحدة وبعض شجر ورد، وتكعيبة عنب أسود، وأهم من ذلك كله: شجيرات «شيح» زرعتها أمي لتعالجنا بها ونحن أطفال وكانت خلف بيتنا غابة تين شوكي، يسكنها «نمس» أسود عينه براقة ! فكنا نخاف منــه ونختبيء من المغرب.(٥٤)

أنا لم أعش في جو إرهاب عائلي، وكانت أسرتي لطيفة ورفيقة بي لأنى كنت آخر العنقود، وكنت مجتهداً ومحل عطفهم، وكنت أقرب إلى الناس المرفهين المدللين، فقد نشأت في أسرة مستقرة، فقد كان والدي ووالدتي فى نظري من أسعد البشر، كان المناخ الذي نشأت فيه يوحى بمحبـة الوالدين ومحبة الأسرة واحترامها، كان هناك نوع من الاحترام والتبجيل للوالدين وللأسرة كقيمة أساسية في طفولتي، فقد كان الخيط الثقافي الوحيد فى مناخ الأسرة هو الدين وهذه السمة الأولى في طفولتي.

أما السمة الثانية فهي أنى حرمت لدرجة كبيرة جداً من معرفة علاقات الإخوة، وكأني طفل وحيد مع أنني لم أكن كذلك، فلي أخوان، وأربع أخوات ولكني حرمت من علاقات الأخوة لأنى كنت أصغر إخوتي جميعا.(٥٥)

لا أتذكر في البيت إلا والدي ووالدتي، ولا أذكر أي إنسان شاركنا البيت إلا الضيوف، عمتي، ابنة عمى، ناس من الخارج، كنت طفلاً وحيداً، ولكننا كنا نزور الأشقاء فى بيوتهم، لم أعش معهم حياة يومية، كنت وحيداً مع والداى، وكنت محروما من الشعور بالأخوة، لذلك أصـور فى أعمالي الكثير من علاقات الأخوة بين الأشقاء نتيجة حرماني من تلك العلاقة، يبدو ذلك واضحاً في «الثلاثية» و«بداية ونهاية» و«خان الخليلي».(٥٦)

الأشقاء الستة ولدوا على الطريقة القديمة، بين كل واحد والثاني سنة ونصف، ثم مضت فترة عشر سنوات وجئت أنا، ولذلك كنت دائماً أنظر لأختى الكبيرة على أنها أمي، ولأخى الكبير كأنه أبى.

وكانت علاقتي بإخوتى من نوع خاص، كان تصوري لهم مثل تصور الابن للأب والأم، لا تصور الأخ للإخوة، فليس لي أخ أو أخت لعبت معهم أو خرجت بصحبتهم فى نزهة، أو أفضيت لهم بأسراري، لذلك لعبت

الصداقة في حياتي دوراً كبيراً منذ سن مبكرة للغاية، فقد قامت بدور البديل الضروري لهذه الأخوة المفتقدة[٥٧]، فحين تفتحت مداركي وجدت أن أشقائي جميعاً رجالاً ونساءً تزوجوا، ولم يكن في البيت غيري مع أمي، وهذا فرض عليّ إلى جانب ذلك أن أتعلم كيف أعيش وحدي حين كانت والدتي تنشغل عنى. [٥٨]

صـــبور

لقد أصبت في طفولتي بالصرع، وكان الصرع في هذا الوقت من الأمراض القاضية، وكانت وسائل العلاج بدائية إلى حد ما، وكان هذا المرض دائماً ينتهي فى أيامنا بالموت أو الجنون، ولكنني شفيت منه والحمد لله.[٥٩]

الصرع كان خفيفاً، وإلا فهو مرض قاتل لا شفاء منه، لم يترك أثراً فقد شفيت منه بسرعة، أما السكر فقد هاجمني وأنا في التاسعة والأربعين، أي عام ١٩٦٠، وقد خفت منه خوفاً شديداً لأننى فهمت أنه يضعف الإنسان إلى حد كبير ولكني لم أشعر بأن المرض أثر في عملي، فقد ظل نشاطي كما هو، ولم يحدث للكتابة أي شيء بسببه، إننى أعرف أن السكر يسبب لمن يصيبهم بالعصبية الشديدة في فقدان الكثير من الأصدقاء أو المواقف وهو أمر لم يحدث لي، ربما له تفاعلاته الداخلية التي لا يعيها المريض، ولكن هـذا أمر آخر إننى أتكلم عن الانعكاسات الواضحة لي [٦٠] (لكن) صدمة الإصابة بمرض السكر لم تكن بسيطة، تأقلمت معها بالشدة مع النفس خصوصاً بعد ١٩٨٠عندما أصابت شبكة العين، فتغلبت على ذلك باختصار ساعات القراءة والكتابة والإلتزام الحرفي بنصائح الأطباء(٦١)، اكتشفت نفسي من خلال هذا المرض الجنتلمان الذي يحترمك إذا بادلته الاحترام، ويغدر بك إذا تهاونت فى حقه، اكتشفت أيضاً أنى صبور وأنى أستطيع أن أتكيف[٦٢]. أما الصرع، فلقد كنت طفلاً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يستمر[٦٣]

أسعد أوقاتي

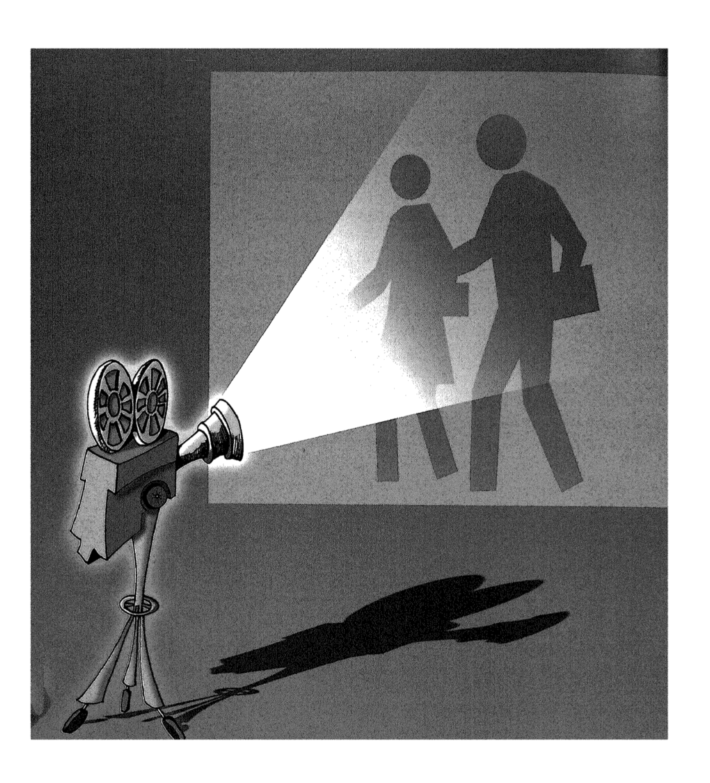
كانت والدتي تحب تربية الطيور، وكنت أفرح بهذه الطيور وأمضى أسعد الأوقات على السطح مع الكتاكيت والأرانب والدجاج، وكنت أتصف بالشقاوة.[٦٤]

الصبح كان ملكي لأننا لم نكن نخرج من البيت غير بعد العصر، كنت أطلع فوق السطوح، وتطلع معايا بنات الجيران ونقعد نلعب ونجرى ونتنطط، ذات يوم إشترت والدتي مجموعة كتاكيت، صعدت إليها في الصباح لأجدهم مستلقين تحت أشعة الشمس في استسلام تام، أخذت أتأملهم، أمسك بهم واحداً تلو الآخر، ومن لا يتحرك منهم أرمى به من فوق السطح مقتنعاً أنه مات، رميت حوالي أربعين كتكوت راحوا لعم نجيب (المشرف على حنفية الشارع ودورة المياه) والتي تم بناؤها في ذلك الوقت، ودهنت باللون الأخضر، وأنزل إلى الشارع، والدهان ما زال طريا فأمد يدي وأرسم لنفسي شارباً وذقناً، وتتبعني الشلة فيما أفعل، ونسير في الميدان متباهين بشواربنا وذقوننا الخضراء، كنا نجرى وراء عربات الرش نتلقى المياه حتى من العربة، كانت لذيذة جدا وكنا ننتظرها بفارغ الصبر. أسعد أوقاتي كانت عند ظهور عربة الرش[٦٥] كنا نلعب ونستحم في نفس الوقت[٦٦].

عشقى للسينما

شاهدت أول فيلم سينما ولم يتجاوز عمري خمس سنوات، كانت فى حينا أقدم دار سينما، ودخولها كان بتعريفة (خمسة مليمات)[٦٧] كانت سينما بيت القاضي تقع بجوار بيتنا، وأعتقد أنها كانت أول دار سينما في مصر، فقد كان ذلك في أوائل القرن الماضي، وكنت أذهب إليها في الأعياد، وكان موقعها في مقطع من الكلوب المصري في خان جعفر.

لقد أحببت السينما حباً كبيراً وأنا طفل حتى كانوا يخرجونني منها بالقوة لأني في بعض الأحيـــان كنت أقيم فيها، وذلك برغم أن صاحب سينما بيت القاضي لم يكن لديه سوى فيلمين فقط يعرفهما لكل من يرغب، وكنت



أشاهد الأفلام نفسها كل مرة، أحدهما «لشارلي شابلن»، والثاني لفانتوم، وهو بطل مثل ماشيست، لكنهما كانا يلهبان خيالي فقد كنت طفلاً فى الخامسة من عمري وأذكر أنني لكى أذهب إلى السينما كانت تصحبني من بيتنا سيدة كانت تعمل عندنا، وكانت ما إن تدخل السينما حتى تغط فى نوم عميق، وكنت أنا أتفرغ لمشاهدة الأفلام(٦٨) انتقلت فى الصبا من سينما بيت القاضي إلى سينمات أخرى أكثر حداثة مثل سينما أولمبيا وسينما ادیال، فقد كانت كل منهما تعرض أفلاماً جديدة بدلاً من الفيلمين اليتيمين اللذين كان يملكهما صاحب سينما بيت الماضي، ولم يكـن يعرض غيرهما، وقد وصل عشقي للسينما إلى درجة أنى اشتريت سينما صغيرة كانت عبارة عن علبة صغيرة بها منظار ومكان توضع فيه شمعة داخل العلبة وكنا نغلق علينا الغرفة ونطفيء الأنوار ونشاهد الصور أمامنا على الحائط، أما الأفلام فكنت أشتريها من محل أمام سينما أولمبيا، وكانت تلك أول جامعة بالنسبة لي فتحت ذهني على جميع المعارف فى الأدب والفنون، وما زلت أذكر مشهد المحـل وصاحبه الجالس فيه الذي كان يبيع هذه الأفلام كما تباع الكتب، لم يعد هناك شي مـن هذا الآن، فحين أقارن هذه الأفلام البدائية بأفلام الفيديو الآن أو ما يعرف باسم CD ROM أجد فرقاً هائلاً، فقد كانت السينما التي كنت أملكها بسيطة فى كل شيء، لكنهـا كانت مبهرة بالنسبة لي فى صباي، وكان من الأفلام التي ما زلت أذكر أنني اشتريتها فيلم «مسكـو» الكوميدي الذي يذكره أبناء جيلي جيدا(٦٩) كنا نذهب كل يوم جمعة إلى سينما «أولمبيا» فنشهد أفلام المغامرات العنيفة، ونخرج لنجد هذه الروايات معلقة تحت بواكى شارع محمد على فنشتريها لنعيش مرة أخرى فى هذا الجو الصاخب العنيف الذي يصنعه فى أخيلتنا أبطال القصص والأفلام(٧٠).

والفتوات كعادتهم فى استخدام القوة احتلوا داخل سينماه معظم الحفلات الأساسية والعامة، كنت أرى الخناقات بينهم تقريباً كل أسبوع، كانوا يدخلون فى أرض المماليك، ولما يكسروا بعض يأتي اللوري ويحملهم إلى قسم الجمالية.

كثيراً ما حدث أن تحول فرح من أفراح الحارة إلى خناقة رهيبة لأن الفتوات الذين كان بينهم خصومات يجدونها فرصة للانتقام وسط الزحمة والهيصة، ومع ذلك كان الفتوات يعملون أحياناً مع الحكومة، فعندما بدأت شركة «سانت كر وفت» عملها بتسيير الأتوبيسات فى عدة مناطـق بالقاهرة، كانت الحسينية، وبيت القاضي، من ضمن خطتها إلا أن الناس رفضت أوتوموبيـل الشركة الذي يفسد الهدوء المتعارف عليه، فكانوا يقذفونه بالطوب ويسخرون ممن يركبـه، بالكلام، وقد يتمادى الأمر فيصعد أحدهم ويضرب واحداً من الجالسين على قفاه ويسرع



بالنزول وسط ضحكات المتفرجين، ولم يكن هناك غير حل وحيد لإنقاذ الأوتومبيل ومن فيه، ولم تجد الشركة إلا الاستعانة بفتوة ليمنع هذه التصرفات ووقع الاختيار على المعلم بيومي، وهو كان في الصف الثاني بعد عرابي - الفتوة - عملوه مفتش فتوقف الضرب، المسئولين ألبسوا «بيومي» بدله، لكنهم لم يعثروا على جزمة تناسب مقاس قدمه الضخمة، فكـان بالبدلة وحافي. !

وقد انتهى عهد الفتونة على يد عرابي عندما أمسك ذات مرة بضابط انجليزى وضربه وجرده من ثيابه الرسمية وأعاده إلى الداخلية وسط إستهزاء الجميع به، فتم القبض عليه وأوسعه الضابط ضرباً ثم أعادوه إلى الجمالية كسيراً وممنوعاً من ممارسة أي نشاط، وامتد هذا ليشمل بقية الفتوات(٧١) من الناحية الطبيعية أنا شاهدت الفتوات وتأثرت بهـم وبهرونى، الفتوة كان حامى الحارة ولكنه مثل بعض الحكام أحيانا يكون حاميها حراميها)(٧٢)

كتاب الشيخ بحيرى

كان الكتاب فى الجمالية وجاء عيد ميلادي الرابع في ١١ ديسمبر سنه ١٩١٦، وقرر أبى أن يحتفل به، فأدخلني كتاب الشيخ بحيرى.[٧٣]

البليد صار مجتهدا

في الحضانة كنت بليدًا ودائما ما كنت أتعرض للضرب لهذا السبب[٧٤] كنت كارهاً للدراسة وخائفاً منها، بل كنت أراها عائقا يحرمني من أسعد لحظات حياتي لدرجة أنني تصورت وقتهــا استحالة استمراري في التعليم وكنت بالطبع أؤنب وأضرب حتى أؤدي الواجبات، ثم أصبت بمرض من أمراض الطفولة ورقدت بسببه فترة من الزمن، المهم أنني لاحظت تغيراً كبيراً فى معاملة الأسرة لى: يحضرون لي الهدايا، ويكلمونني بلطف ورقةً وبعد أن تم شفائي استولت على رغبة شديدة أن تستمر هذه المعاملة الطيبة ولا أحرم منها فكيف يأتي هذا؟

لم يكن أمامي سوى أن أجتهد فى الدراسة وأمري إلى الله والحقيقة أنه من بعد المرض وحتى الليسانس كنت متفوقاً ولم يحمل والدى أى هــم من ناحية دراستى). [٧٥]

مدرسة الحسينية الإبتدائية

كنت أحب اللعب على سطـح البيـت مع الفراخ، لكن الوضع تغير بعد أن انتقلنا إلى حي العباسية ودخلت في المدرسة الإبتدائية[٧٦] بدأت أشعر بالمسئولية فارتفع مستواي في التعليم[٧٧] في هذه الفترة بدأت أحب التعليم وتفوقت فيه، وبدأت قراءاتي الحرة وتعلقت بالثقافة وتنبهـت لأسماء الكتاب مثل المنفلوطى، وفى هذه الفترة بدأت جذوري تتكون، كنت أقرأ كل مـا يصدرأ كانت حاجات قليلة ونادرة، كتاب كل سنة أو سنتين لكل كاتب، واستطـــاع هـؤلاء الكتاب تحويل اهتمامي من ناحية الفكر، وشعرت أنى أريد أن أكتب[٧٨] (ولكنني) لم أقرأ عن محاكم التفتيش إلا بعد أن تخرجت فيها (مدرسة الحسينية) وحصلت على الابتدائية ! ولكني كنت أتذكرها في كل سطر قرأته بعد ذلك عن محاكم التفتيش! [٧٩]

كل طفولة ولها متاعبها التي نعانيها ولكن عندما نغادر هذه المرحلة ونرى أشياء أفظع يهيأ لنا أن الطفولة كانت فردوساً (عشت طفولة سعيدة) نسبياً، أسباب الحياة كانت مهيأة ليس لأننا أغنياء ولكن لأن الحياة كانت رخيصة، فاستطعت الإستمتاع بالحياة المتاحة وكنت أعتبر أنه لا يوجد أفضل من ذلك، كانت لي في صغرى أربع هوايات: لعب الكرة فى الشارع مع رفاقي، وسماع اسطوانات سيد درويش، وسلامة حجازي، ومنيرة المهدية، من فونوغراف بيتنا، أبو بوق" وثالث هوايــة كانت القراءة.

(أما) رابعة هواياتي في صغرى، فكانت الرحلات – رحلات كنت أقوم بهـا وأنا تلميذ فى الابتدائية مع زملائي كل يوم جمعة، فنذهب سيراً على الأقدام من العباسية إلى حي الحسـين، و"زقاق المدق"، و "فم الخليج"، و"خان الخليلي"، و"الغورية"، ونتمتع بالحرية بعيداً عن عيون الكبار[٨٠].

علقة بسبب الإنجليز

أغلى ذكرياتي هى أيام الثورة الوطنية ثورة ١٩١٩ كنت صغيراً في الثامنة من العمـر وكنت قد سمعت أن الأمة تجمع توقيعات الناس لتأكيد أن الوفد المصري يحمل الصلاحية لتمثيـل البلاد في مؤتمر الصلح، وجاء والدي يحمل أوراقاً عليها توقيعات كثيرة آخرها توقيعه هـو، وقال لي: وقع باسمك ولكن لم أكن قد أتقنت كتابة إسمى.. تركني أبى قليلا، ثم نادى على أمي وبصمت بنفسها، وبعد أمي جلست أكتب اسمى، ولم أكن قد تمكنت من (رسمه) بعد، جربت مراراً في ورقة أخرى ولكن ظل اسم إبراهيم وهو اسم جدي مشكلة، وأخيراً وقعت بدون (إبراهيم) وذهبت أمي بالتوكيل وعادت وقد بصمت كل سيدات الحي[٨١]، كان والدي يحبني جداً وكان يعاملني بحنان ولطف، كان ديمقراطيا في تعامله معنا، وأتذكر أنه لم يضربني إلا مرة واحدة، عندما كنا نقيم في بيت القاضي، وكان البيت مطلاً علي الميدان، الذي كان يوجد فيه عساكر انجليز، وكانت تعليمات والدي عدم فتح النوافذ المطلة علي الميدان لأن الإنجليز كانوا يخافون من النوافذ المفتوحة معتقدين أن الناس سيطلقون النار عليهم منها، وانتهزت يوماً فرصة انشغال والدتي، وفتحت النافذة حتي أشاهد العساكر الإنجليز وأقلد حركاتهم وأصواتهم وهم يغيرون الطابور العسكري، ووجدت والدي فجأة فوق رأسي وكله غضب. جذبني إلى الوراء وأغلق النافذة ثم طرحني أرضاً، وأمسكت والدتي بقدمي ورفعتها إلى أعلي، وظل والدي يضربني علي باطن قدمي حتي تورمتا).[٨٢]

أول مظاهـرة

يوم أن كنت أسير مع ابن عمي، الصورة تمر بذهني الآن - هو رجل كبير وأنا طفل صغير.. هو يمسك في يده مجموعة من الورق لا شأن لي بها، وأنا أمسك في يدي شيئاً قد يكون لعبة، قد يكون قطعة من الحلوي.. هو يتوقف في أماكن معينة يسلم فيها بعضا من هذه الأوراق التي يحملها، وأنا طفل تبهرني المناظر التي أشاهدها في الشارع، ولا أهتم بما يفعل ولا بمن يقابل.. لقد عرفت بعد ذلك أن مجموعة الأوراق المطبوعة التي كان يحملها ابن عمي هي (منشورات سرية للثورة) وعرفت أيضاً أنه كان يصحبني معه ليس للنزهة، ولكن لكي لا يكتشف أمره، واذكر الآن يوم أن اشتركت في أول مظاهرة.. كان ذلك في مدرسة الحسينية الإبتدائية، حين وقف بيننا زعيم الطلبة وكان أكبر مني سناً، وبلغنا أن هناك خلافاً بين الملك فؤاد وبين سعد زغلول، وسبب الخلاف هو من يكون مصدر السلطات.. الأمة أم الملك؟

والحق أن حماسة (عبد المنعم) وهذا هو اسمه كانت تدعو إلى الإعجاب، الأمر الذي جعلني لا أخشي شيئاً - بالرغم من أن عمري في هذه الفترة كان بين العاشرة والحادية عشرة - حينما طلب منا أن نتبعه للتوجه إلي ميدان عابدين حيث قصر الملك، كانت قيادة المظاهرات بالتناوب، وإني أذكر بهذه المناسبة أنه عندما جاء عليّ الدور لقيادة المجموعة التي كنت في وسطها رددت: (تحيا سعد.. تحيا سعد) حتي أن أحدهم صحح لي هتافاتي قائلاً (يحيا سعد وليس تحيا سعد)[٨٣].



يوم أن بكيت

ثلاث مرات بكيت فيها بحرقة: يوم مات سعد زغلول[٨٤] الوحيد الذي تمنيت أن أراه ولم أستطع، وفي أول مظاهرة اشتركت فيها وكان عمري ١٥ سنة لم أتمكن من رؤيته من الكتل البشرية المحيطة به[٨٥].

الشخص الوحيد الذي حلمت به أكثر من مرة هو سعد زغلول، فمن الجائز لأنه لم يصادفني الحظ ورأيته رؤية العين، أحلم بأنه استيقظ من رقدته الأخيرة وخرج من أكفانه، الغريب أنني أصحو من الحلم وأنا منهك شاعر بالإرهاق[٨٦].

(وبكيت) يوم مات أبي، ويوم عرفت أن المنفلوطي رجل ميت منذ زمن بعيد، وكنت ألتهم كل كتاباته وقررت أن أتعرف عليه.

آه بالحق افتكرت ! بكيت مرة رابعة سنة ١٩٣٢ يوم أقامت السيدة روزاليوسف حفلة تمثيلية خيرية، وتبرعت بإيرادها لقرية احترقت عن آخرها، وكانت قد اعتزلت التمثيل واشتغلت بالصحافة وصارت لها فيها مكانة مرموقة. فلما تألمت من أجل القرويين الذي شردتهم النيران واشتركت فعلاً في التمثيل بالقيام بالدور الأول في مسرحية (غادة الكاميليا) أجادت أيما إجادة بل أبدعت، حتى سالت دموعي تجاوباً وانفعالاً بروعة التمثيل[٨٧].

حنان أمي

مضت الأيام لتغير أحوالي عندما التحقت بالمرحلة الإبتدائية، فقد قَلت شقاوتي وأحببت الدراسة وشعرت بالمسئولية، كنت دائماً من الأوائل وأحصل على تقديرات عالية، هذا التفوق جعل والدي يهتم بي أكثر، ويزيد من مصروفي. وظل الوضع على هذا الحال حتى انتقلت إلى المرحلة الثانوية ثم البكالوريا (تعادل الثانوية العامة الآن) وكان والدي يريدني أن ألتحق بكلية الحقوق وكلية الطب ولكنني التحقت بكلية الآداب[٨٨].

أمي كانت على مدى العمر تترك لي حرية الاختيار، فأنا اخترت سبيلي في الدراسة بتشجيعها وموافقتها رغم أن الطريق الذي اخترته غير الذي تأمل فيه الأسرة حيث كانوا يأملون في أن أكون طبيباً أو مهندساً.. وخصوصاً أنني كنت متفوقاً في الرياضيات والعلوم. ولكنني دخلت قسم أدبي، فكانت صدمة لهم، ثم دخلت كلية الآداب فكانت صدمة ثانية، ثم قسم فلسفة فكانت صدمة ثالثة ولم أجد بجواري طوال كل هذا سوى أمي رحمها الله[٨٩].

وقد استفدت من أمي حناناً مازلت أذكره وأشعر بدفئه وقد تخطيت الثمانين، كانت سيدة بيت ولم تكن موظفة، وكان الزوج يعمل خارج البيت، لذلك كانت صلة الأم بالأبناء قوية جداً، والأب عادة كان على الهامش خاصة في السنوات الأولى ولا يظهر إلا وقت الأزمات، أما الأم فهي كل شيء[٩٠].

فتأثيرها قوي جداً عليّ أكثر من والدي لأنها كانت باستمرار معي، لكن والدي كان مشغولاً دائماً بعمله[٩١].

من حسن طالعي أنني تمتعت بحنان الأم إلى النهاية فقد شاء الله أن تعمر والدتي حتى وصل بي العمر إلى ما بعد الخمسين، وهكذا تمتعت بالكامل بكل فترات العمر التي تحتاج إلى رعاية الأم وعطفها وحنانها، وأتصور أن يتيم الأم في الصغر قد فقد ثروة لا تقدر، ولا تصدق ما يقال من أن فلاناً أو فلانة كان بمثابة الأم فهذا كلام مجازي لأن منزلة الأم لا تشغلها إلا الأم لكن من لطف الأقدار أنني حين توفيت والدتي كنت قد خبرت الموت والأحزان من قبل، فمثلاً توفى والدي وأنا في حوالي الخامسة والعشرين، وقد سبب لي ذلك صدمة قوية جداً لأنه رغم أن

علاقتي بوالدي قوية، فإن رحيل الوالد كان أول تجربة لي مع الموت في محيط الأسرة القريبة مني، ولو كانت المتوفاة هي الوالدة لكانت صدمة أشد بكثير، لذلك فرغم حبي الشديد لوالدتي الذي لم يكن يدانيه أي حب آخر، فإن حزني على والدي كان أشد لأنه كان في سنوات التكوين الأولى، فالإنسان طوال فترة حياة أمه يعتمد عليها في أشياء كثيرة قد لا تكون بالضرورة أشياء مادية، ولكن هو يعتمد عليها عاطفياً، لكن برحيلها يفقد سنداً عظيماً في الحياة، ويدرك أنه قد أصبح الآن وحيداً في هذا العالم، قد يكون له أصدقاء، وقد يكون له أبناء وأحفاد، ولكن يعلم أن مكان الأم قد أصبح شاغراً إلى الأبد[٩٢]. رحيل والدتي أثر فيّ كثيراً رغم أنني كنت قد تخطيت الخمسين[٩٣].

أسرع هداف في زماني

عندما كنت صغيراً كنت أحب أن أتقن أي شيء أصنعه من أجل أن أسمع كلمة إستحسان، أذاكر حتى أجد تقديراً من المدرس، أشوط الكرة جيداً لأسمع التصفيق، إن الإستحسان شيء هام للنفس البشرية[٩٤].

كنت أعشق كرة القدم وزاولتها عشرة سنوات في أثناء دراستي الإبتدائية والثانوية ولم يأخذني منها سوى الأدب.

تولد حبي لكرة القدم عندما كنت أشاهد مباراة بين الفريق المصري والإنجليزي وكان الفوز في النهاية للمصريين، هزتنى هذه النتيجة لأنني كنت أعتقد أن الإنجليز لا ينهزمون، كان اسم فريقنا آنذاك (قلب الأسد) وكنت أشهر لاعب في شوارع العباسية[٩٥].

كنت لاعباً حريفاً كما يقولون ولو كنت مستمراً في هذا لكنت لاعباً مشهوراً في أحد النوادي الكبرى[٩٦] إنتمائي للزمالك إنتماء تاريخي حيث بدأت علاقتي به منذ كان اسمه نادي المختلط، مع انتقال حسين حجازي له فقد تمنيت فعلاً أن أكون أبناً لحسين حجازي أسطورة الكرة المصرية (و)عندما كنت أتدرب على الكتابة كانت شخصيات أولى رواياتي – التي لم تنشر كلها – عن لاعبي كرة القدم (...) أراها رياضة ومتعة وفرصة للتفكير والصحة والعافية[٩٧]. الكل يقول الآن: في العجلة السلامة.

ومع الفارق فلاعب كرة القدم لا يعنيه سوى تسجيل هدف أما استعراض القدرة على اللعب الذي كنا نسميه في زماننا ترقيص الخصم، وهو ما كان يسبب متعة عالية للمشاهدين، فلم يعد موجوداً من المتفرجين من يمكنه الإهتمام بهذا الأمر، كلما كان تسجيل الهدف سريعاً ومباشراً ومفاجئاً ومباغتاً كان هذا أفضل ألف مرة، ولا تنسى أنني لعبت الكرة من قبل وكان يطلق عليّ في العباسية أسرع هداف في زماني[٩٨].

النظام يطيل الوقت

المسألة ليست ميكانيكية ولكنها جاءت نتيجة للتنوع وحب الحياة، وعندما كنت تلميذاً كنت أحب الإجتهاد لأن الإجتهاد في حياتي كطالب من أسرة فقيرة يجب أن أنجح وبتفوق، وأحب الرياضة والتفوق فيها، وأحب أن أسمع أم كلثوم وعبد الوهاب، وأحب أن أسهر مع الأصدقاء. من أين آتى بالزمان الذي يتيح لي هذا؟ إذا استسلمت لرغبة من هذه الرغبات أو هواية واحدة بلعتك، لي أصدقاء كثيرون بلعهم السهر وبلعهم الشغل وبلعهم الاجتهاد وهكذا، إنما من أجل أن تستمتع بكل هذا ينبغي أن تجعل لكل هواية أو رغبة أو متعة خانة لكي تضبطها، وبالفعل ذاكرت ولعبت وأحببت وكل حاجة عملتها [٩٩]جربت كل شيء ولكن في إطار منظم وطوال الأسبوع كنت طالباً ملتزماً متفرغاً لدراستي والعلم وأما يومى الخميس والجمعة فكنت شيئاً آخر، عشت حياتي طولاً وعرضاً وكان يخيل لك أن الشاب الموجود معك في المنزل ليس هو الآخر الموجود خارجه. عشت حياتي وجربت كل شيء من خلال نظام وليس من خلال فوضى فاستقامت الأمور، والنظام يحكم كل شيء، أذكر أن بعض أصدقائي من شلة الكرة استهلكهم لعب الكرة لأنهم اندمجوا في اللعب وأضاعوا دراستهم والسبب الأساسي لمحنتهم هو عدم النظام لاأكثر ولاأقل[١٠٠] أو بالعكس يتفوقون إلى حد لايجدون فيه فرصة للعب، كي نجمع أشياء كثيرة علينا أن ننظم وقتنا، تعودت إذن على النظام فهو يطيل الوقت ويجعل يومك مليئاً بالنشاطات المتعددة، دون نظام يضيع يومك[١٠١].

(أما الصحة) أتذكر أنهم كانوا يأخذوننا من المدارس لنزور المتاحف ومن بينها متحف فؤاد الأول الصحي، هناك كنا نرى صوراً طبيعية من المستشفيات لضحايا المخدرات وكنا وقتها في سن المراهقة كان الواحد يخرج من المتحف لا يفكر أبداً في هذه الأشياء.

شبابي وجهاد نفسي

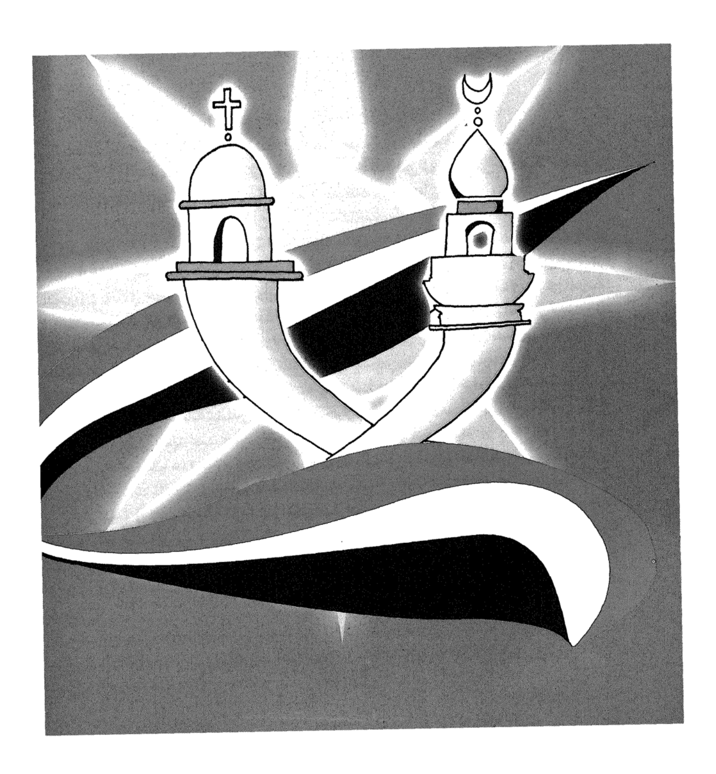
وحامت أحلام صبانا وشبابنا حول الاستقلال والديمقراطية والنهضة بصفة عامة، أما الحرب فلم تخطر لنا على بال، أو تجرى لنا فى خاطر، كأنها قدر لا يجوز علينا. من عجب بعد ذلك أننى شهدت وطنى يخوض حروبا متلاحقة لم يتهيأ لفرد واحد أن يشهد نظيرها من كثرتها» [1] نجيب محفوظ

مدرسة **فؤاد أول الثانوية**. تذوقت فيها السياسة واندمجت في الحياة السياسية، كان ذلك في الفترة بين سنتي ٢٥ و٣٠ -١٩- إشتركت في حزب الوفد الذي كان في كفة يمثل الشعب وفي الكفة الأخرى كان حزب الأحرار الدستوريين يقف في حديقة القصر ويسند رأسه إلى الملك نفسه، وكنا في فسحة الغداء نقف في حوش المدرسة.. الوفديون يتكلمون عن المعارك والمبادئ والأهداف والإضطرابات وتقديس الزعيم، والأحرار الدستوريون يتكلمون عن مسرحيات يوسف وهبي في فرقة رمسيس وسهرات الليل وجو أوربا في فصل الصيف، فقد كان معظمهم من الأرستقراط وأبناء باشاوات الإقطاع، وسقط النحاس من على الحكم وجاء محمد محمود مرشح الإنجليز فأجل العمل بدستور ٢٣ لمدة ثلاثة سنوات ووضع محمد محمود الطين في أفواه الشعب ليكف عن الكلام ثم وعد بإجراء إصلاحات عامة شاملة أهمها برنامج ضخم لردم البرك والمستنقعات! وكتب محمد التابعي مقالاً في روزاليوسف يستقبل به عهد محمد محمود.

وكان عنوان المقال(*) (سخام البرك)[2] تصور أن أكبر أفراحي أو أحزانى لها أسباب سياسية عامة، أحياناً يخيل لى أنى سأصاب بالسكتة من فرط الدهشة والذهول.

أول صدمة لى كانت عام (١٩٢٩) أيام حكم محمد محمود يوم أعلن تأجيل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وآخر صدمة لى يوم ٥ يونية[3] أول مرة شعرت فيها بالسعادة الغامرة مع كل من حولى كان عند عودة سعد زغلول من المنفى رغم أننى كنت فى سن مبكرة جداً ما بين الطفولة والصبا. فى تلك السن لم أكن أدرك المغزى السياسى لمثل هذا الحدث لكنى شعرت بفرحته من خلال من كان حولى، وقد كان ذلك بداية تشكيل وعيى السياسى.[4]

لصوص مصر ونشاليها تعاهدوا يوم عودة الزعيم الخالد سعد زغلول من منفاه على الكف عن إرتكاب أى جريمة فى ذلك اليوم، ومر اليوم بسلام رغم خلو البيوت من سكانها واكتظاظ الشوارع بالعباد. إذن فحب الوطن يجمع بين المنحرف والسوى[5].



وطنيتي لا تذوب

هناك في حياتي بعض الثوابت مثل الوطنية، فمهما اختلفت قناعتي السياسية وتبدلت إلا أن إحساسي الوطني هو حقيقة قائمة لا تتغير ولا تتبدل. فإني أنتمي لجيل كانت السياسة جزءاً من تكوينه. ففي بدايات القرن كانت قضية الاستقلال وجلاء القوات الانجليزية حقيقة من حقائق الحياة. وكان الزعيم سعد زغلول هو رمز هذه القضية بل كان رمزا للوطنية ذاتها ولذلك فقد نشأت علي حب مصر. وحتي الاشتراكية في سنوات النضج لم تنجح في زعزعة هذا الشعور بالوطنية الذي كان حقيقة ثابتة، فهناك مثلا من جعلوا الاشتراكية العالمية تزيح الوطنية لكن الوطنية وإن اتجهت عندي إلى العالمية. إلا انها لا تذوب أبداً في هذه العالمية، وقد وجدنا أن الوطنيات التي كنا قد تصورنا أنها ذابت في الإتحاد السوفيتي قد عادت مرة أخرى تطل برأسها كحقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها وأني أشعر بأن معرفتي بمصر ليس بها أي مناطق جهل أوعدم معرفة فلا أستطيع أن أقول أن هناك مالا أعرف فيها يختص بمصر وأنا لا أقصد هنا المعرفة الإحصائية الموجودة في الأرقام والبيانات وإنما أقصد المعرفة الكلية التي تجيء من القلب. إن مصر هي بلد من البلدان إمتازت بأنها كانت من أوائل بلدان العالم التي فتحت طريق الحضارة وهي تتلخص في طيبة وفكاهة وسماحة وذكاء أهلها وأيضا في الصبر واحتمال المكاره الذي يتصفون به وتلك الصفة الأخيرة شربناها طوال تاريخنا بخيرها وشرها. في بعض الأحيان يستعصي علي فهم بعض سلوكيات العنف الغريبة علي وطننا وتاريخه لأنها لا تتفق مع الطبيعة التي نعرفها عن مصر وهي تدعو للدهشة من أين جاءت خاصة في هؤلاء الشبان الجدد (...) لأن الطبيعة التي عاش بها هذا الشعب سبعة آلاف سنة سيكون لها الغلبة في النهاية. فهذه الظاهرة الدخيلة هي نتيجة لظروف طارئة وستزول بزوال الظروف التي أوجدتها. إن ثقتي بهذا الشعب ما زالت كما كانت ونظرتي للإرهاب ورفضي له مازال أيضا كما كان.[٦]

فضل مدرس اللغة العربية

(في الثانوي) لاشك أن مدرس اللغة العربية كان له أثر كبير في توجيهنا لقراءة الأدب والتراث لأنه لم يكن يتقيد بالمنهج المقرر وكان دائماً يضفي علي حصته بهجة كبيرة بالإستشهاد بشعر خاص وحكايات أدبية، فكنا نسأله عن مصادرها فكان يدلنا علي كتب من التراث القديم ولذلك بدأت أقرأ كتباً لم يكن جيلنا يقرؤها أو يعرف عنها شيئا مثل الكامل، والأمالي، وأيضا وجهنا للأدب المعاصر مثل كتابات المنفلوطي وغيره.[٧]

بدأت في نهاية المرحلة الثانوية أكتب مقالات فكرية ونقدية لمجلة (المجلة الجديدة) والمعرفة والحديث، وفي نفس الوقت كتابة الرواية وكنت أنشر المقالات وأحتفظ بالروايات، هذه المقالات فات وقتها وظهرت مدارس فلسفية ومؤلفات حديثة ولم يعد لما كتب قيمة كبيرة[٨]. كان الفكر هو القراءة الأولى بل إن الرواد في مصر كانوا مفكرين أكثر منهم مبدعين، ولكن قراءاتي حتى في الوقت المبكر لم تخل من الجانب الأدبي ولكن الأدب في حياتي لم يكن بديلاً عن شيء آخر، كان اختياراً حراً مائة في المائة وكان إختيار حياة جسد لي الحد الأقصى من الإحساس بالمسئولية، ولكن الغريب أن ما وقع تحت يدي من روايات مترجمة مثلا فى المرحلة الثانوية كنت أقرؤها كما يقرؤها الصيدلى أوالمهندس أوالطبيب، وحتى عندما فكرت فى التخصص إخترت الفلسفة ولم أفكر بالأدب، وفى الجامعة أيضاً كتبت القصة ولكن لم يخطر ببالى التخصص فى كتابتها، أقول لنفسى: إن طه حسين يكتب القصة ولكنه مفكر أولاً وأخيراً، العقاد كتب رواية. سلامة موسى كتب قصصاً، ولكنهم جميعاً مفكرون[٩].

أم المصريين تضمد جراحي

كلية الآداب: لم تكن الرؤية واضحة وقتها، سألت أين أدرس هذا الذي أقرأه فى كتب ومقالات الرواد؟ فقيل لى فى قسم الفلسفة بكلية الآداب، وبالفعل أعطتنى هذه الدراسة فرصة طيبة للتعرف على الفكر الانسانى[١٠] دخلت قسم الفلسفة، عشت مع سقراط وأرسطوطاليس وابن سينا ولكنى لم أنس النضال السياسى، وعندما جاء إسماعيل صدقى إلى الحكم قرر أن يعيد أمجاد الحاكم بأمر الله: منع المظاهرات وأصدر أوامر إلى أقسام البوليس بأنه لا يهمه القبض على النشالين واللصوص مثل اهتمامه بالقبض على المتظاهرين قبل أن يهتفوا بسقوط الحكم، ومع ذلك كان إسماعيل صدقى يضم أصابعه خلف أذنه ويرهف سمعه لهتافات المتظاهرين وهو يجلس خلف مكتبه فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء، وكان المتظاهرون فى مكتبهم يتبعون تخطيط الحارات، تجتمع الجماعة فى الحارة ثم تسير لتلتقى بجماعة من حارة أخرى ثم يسيرون فى طريقهم، والحوارى الجانبية تصب فيهم مزيداً عن المتظاهرين حتى إذا ما وصلوا إلى الشارع الرئيسى كونوا مظاهرة كاملة تهتف: يسقط صدقى عدو الشعب!

ومرة كنت فى إحدى المظاهرات والتقينا برجال البوليس فى شارع قصر العينى فطاردونا وجريت وجرى ورائى عسكرى سوارى بحصانه وظللت أجرى فى شارع سعد زغلول حتى وصلت إلى ((بيت الأمة)) فقفزت فوق السور وفى اللحظة التى كنت أهوى فيها داخل الحديقة كان العسكرى قد لحق بساقى وأمسكها ووقعت فى أرض

الحديقة بعد أن انخلعت فردة حذائى فى يد العسكرى، واستقبلتنى صفية زغلول" أم المصريين" فضمدت جراحى، وقدمت لى كوباً من الشربات ثم انضممت إلى جيش من الجرحى يتمددون فى البيت، لأسترد أنفاسى.

أدين للجامعة

حصلت على ليسانس الآداب سنة ١٩٣٤، أعترف أننى وسائر جيلى من طلبة الجامعة لم نستفد من الجامعة نصف ما استفدناه من قراءة إنتاج طه حسين والعقاد والمازنى وحسين هيكل فى هذه الفترة[١١] (لكن) بلا شك أنا أدين للجامعة بالكثير، فقد هيأت لى فرصة للثقافة المعاصرة بطريقة منظمة، وعلى يد خير الأساتذة، كما وفرت لى منهجاً للبحث ومراجع واتصالات لم تكن تتاح لى إلا فيها، وأنا من الذين يؤمنون بالدراسة الجامعية والمعهدية وأعتقد أن عصر الفنان غير المنتسب لمعهد قد مضى.. لقد وضعت الجامعة الأساس المتين الذي نهض عليه جهدي الشخصي[١٢].

لا تقدر بثمن

بدأت حياتي الفكرية بقراءات هزلية لم تكن لتخلق لي ثقافة أو تصنع مني أديباً حتى لو واظبت علي قرائتها ألف عام[١٣].

بدأت قراءتي بالروايات البوليسية (سنكلير) و(جونسون)و (ميلتون توب) وغيرها من الروايات التي كان يترجمها حافظ نجيب بتصرف وكانت منتشرة هي وأمثالها في أيام طفولتنا ولم تكن هناك بالطبع كتب خاصة بالأطفال علي أيامنا لذلك كانت هذه الروايات هى كل قراءتي الأولى فى أواخر المرحلة الابتدائية وأوائل الثانوى.

ربما استعرت أول الرواية من زميل لى فى المدرسة الابتدائية فأعجبتنى وعرفت أماكن شرائها[١٤] كانت البداية إحساساً مؤلماً بعدم المعرفة وشغف كبيراً بالإستزادة من الفنون والآداب، وأذكر أننى كنت وأنا طالب بالمدرسة أصنع قائمة للقراءة تضم أهم الأعمال التى على أن أقرأها، لكن مع قراءاتي كانت هذه القائمة تزداد ولا تقل فقد كان كل كتاب جديد أقرأه يفتح عينى علىّ كتب أخرى أجهلها وكنت أشعر دائماً أن الجهل يطاردنى وأنا اتعلق بأذيال معرفة بسيطة رغم أنه لم يمضى يوم فى حياتى دون أن أحصل فيه على معرفة جديدة وقد وضعت نصب عينى أن أقرأ

لكل قمة من القمم، الكتاب القمة الخاص بها، وبالفعل قرأت كل ذلك لكن كنت أكتشف أن معرفتى بشكسبير مثلاً لا يمكن أن تعتمد على عمل واحد له حتى لو كان هذا العمل هو إحدى قممه ونفس الشيء بالنسبة لديكنز أو موليير أو غيرهما. أما الأدب العربى فإن معرفتى بدأت بالتراث من القرآن الكريم والأحاديث إلى الشعر الجاهلى،[١٥] تأتى بعد ذلك مرحلة المنفلوطى وما أدراك ما المنفلوطى وأثره الخطير فى تهذيب النفوس[١٦] تعلقت بالمنفلوطى وكان مصطفى لطفى المنفلوطى هو المدرسة الإلزامية لجيلنا كله[١٧].

أسلوبه جديد جميل ساحر فيما يتناوله من موضوعات كانوا يترجمونها له ويقوم هو بتعريبها بطريقته المتميزة الآتية من بين أساليب صعبة جداً فكان مثل المياه الحلوة ولهذا كان له تأثير فى جيلنا كله، وقد قرأت له مجدولين عشرين مرة، كنا نتعلم اللغة والنحو من أسلوبه فقد قام بنقلة كبيرة جداً قبل المجددين. لقد كنت أعلق له صورة فى بيتنا على أساس أنه على قيد الحياة واتضح لى أنه فارق دنيانافبكيت عليه بعد وفاته بعشر سنوات[١٨] ومع المنفلوطى وبعده كنت أقرأ مترجمات الأهرام وهى روايات تاريخية فى الأغلب (لبول كين) وتشارلز جارفيس وغيرهم كانت تنشر مسلسلة فى الأهرام ثم تجمع فى كتب بعد ذلك[١٩] ثم ألهبت الوطنية وأحداث السياسة عاطفتى فكتبت الشعر الوطنى[٢٠].

وفى مرحلة مبكرة من التعليم الثانوى قرأت (البيان والتبيين) للجاحظ و(الأمالى) لأبى على القالى و(العقد الفريد) لابن عبد ربه وأمثالها من المؤلفات الموسوعية، وأذكر أنى كنت أستعير بعض عباراتها فى موضوع الإنشاء وكان ذلك يثير عجب أساتذة اللغة العربية ودهشتهم.

وبعد ذلك تأتى مرحلة اليقظة على أيدى طه حسين والعقاد وسلامة موسى والمازنى وهيكل، وبعد فترة أسهم فيها تيمور وتوفيق الحكيم ويحيى حقى، وأنا أسمى هذه المرحلة مرحلة التحرر عن طريقة التفكير السلفية وطريقة التذوق السلفية والتنبه إلى الأدب العالمى والنظر فى الأدب العربى الكلاسيكى نظرة جديدة مع الإطلاع على نماذج أشبه ما تكون بالأمثلة للقصة والأقصوصة وتلخيصات لأشهر المسرحيات العالمية، ثم جاءت أمثلة المسرحية المؤلفة على يد توفيق الحكيم.

وبعد فترة اليقظة التى حدثتك عنها استمرت القراءات فى الأدب العربى القديم ولكن بعقلية جديدة واتجهت للشعر أكثر وبخاصة أبى العلاء المعرى والمتنبى وابن الرومى[٢١] كذلك فان هناك أدباً فرعونياً غاية فى الجمال وقد قرأته شعراً ونثراً وقصصاً واستخدمته فى الكثير من أعمالى مثل (عبث الأقدار) و(رادوبيس) و(كفاح طيبة) وأخيرا (العائش فى الحقيقة) غير عشرات من القصص القصيرة[٢٢] وأستطيع أن أقول أن قناعتى بالفن والأدب هى المعارف

التى لم تتزعزع طوال سنوات حياتى باعتبارها نشاطاً إنسانياً سامياً ونبيلًا لا غنى عنه من أجل سلامة الإنسان.(٢٣)
واذكر أننى خلال سنوات ما بين المرحلة الإعدادية والثانوية وأيضاً خلال سنوات الجامعة كان اعتمادى الأساسى فى الإطلاع على دار الكتب ففيها قرأت التراث كما قرأت أيضا المؤلفات الحديثة المهمة فى الآداب والفنون والتاريخ والسياسة والعلوم، ولقد قرأت فى كل ذلك بدار الكتب وقد تشكل مفهومى لفن الرواية من كتب استعرتها من دار الكتب وكان هناك نظام للإطلاع الداخلى ونظام الاستعارة لقاء ضمانات بسيطة كأن تعطى المدرسة أو الجامعة ما يفيد بأنه طالب فيها أو تقول جهة ما أنه موظف لدينا، وهكذا تسنى لى استعارة كتب عظيمة لا تقدر بثمن.(٢٤)

أفكارى الكاريكاتيرية

وحين دخلت الجامعة مررت بفترة تعتبر فترة تشبع بالقراءات الفلسفية على أساس أننى سأتخصص فى الفلسفة، مع اطلاعات محدودة جداً فى الأدب، وبعد أن تخرجت ظللت نحو سنتين مقبلاً على القراءات الفلسفية مع وضوح ميلى بعض الشيء للقراءات الأدبية ويتضح هذا الميل فى اختياري لموضوع رسالة الماجستير، وكانت عن فلسفة الجمال، وهو كما ترى أقرب الدراسات الفلسفية لموضوع الأدب والفن(٢٥).
في كلية الآداب كتبت مقالات في الفلسفة نشرت في(المجلة الجديدة)، (المعرفة) وكل الصحف التي كان يشرف العقاد على تحريرها: فقد كان يفسح صدره لإنتاجى دائماً(٢٦).
كانت المقالة أسبق في الظهور عن الأقصوصة والرواية فما أكثر الأقاصيص التي رفض نشرها وكانت أيام عذاب ومحنة تتكرر مع كل أقصوصة أو مقال يرد. على ان المقال كان أسرع في القبول عن الأقصوصة ولذلك فقد انصرفت بعض الوقت لكتابة المقالات، وأذكر أن أول مقال نشر لي كان عن (تطور الظاهرات الإجتماعية).(٢٧)
سعدت بجائزة نوبل لا شك إنها فاق تلك اللحظة الشعور الذي أحسست به في بداية حياتي الأدبية عندما نشرت لي أول مقالة في الصحف بعد رفض مقالات كثيرة سابقة.(٢٨)
ففي مقتبل العمر كان حلم حياتي أن ينشروا لي أى شيء حاملاً عبارة بقلم فلان"(٢٩) أيضاً كنت أبعث لهم أفكار كاريكاتير(سياسى) إلى أبو الخير نجيب رئيس تحرير جورنا ل «الجمهور المصري»(٣٠).

العلم مستقبلنا

وفاتني كذلك أن أحدثك عن ناحية هامة من قراءاتي وهي كتب خلاصات العلوم: في البيولوجي، والطبيعة، وأصل المادة، فقد صدرت أيام الدراسة مكتبة شبه علمية من تأليف وترجمة الدكتور فؤاد صروف، وأحمد مظهر، وسلامة موسى وغيرهم[٣١] وأذكر مثلاً أن أحد الاكتشافات الجديدة التي كانت السلسلة تبدو فرحة بها كانت الفيتامينات، ولا أذكر في الطبيعة إن كانت قد وصلت إلي نظرية الاحتمالات؛ أم أنها توقفت عند النسبية[٣٢] وكنت أقرأ هذه الكتب باهتمام شديد، وأعتقد أن لها أثرا كبيرا في ثقافتي وتفكيري[٣٣] أحببت بصفة خاصة الطبيعة والفلك، أتذكر أن مصطفى محمود كان لديه مرصد، ودعاني ذات مرة لأشاهد القمر والنجوم، شيء رهيب[٣٤] ألتهم كتب العلم في ساعات، أما في الروايات فلا أقرأ أكثر من فصل واحد. العلم يشبع في نفسي أشياء كثيرة غير عادية. الكتاب العلمي يعطيني الحقائق المقطرة. ماذا تعطيك الرواية؟ بصيرة وإبهار..أليس كذلك؟ أي بصيرة وإبهار أكثر من رحلة القمر؟ العلم هو أعظم ما وصل إليه الإنسان[٣٥] أرجو أن يأتي اليوم الذي نتفق فيه جميعا على أن العلم وحده هو ديوان العرب[٣٦] في مطلع حياتي كنت متجها اتجاها علميا، لكن بسبب قراءاتي الأدبية والفلسفية فقد تحولت إلي إختيار الأدب، وكانت البيئة في ذلك الوقت تكبر من شأن الأدب كثيراً، ولا تكاد تفطن إلي قيمة العلم إلا باعتباره يهيىء أساساً مادياً محترماً للمتخصصين، فتوهمت أن مفتاح الحقيقة في الفلسفة والفن، ولم أدرك القيمة الحقيقية للعلم إلا بعد فوات الأوان، وطبعاً أرجو ألا تفهم من كلامي أني أقلل بأي حال من الأحوال من دور الفن في حياة الإنسان.

قراءتي موزعة بين الأدب والفلسفة وخلاصة العلوم، وأعترف أن خلاصات العلوم المكتوبة لغير المتخصصين أصبحت أمتع لدي من الفلسفة والأدب الحديث..فهي تمتاز عنها بالدقة والوضوح والحصيلة الوفيرة..فمن الغريب أن يقرأ الإنسان في الفيزياء وهو غير متخصص فيها فيفهمها ويستمتع بها إستمتاعاً غريباً أكثر مما يفهم بعض القصص. علم الفيزياء يفتح عالماً جديداً بجماله، والمتعة الجمالية التي تحصل عليها في كتب الفلك أو الطبيعة أكثر وأمتع مما أحصل عليه من الشعر الحديث[٣٧].

أذكر أنني اقتنيت عام١٩٣٣ . م كتاباً أشبه بدائرة المعارف يسمى (المعرفة الجديدة) new knowledge وقد كنت شغوفاً جداً بهذا الكتاب، فقد كان عمري أقل من ١٨عاما، وكان الكتاب يحيط بكل الأنشطة الإنسانية التي كانت تساورني فيها الأسئلة، من علوم وفنون وآداب، ولقد احتفظت بهذا الكتاب طوال حياتي لأنه كان من الكتب التي نقلتني في مجالات كثيرة من حالة اللامعرفة إلي حالة المعرفة[٣٨] (قراءاتي)استقرت الآن على هذا الترتيب:

خلاصات العلوم أولا، كتب الثقافة العامة. ثانيا، كتب الفلسفة. ثالثا، والأدب الفن أخيراً[٣٩]

أخطر مرحلة في حياتي

ومشيت في طريق الفلسفة حتى خيل لي أنه الطريق الوحيد أمامي، وشغلت نفسي بتحضير رسالة الماجستير عن فلسفة الجمال(٤٠).

كان الأدباء الذين أثروا فيّ وأنا في أواخر المرحلة الثانوية يمثلون ثورة فكرية أكثر منها أدبية؛ فطه حسين، وسلامة موسي، والعقاد، قدموا لنا أفكاراً ومناهج فكرية أكثر مما قدموا لنا نماذج أدبية، وحتي الأدباء والشعراء الذين وجهونا إلي الاهتمام بهم كأبي العلاء؛ والمتنبي؛ وابن الرومي؛ يغلب عليهم الطابع الفكري، وعلي ضوء تأثري بهذه الأفكار يتضح سبب اختياري للفلسفة. علي أني لم أهمل قراءة الأدب أثناء دراستي للفلسفة، وسارا في تواؤم طوال فترة الدراسة، وإن كانت الغلبة للفلسفة بطبيعة الحال(٤١) وأذكر أنني في أواخر عهدي بالجامعة أردت أن أتخصص في الأدب، ولكن سكرتير الكلية – وكان اسمه عباس محمود قال لي: بعد الانتهاء تماما من دراسة الفلسفة وبعد حصولي علي الليسانس أستطيع الالتحاق بقسم اللغة العربية وأبدأ من السنة الثانية. لماذا طلبت ذلك؟ ربما في ذلك الوقت أدركت بشكل ما أن الأدب بالنسبة لي أكثر من هواية- بعد التخرج كان عليّ أن أعد للماجستير وأن أكتب الأدب في وقت واحد. والذي حدث هو أنني بين عام ١٩٣٤و١٩٣٦عانيت مشقة الاختيار، لأن التعارض بين الدراسة الجادة للفلسفة وبين التخصص في الأدب كان يزداد حدة يوماً بعد يوم، فكلاهما يحتاج لوقت(٤٢) مررت بفترة تنازع بين الفلسفة والأدب عذبتني كثيراً، وأحسست أن عليّ أن أختار بينها، وبلغت هذه الأزمة قمتها وأنا أعد رسالتي للماجستير مع المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق(٤٣)ثم واجهت أخطر مرحلة في حياتي(٤٤).

عندما تخرجت كان ترتيبي الثاني علي دفعتي وشرعت فعلا في إعداد"رسالة الماجستير" والتحضير لسفري إلي الخارج، وكلما حاولت إنهاء الرسالة تطاردني فكرة إبداعية لقصة أو رواية فأنصرف عن البحث العلمي وأتجه للإبداع بحكم ميولي الشخصية.. ولم يطل التردد بين المجالين.. حسمت الأمر لصالح الإبداع.. فالأدب كان طريقي(٤٥).

فقطعت العمل وأنا في منتصف الرسالة(٤٦) -نفس- السنة التي وقعت فيها معاهدة ١٩٣٦م التي اعترفت باستقلال مصر دون قيد أو شرط وحددت موعداً للجلاء، هنا كنت قد نضجت سياسياً، وأصبحت مدركاً لما تعنيه هذه المعاهدة، فقد أعقبها مثلاً إلغاء الإمتيازات، وكان ذلك في غاية الأهمية، وهي السن التي قررت فيها أن أكون أديباً وذلك بعد تردد دام بعض الوقت بين الأدب والفلسفة التي كانت فيها دراستي الجامعية، وتلك كانت نقطة مهمة في حياتي حددت لي الهدف والطريق، فقد كنت تخرجت من الجامعة وبدأت أنشر في بعض

المجلات الأدبية، لكنني كنت مازلت أبحث عن نفسي، وفي الوقت الذي أكدت المعاهدة استقلال مصر حددت أنا أيضا اتجاهي في الحياة(٤٧).

فبعد بداية لا بأس بها في كتابة المقالات النقدية والفلسفية في المجلات الأدبية مثل الرسالة والمعرفة وغيرها، قررت في عام ١٩٣٦م أن أتوقف تماما عن الكتابة الصحفية، وأن تكون كتابتي في الأدب فقط(٤٨).

وقد ظل اهتمامي بالفلسفة قائما حتى بعد أن اخترت الأدب(٤٩) فقراءاتي الفلسفية لم تتوقف منذ ذلك الحين وإن كانت قد انكمشت نتيجة لطغيان الأدب عليها(٥٠) أتصور مثلاً أن (الطريق) (ثرثرة فوق النيل) و(ملحمة الحرافيش) و(ليالي ألف ليلة) من أكثر الروايات التي تتضمن بعداً فلسفياً واضحاً(٥١) تعرف أني أعددت نفسي للفلسفة حتى بعد انتهاء دراستي الجامعية وبعدها فقط بدأت في دراسة الأدب. كان قد فاتني الكثير وعلى أن أعوضه. لو كنت اكتشفت اتجاهي الأدبي منذ البداية لكسبت كثيراً من الوقت والقراءات ولذا لا أستطيع أن أقول أنني تأثرت بفلان من الكتاب: لأن معني ذلك أنني قرأت له الكثير من الكتب، ليس هناك مؤلف قرأ ت له أكثر من كتاب أو اثنين، ولذلك تأثرت بهم جميعاً، كنت أود مثلاً أن أقرأ (الحرب والسلام) أو(البحث عن الزمن الضائع) أو(الشيخ والبحر) ولكنني مضطر للإكتفاء بمرة واحدة، كنت اقرأ هذا كله مع الكتب العربية طبعاً وأترك التفاعل يحدث وحده في الداخل)(٥٢). كنت أتمنى أن أدرس في قسم اللغة العربية أو الأدب الانجليزي وأن تكون دراسة الفلسفة في الخلفية في شكل ثقافة عامة، كنت أتمنى أن عكس الحال فأدرس الآداب وأنمي هوايتي في قراءة الفلسفة، لكن هذا ما حدث. وبما أنى لم أكن قد تبينت طريقي بوضوح(٥٣) كثيرا ما كنت أشعر بالأسف لأنني لم أتخصص في الأدب وجعلت الفلسفة ضمن الثقافة العامة، وليس العكس)(٥٤).

ولكن حين درست الفلسفة استفدت كثيرا، ويكفي أن أقول لك أنها كانت وسيلة لسعة الأفق واستنارة العقل، والفلسفة بما يسرته لي من دراسات منهجية وضعت العالم أمامي كما لو كان بين قوسين(٥٥) والفلسفة علمتنا أشياء كثيرة ثمينة:

كيف لا نتسرع في الحكم، ونتأمل الأشياء، وكيف نتسامح لدرجة غير مخلة، لأن لكل شئ أكثر من وجه، وكل موقف له ما عليه، علمتنا الفلسفة النظرة الكلية للأشياء، ننظر للشجرة وننظر معها للحديقة، وفي أشد الأزمات تعقيداً كانت الفلسفة تعطينا قدراً كبيراً من العزاء العقلي(٥٦) ثم لماذا أغفل فضل الفلسفة على كتاباتي(٥٧) وأعتقد أن هذه الصفات الجليلة جعلت بإمكان الانسان وهو يحكي حواديت للناس أن يطعمها بأكثر مما هو حدوتة وتسلية.

وعندما رأيت د. محمد عبد الهادي ابوريدة (بعد ٥٠ سنة) اتهزيت من أعماقي لأني تقريباً لم أره منذ أن تخرجنا،

فقد ذهب كل منا في طريق، ومن العجيب أنني كلما قابلت أحداً من -الفلسفة- أقول له:أخبار أبو ريدة إيه؟ رغم الفراق الطويل لكنه من الزملاء الذين لا أنساهم، كان الأول علينا وفي غاية الذكاء والخلق، وكنا أنا وهو وتوفيق الطويل وعلي أحمد عيسى، رباعي، وفي وجود أبوريدة نتحول إلى الجد والحديث في الفلسفة الإسلامية، وعندما نكون نحن الثلاثة وحدنا نضحك أحيانا ونتكلم في السياسة أحياناً أخرى، وكنا نقوم بالتزويغ - من الفلسفة - بعد الظهر لنحضر محاضرة للدكتور/ طه حسين في الأدب[٥٨] ولقد كنت ألتقي بعبد الرحمن بدوي في منزل المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق، فقد كان عبد الرحمن بدوي من تلامذته المقربين وكنت كثيراً ما أزور الشيخ مصطفى وألتقي بعبد الرحمن بدوي هناك، أما بداية تعرفي بعبد الرحمن بدوي فكانت في أثناء الدراسة بالجامعة، فقد كنت في السنة الرابعة بقسم الفلسفة بآداب القاهرة، وكان هو في السنة الثالثة وكنا ندرس(التحقيق) معاً على يد البروفيسور(كراوس)، لذلك كنا نلتقي أسبوعياً في هذا الدرس، ولقد مات (كراوس) بعد ذلك منتحراً وهو مازال شاباً، بينما شب عبد الرحمن بدوي ليصبح واحداً من أكبر من حققوا النصوص الفلسفية في عصرنا الحديث، وما قدمه من ترجمات ومؤلفات هى علامة مهمة في مكتبتنا الفلسفية، وقد كرس سنواته الأخيرة للدفاع عن الإسلام فهاجم كل المستشرقين الذين كان لهم موقف من القرآن أو من الرسول(صلى الله عليه وسلم)[٥٩].

كنت أتألـــم

كانت أياماً جميلة، أتذكر وأنا أختار التخصص أن الغالب على الثقافة، هو الفكر الذى كان يمثله سلامه موسى والعقاد[٦٠] (مع أن الدراسات الفلسفية قد تتعارض أحيانا مع فن كتابة القصص والروايات)(*) إلا إننى استطعت أن أقوم بحل هذه المعادلة، فمع دراستى للفلسفة وعشقى لها كنت لا أتخلص تماماً من أننى أكتب القصة أو الرواية وأعترف بأن شيئاً من الصراع كان يحدث فى داخلى بسبب ذلك لكن طوال المدى سلمت بأننى روائى وقصاص[٦١].

وبمناسبة حديثنا عن النزاع بين الأدب والفلسفة، وتحولى من دراسة الفلسفة إلى الإشتغال بالأدب يهمنى أن أقول لك أن هذا النزاع يمثل التوقف الأول من ثلاثة توقفات تعرضت لها فى حياتى الأدبيه. أما ثانيها فكان حينما هيأت نفسى لكتابة تاريخ مصر القديمة كله فى شكل روائى على نحو ما صنع (وولتر سكوت) فى تاريخ بلاده،

وأعددت بالفعل. موضوعاً لروايات تاريخيه رجوت أن يمتد بي العمر حتى أتمها، وكتبت ثلاثة منها بالفعل هى (عبث الأقدار) و(رادوبيس) و(كفاح طيبه)، وبقى ٣٧ موضوعاً جاهزاً للكتابة.

وفجأة إذا بالرغبة في الكتابة الرومانسية تموت فى نفسى، وأجدنى أتحول إلى الواقعية فى (القاهرة الجديدة) بلا مقدمات، وظللت غارقاً فيها حتى أنهيت الثلاثية فى أبريل عام ١٩٥٢، وكانت أمامى سبعة موضوعات لروايات أخرى فى نفس الإتجاه الواقعى النقدى وإذا بثورة يوليو تقوم فتموت معها الموضوعات السبعة من حيث الدافع لكتابتها، وأذكر أننى عرضت هذه الموضوعات على عبد الرحمن الشرقاوى وبعض الزملاء والأدباء ودهشوا لأني لم أكتبها، فما أكثر الذين بدأوا بعد الثورة ينقدون فى أعمالهم الأدبية مجتمع ما بعد الثورة، أما أنا فقد حدث التوقف الثالث فى حياتى الأدبية، إذ حينما ذهب المجتمع القديم ذهبت معه كل رغبة في نفسي لنقضه وظننت أنني إنتهيت أدبياً ولم يعد لدى ما أقوله أو أكتبه، وأعلنت ذلك وكنت مخلصاً فيه ولم يكن الأمر دعاية كما ظن البعض وظللت على هذه الحال من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٧ لم أكتب كلمة واحدة، ولم تنبعث في نفسي رغبة في الكتابة وكنت أعتبر المسألة منتهية تماما[٦٢] فاتجهت إلى السينما وسجلت نفسي في نقابة المهن التمثيلية ككاتب سيناريو ثم بعد ذلك بسنوات شعرت بأن هناك شيئا بداخلى عاد يتحرك من جديد، وسألت نفسي: هل وجداني الأدبى سيعود إلى الحياة من جديد وتماديت في هذا الإحساس، وكانت فرحتي بأول رواية (أولاد حارتنا) كتبتها بعد هذا التوقف لاتقدر[٦٣].

طيلة عمري كنت أتألم ألماً من نوع خاص سببه البحث عن العبارة المناسبة لكن فترات توقفي الأدبية أكثر إيلاماً[٦٤]

توفيق الحكيم معلمنا

إخترت الأدب، لعله الإستعداد النفسي أو أي عامل داخلي آخر فليس لذلك تفسير واضح[٦٥] أما فنياً فقد تأثرت بتوفيق الحكيم.. هذا الكاتب الكبير يقف وراء جيلنا كله من الناحية الفنية، كان الحكيم ولازال النهر الدفاق الذي تتفرع عنه جداول كثيرة في الرواية والقصة والمسرحية[٦٦].

لقد تتلمذت عليه، أثره في حياتي فوق ما تتصور ولولا توفيق الحكيم ما أصبحت أديباً، كنت أدرس الفلسفة وأعتبر الأدب على هامش حياتي، ولما دخل الحكيم من بوابة الأدب عرفنا قيمة الأدب وكيف أنه يكرم الإنسان[٦٧].

أيامها كنت قارئاً وليس هناك ما يغرينى إطلاقاً بقراءة كتاب لتوفيق أفندي الحكيم فمن يكون؟ وقد تصادف أنني قرأت في" الجهاد" مقالاً للعقاد عن صاحب هذا الإسم وقبل أن أتوجه إلى الجامعة ذهبت إلى المكتبة التجارية لأشترى الكتاب(٦٨).

أذكر أنني عرفت توفيق الحكيم عن طريق مقالتين: واحدة لطه حسين والأخرى للعقاد والاثنتان عن شيء جديد اسمه" أهل الكهف" مقالة طه حسين كانت بالغة الروعة والعقاد أيضا أثنى عليها ثناء لم يكن منتظراً من العقاد.. في هذه الفترة كانت الأعمال الإبداعية نادرة.. كنا نقرأ لأساتذة الجيل" زينب" لهيكل و" الأيام" لطه حسين.. كانت أعمالاً تعجبنا جداً ولكن احتكاكنا بالجديد جاء عن طريق توفيق الحكيم، وأذكر وقتها أنني كنت طالباً بكلية الآداب اطلعت على" أهل الكهف" وكانت تمثل شيئاً جديداً ورائعاً بحيث اعتبرتها بداية جديدة للفن الأدبي العربي(٦٩). كان تأثيرها كبيراً جداً نتيجتها الأساسية الزمن وهذه لم تفارقني حتى الآن(٧٠) -إنها- أحسن ما قرأت له(٧١) (لكن) أنا أعتبر روحي خرجت من" عودة الروح"(٧٢).

إن ما قرأناه من روايات قبل توفيق الحكيم في أدبنا العربي الحديث كان حديث عيسى بن هشام" للمويلحي"، "زينب" لمحمد حسين هيكل، "فتاه غسان" لجورجى زيدان، "قبلة المملوك" لمحمد فريد أبو حديد، وبعض ما ألف طه حسين، والمازني من الروايات. هذه الروايات لها قيمتها وتأثيرها بالتأكيد لكن حين قرأنا"عودة الروح" لتوفيق الحكيم شعرنا بأننا انتقلنا من مرحلة إلى مرحلة جديدة ومن مجال إلى مجال آخر فقد كان لعودة الروح سحر وجاذبية خاصة ذكرنا تماماً بالسحر الذي وجدناه في بعض الروائع المترجمة مثل" الحرب والسلام" لتولوستوى"،" البؤساء" لفيكتور هوجو،" فاوست" لجوته. ورغم أن فيها ما يشبه المقالات وأيضاً رغم خروجها على أشياء كثيرة في الفن الروائي.. رغم كل هذا كان لها امتياز وسحر يخصها وحدها جعلها تفرض روحها على عالم الرواية ككل فقد كان تأثيرها في جيلنا عميقاً جداً ويصح أن تقول أنها مدرستنا الأخيرة أو المدرسة التي نشأنا في كنفها وتخرجنا منها، فالرواية عملية سحرية من البداية حتى النهاية ويصح أن تجدها مضبوطة ومحكمة وكل الشروط التي تفترضها في بناء الشخصيات، وفي الحبكة وفي التعبير الفني كأنها تطبق قواعد حرفية لكنك تجدها ثقيلة ومرفوضة لأن ليس بها أي سحر خاص، ومن هنا كان الحكيم فناناً ساحراً من الطراز الأول، وكل شيء وضع يده فيه كان يشع منه سحراً، فالأساتذة السابقون على الحكيم كانت أساليبهم تجمع بين التراث والمعاصرة في بنية واحدة مثل أسلوب محمد حسين هيكل، طه حسين والعقاد، إلى آخر هؤلاء الرواد، لكن الحكيم ظهر بلغة جديدة أفضل أن أسميها لغة توفيق الحكيم لأنها لغة خاصة به وحده لم يسبقه إليها أحد، فأسلوب الحكيم هو أسلوب الحكيم ولغة الحكيم هي لغة عذبة وبسيطة

وسلسة ومصرية ومع كل هذا هي إبنة شرعية للتراث العربي وقد تجلت هذه اللغة في الحوار فقد كان رحمه الله يجد سعادته في الحوار وكل سحره تلمسه في الحوار، في أحاديثه، في كتاباته وكل ما تذكر لرواياته حوار، ويبدو أنه خلق ليكون مسرحياً قبل كل شيء، كان الحكيم يمتاز بذكاء نادر وثقافة موسوعية مكنته من التقاط الجزئيات التي قد لا ينتبه كثيرون إليها سواء في التراث أو التاريخ أو الحياة، فمثلاً تجده في مسرحية (أهل الكهف) يصور لك الناس الذين خرجوا من الكهف فاكتشفوا أن عملتهم ليست متداولة.. هذه قصه حقيقية قديمة ومذكورة في القرآن ومعروفة لنا جميعاً.. لكن الحكيم التقطها ليخاطب بها مصر الحديثة ووظفها توظيفاً معاصراً لأن عينه دائماً على الحاضر حتى أن (إيزيس) انقلبت عنده إلى ما يشبه ثورة شعبية وأيضاً (السلطان الحائر) رغم أنها حادثة تاريخية صغيرة إلا أن الحكيم استطاع أن يستخرج منها معاني من أجمل المعاني وأبلغها، وأنا شخصياً أعتبرها في قمة ومقدمة مسرحياته ويصح أن نضعها عنواناً للمسرح الحديث. لقد كان الحكيم من جيل موسوعي أثري الحياة الثقافية والأدبية والفنية بإعطاء أمثلة في كل شيء للفن كله: مسرح، رواية.. قصة قصيرة، لكن كان عليه أن يستقر بعد عناء الرحلة في بيته في المسرح) ومن كل هذه الأمثلة الأدبية والفنية التي أعطاها توفيق الحكيم خرج أدباء مصر الحديثة، فقد كان الحكيم هو الحلقة التي أكملت سلسلة الحلقات ما بين أدب العقاد وطه حسين وجيل ما بعد توفيق الحكيم)[٧٣] كنا نقرأ أعماله ونعتبره ظاهرة لأنه أعاد خلق الفن العربي من جديد، كان الحكيم يشعل فينا الحماس والرغبة في الإبداع وكان تأثيره أكبر وأعمق من أن تعبر عنه الكلمات.. لقد تمكن الحكيم من قلب القيم عند ظهوره بمعنى أنه استطاع أن يُكسب الأدب الاحترام الذي يستحقه بعد ما كان النقد وحده يستحوذ على كل الإهتمام والإحترام[٧٤].

لن أنس ما حييت كيف غمر حياتنا الأدبية بين يوم وليلة مفاجأة مثيرة سعيدة بلا مقدمات فجلس على العرش متوجاً بتسليم وترحاب مؤيداً بمبايعة عمالقة العصر كله واعترافهم بعبقريته وتفرده. منذ ذلك التاريخ في الثلاثينيات تحول مجرى حياتنا الأدبية من النقد والتاريخ والتعريب إلى الفن الخالص بجامع رونقه وجماله وفلسفته، آمنا بكل يقين أن الأدب ليس الشعر وحده ولو كان شعر شوقي وحافظ ومطران، وأن المسرحية والرواية والقصة تستطيع أن تسمو إلى مدارج الشعر وسماواته وأن تمد القلب والعقل بضياء الفن وعمق الفكر ومتعة الروح، لقد عدل الحكيم من نظرتنا للأشياء وأعاد رسم خريطة الحياة الثقافية في مصر[٧٥].

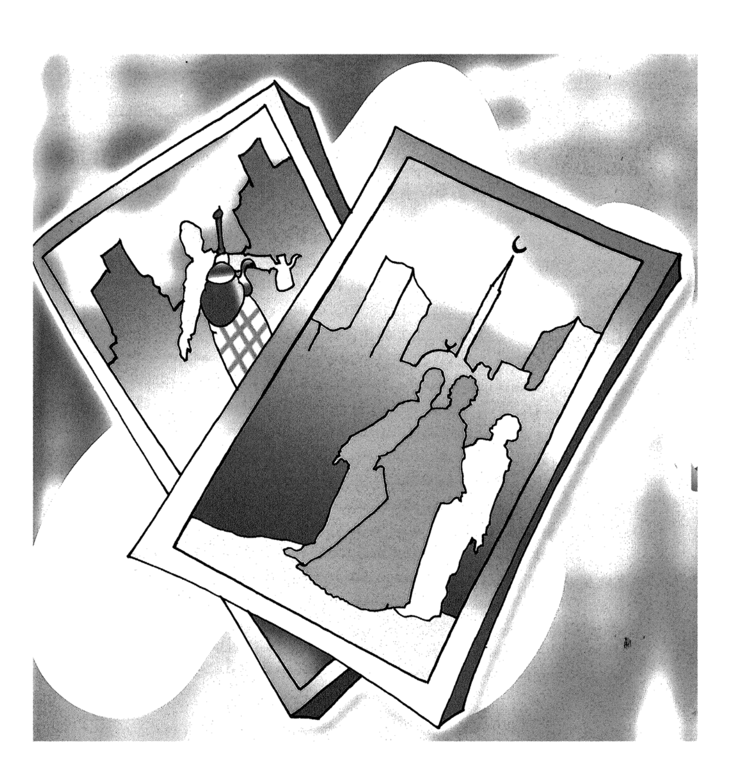
(كان) هو معلمنا الحقيقي للأشكال الأدبية الحديثة، أنا تعلمت في الجامعة الفلسفة، ولكن تعلمت الأدب الحقيقي في أدب توفيق الحكيم[٧٦] ولأنه كان يعمل في أسمى الهيئات وهي القضاء فقد منح الفن والأدب الشرعية الاجتماعية[٧٧] من ناحية كيف يشغل واحد بن ذوات وظيفة في ذلك الوقت من أسمى الوظائف (وكيل نيابة) ثم

يترك وظيفته وكل شيء من أجل أن يتخصص في الأدب والرواية(٧٨) ولن ننس للحكيم أنه الكاتب الأول الذي جعل الدولة تحترم الفن والأدب وتخصص له ما يسمى بالتفرغ(٧٩) العقاد وتوفيق الحكيم وفرا علينا جهاد مائة سنة، لم يعد الأدب مهنه مرتزقة(٨٠) لما قال لنا صديق مشترك إن توفيق الحكيم يريد رؤيتي سعدت جداً واعتبرت ذلك جائزة كبيرة، لأن الحكيم كان هرماً تعلمنا منه لذلك أتهيب الجلوس على مكتبه وفي ذلك حكاية قالها لي وهي أنه رأى مصطفى عبد الرازق وعلى عبد الرازق يتقدمهما أخوهما الثالث المزارع. فقال إنه احترم هذه الأسرة جداً فما بالك والحكيم هو زارعنا كلنا(٨١).

نبوءة العقاد

في أواخر العشرينات الماضية وقد كنت وقتها ناشئاً في المرحلة النهائية من الدراسة الثانوية قرأت مقالاً للعقاد عن فنان رسام اسمه (محمود سعيد) وقد تعجبت جداً لذلك فالفن في ذلك الوقت لم يكن له وجود كبير في المجتمع، فكيف يفرد العقاد الكبير مقالاً كاملاً عن أحد الفنانين؟ وقد تناقشت في هذا مع بعض أصحاب الرأي فقيل لي: إن الأدب ليست وظيفته الأدب وحده وإنما عليه أن يدرس الفنون كلها مثل الفن التشكيلي والموسيقي وغيرها ينهل منها ما يستطيع، ولقد كان محمود سعيد هو الذي عرفني على عالم الفن التشكيلي وقد اكتشفت بعد ذلك أنه كان يقام معرض سنوي وحيد في شارع إبراهيم باشا بالقاهرة تعرض فيه جميع أعمال الفنانين، فلم تكن هناك معارض خاصة في ذلك الوقت لكل فنان، وفي هذا المعرض العام الذي تعودت ارتياده كل سنة تعرفت على أعمال محمود سعيد لأول مرة، ولوحاته مازالت منطبعة في مخيلتي بألوانها مثل (بنات بحري) و(بائع العرقسوس) والكثير من البورتريهات النسائية التي اشتهر بها والتي استطاع فيها أن يجسد الجمال الشعبي كما لم يفعل أحد من قبله وقد كان بالفعل رجلاً عظيماً وقد أكد لي بفنه المتميز القيمة الحقيقية للفن التشكيلي خاصة بعد أن علمت آنذاك أنه كان مستشاراً لكنه ترك القضاء ووهب وقته كله للفن رغم أن وظيفة المستشار كانت واحدة من أرقى الوظائف في مجتمع تلك الأيام وقد كان لذلك تأثير على القرار الذي اتخذته بعد ذلك بسنوات حين تركت الفلسفة التي درستها بالجامعة وتفرغت للأدب)(٨٢).

بالطبع لقد خلق العقاد عندي قيماً عزيزة أولها قيمة الأدب كفن سام لا وسيلة تكسب وكان دائماً يرتفع بالفن إلى مستوى الرسالة المقدسة وثانياً أهمية الحرية في الفكر وفي حياة الإنسان عموماً ثم نظرياته النقدية في الشعر التي جعلتني أتذوق الشعر تذوقاً جديداً وكذلك عرفت عنده أول قصة تحليلية نفسية وهي سارة(٨٣) ومع ذلك فقد حدث



أن تعرضت للعقاد ذات مرة رغم حبي له فقد وجدته قد ظلم الرواية حين قال: إن الرواية ليست فناً كالشعر أي أنها ليست في منزلة الشعر فرددت عليه بأدب: وكما توجد الرواية الرديئة يوجد الشعر الرديء أيضاً. والحقيقة أن العقاد لم يرد لأنني تكلمت بموضوعية شديدة وبأدب شديد دون استفزاز أو هجوم وهذا ما كان يدعوه للرد بعنف، والحقيقة أيضاً أن العقاد أنصفني حين تقدمت لمسابقة مجمع اللغة العربية ضمن من تقدموا بقصصهم ولكنهم اختلفوا فيها وكان المازني في لجنة التحكيم وكان يريد إنصافي، وبالمصادفة كان العقاد يمر على المازني لكي يرجعا سوياً فوجد خناقة فقالوا له تعالى لتكون أنت الحكم وهذه روايتها، وكانت جماعة التقليديين والأزهريين يريدون إعطاء الجائزة لمحمد سعيد العريان، والمازني يريد إعطاء الجائزة لي، فلما قرأ العقاد لكل منا، قال: لا وجه للمقارنة بيننا، وانتهى الخلاف إلى إعطائنا الجائزة مناصفة".[٨٤]

وظل العريان طوال حياته يقول: لقد أخذ مني العقاد نصف جائزتي ومنحها لنجيب محفوظ. كذلك كان زميلي وصديقي د. توفيق الطويل- يرحمه الله- يتردد على صالون العقاد وبين حين وآخر ينقل لى ثناء العقاد وإعجابه بأعمالي التي تصدر[٨٥].

أما المرة الثانية التي أنصفني فيها العقاد فكانت بعد ذلك بسنوات حين قال العقاد في حديث تلفزيوني أذيع قبل وفاته بقليل: إن عندنا في مصر من يستحق الفوز بجائزة نوبل وذكر إسمى، وبعد حوالي ربع قرن تحققت نبوءته[٨٦].

فرحة كبيرة

عندما بدأت أعمل لم أكن أفكر في جائزة على الإطلاق، وهذا شيء طبيعي، ولا أعتقد أن هذا خاص بي، فلا أحد يبدأ في الكتابة وذهنه في الجائزة، ومع هذا فإن الجوائز كان لها قيمة كبيرة في حياتي، لأنني في الوقت الذي كنت فيه أؤلف فيه روايات لا أعرف كيف أنشرها كنت أحصل على جوائز فقد أخذت جائزة قوت القلوب الدمرداشية عن رواية" رادوبيس "[٨٧] مناصفة بيني وبين أحمد باكثير، فكانت قيمتها أربعين جنيها (كانت فرحتها كبيرة) وكان حصولي على عشرين جنيها يومها حدثاً كبيراً لأن مرتب مدير الإدارة وقتها لا يصل إلى هذا المبلغ"[٨٨].

(كانت) السيدة قوت القلوب الدمرداشية ابنة الدمرداش باشا، وهي سيدة مجتمع تحب الأدب، وطه حسين كتب مقدمات لبعض كتبها، وخصصت هذه الجائزة لتشجيع الرواية"[٨٩]. وأخذت جائزة المجمع اللغوي، عن رواية "خان الخليلي" قبل أن تنشر[٩٠] ولما نشرتها مكتبة مصر كان الإعلان عنها يقول: القصة الحاصلة على جائزة

مجمع اللغة، وكانت الجوائز يومها لها قيمة كبيرة من الناحية المادية ومن الناحية النفسية على المؤلف، فقد تأكدت من أن هذه الأوراق المتراكمة في مكتبي لها قيمة، ومن الذي يعترف بقيمتها؟ أساتذة كبار وأعضاء في مجمع اللغة. وطبعا لم تكن هناك وساطة ولا محسوبية لأننا كنا كتاباً مجهولين(٩١) وأخذت جائزة وزارة المعارف عن "كفاح طيبة"(٩٢) وكان علي أحمد باكثير ضمن الفائزين في جوائز وزارة المعارف، وكان هذا الفوز هو الذي فتح أمامنا طريقاً للنشر بعد أن كانت أعمالنا قابعة في الأدراج، ولقد عرفت أحمد علي باكثير منذ سنوات الشباب حين كنا نخطو خطواتنا الأولى في الكتابة الأدبية، أنا في الرواية وهو في المسرح ثم توطدت العلاقة بيننا على مدى سنوات بعد أن صارت أسماؤنا معروفة في المجال الأدبي وقد كنا نلتقي أسبوعياً في كازينو الأوبرا.

لقد كان علي أحمد باكثير على ثقافة عالية وكان حجة في آداب اللغة الإنجليزية التي كان يجيدها إجادة تامة، وقد عمل فترة طويلة مدرساً للغة الإنجليزية لكنه انتقل بعد ذلك إلى مصلحة الفنون فتزاملنا مرة أخرى حيث كنت أعمل بها أيضا، وقد كنت من أشد المعجبين بأدب علي أحمد باكثير برغم أنه كان كاتباً مسرحياً تخصص في المسرحيات التاريخية، وأنا روائي ملت كثيراً إلى المعاصرة والواقعية، على أن باكثير لم يقتصر إنتاجه الأدبي على المسرح وحده والذي ترك لنا فيه أكثر من أربعين عملاً، وإنما كان شاعراً من الدرجة الأولى شهد له بها العقاد والمازني وغيرهما"(٩٣).

رفضت هذه الجائزة

كاتب لم يتمكن من النشر ويأخذ جوائز؟ كل ما يأتي له من تشجيع عن طريق الجوائز، ويفترض أن مسابقات الجوائز يتقدم لها كثيرون وبالتالي يجد الكاتب في الفوز بها شيئا من العزاء. فكانت مهمة جداً في حياتي في الحقيقة.

بعد ذلك أخذت الجائزة التقديرية مرتين، القديمة (جائزة فؤاد الأول) – وكانت الجائزة امتداداً لتقليد متبع قبل الثورة– في الحقيقة أخذت الجائزة عام ١٩٥٧ لآخر مرة قبل إلغائها، أخذتها كاملة، وأخذها محمد كامل حسين(٩٤) وكان شخصية رائعة وعقلاً ممتازاً لا نظير له، مثله مثل جمال حمدان في الجغرافيا، بجانب أنه كان رائداً في جراحة العظام.

و قد نالها عن روايته العظيمة" قرية ظالمة" وأنا عن رواية" قصر الشوق"، وكانت الجائزة أيامها ألف جنيه مناصفة بيني وبين د. كامل حسين. ولكن الدكتور طه حسين أصر على أن نأخذها كاملة فطلب (الوزير) كمال الدين حسين وقال أنه يريدها كاملة لفلان وفلان، فوافق على الفور، وأنا أعتبر أنه مما يشرف روايتي أنها نالت الجائزة مع"

قرية ظالمة" والفضل في ذلك يرجع إلى الدكتور طه حسين، بعدها نالت جائزة الدولة التقديرية التي أنشأتها الثورة(٩٥) وقد ظللت أرشح لها من جهات مختلفة سبع مرات متتالية دون أن أحصل عليها، ولكن في هذه السنة فاز عبد الرزاق السنهوري بالجائزة ونظراً لموقفه من الثورة فقد تردد أن الرئيس عبد الناصر قد يلغي الجائزة، لكن يبدو أن الرئيس عبد الناصر قد رأف بحالي - وبما عسى أن يحدث لي إذا ألغيت الجائزة في العام الذي حصلت عليها بعد سبع سنوات عجاف - فلم يلغها(٩٦).

و هناك جائزة عرضت عليّ ولم يعرف بها أحد، وهي جائزة مجلة "حوار" وكان يشرف عليها "توفيق الصايغ"... ذات يوم حضر د. لويس عوض - الله يرحمه - وقال لي: توفيق الصايغ طلب أن أجس نبضك بالنسبة لموافقتك على قبول جائزة القصة وكانت (٢٥٠٠) جنيه. قلت له أن الرجل شخصية ممتازة، ولكن لا أعرف شيئا عن سمعة المجلة وتمويلها، فالأكرم أن أبعد عن الشر. وقلت للدكتور لويس ألا يعرضها عليّ بطريقة رسمية من الأول، فهذا أكرم لهم ولي، والمسألة انتهت ولم يعرف بها أحد غيري أنا ودكتور لويس. ثم عرضت بعد ذلك نفس الجائزة على د. يوسف إدريس الذي وافق على ترشيحه ثم عندما نالها رفض استلامها حيث قيل أيامها إن تمويلها من المخابرات الأمريكية"(٩٧).

الحسرات

لم أكن أهتم بالنشر ولا بالجوائز وكنت ماشي مثل "وابور الزلط"(٩٨). الواقع أن الرغبة في الكتابة كانت موجودة منذ زمن قديم حتى قبل تبين دوافعها(٩٩).

جاءت هذه البداية بطريقة تلقائية، فمن قراءة الروايات تولدت رغبة قوية عندي في كتابة مثل ما أقرأ من غير هدف بعيد أن يصبح الإنسان قصاصاً، ومع مرور الأيام أصبحت رغبة ثابتة ظلت تقوى بتقدم العمر، وبالتقدم في الثقافة بجميع فروعها الأدبية والفنية والعلمية، وفي فترة التجارب كتبت الكثير مما لم يطلع عليه أحد، وهذه التجارب الساذجة بدأت سنة ١٩٢٦"(١٠٠)

الدوافع أو الظروف التي كانت وراء هذا الاهتمام لم تكن أكثر من توافر وقت فراغ في أربعة أو خمسة أشهر في العطلة الصيفية، كنت أقضيها في القراءة، وفي هذا النوع من التأليف "(١٠١)

ففي أيام إدمان القصص البوليسية كنت أعيد كتابة بعضها في كراسة خاصة وأكتب عليها اسمي، ياريت بقلم. كنت أكتب عليها تأليف نجيب محفوظ(١٠٢) التأليف كان مخصصاً له فترة الصيف حتى لا يجور على

وقت المذاكرة، كنت أؤلف الكتاب الذي إنتهيت من قراءته، وأكتب على الغلاف تأليف نجيب محفوظ، وأضع اسم أي ناشر وهمي[١٠٣] كنت محاكياً ومتأسياً بلغة أستاذي طه حسين، أما المنفلوطي فقد ولدت في حضنه، لذا قمت بتقليده تقليداً صريحاً في أعمال لم أنشرها. فإذا كتب طه حسين "الأيام" كتبت "الأعوام" وإذا كتب المنفلوطي "النظرات والعبرات" كتبت "الحسرات"، وكنت أيامها في المرحلة الثانوية، وكان أصدقاء المنفلوطي ممن يجيدون اللغات الأجنبية يترجمون الروايات ثم يعربها هو بأسلوبه، وقد بكيت من هجوم المازني عليه، كما كنت أبكي عند قراءة "ماجدولين"[١٠٤].

شعر الإفطار

وأذكر أنني في هذه الفترة كتبت الشعر[١٠٥] الحقيقة أن أي كاتب يبدأ بالتراث دون اختيار لأننا نجده أول ما نجده في الكتاب والمدرسة الابتدائية والثانوية، والتراث العربي أساسه الشعر"[١٠٦] لذلك فإن استمساكي بالتراث كان وكأني لن أكتب الرواية وإنما سأكتب الشعر"[١٠٧].

التراث هو المؤثر الأساسي في الرواية العربية الحديثة فالأساس الأول هو اللغة، أكتسب من التراث جماليات لا حصر لها من شعره ونثره[١٠٨] وقد عشنا مع الشعر العربي منذ صبانا أو طفولتنا.. من الجاهلية للعصر الحديث كان هو المفضل عن أي نوع من النثر فيما عدا "ألف ليلة وليلة"[١٠٩] والملاحم الشعبية"، لكن تلك كلها لا تقاس بثراء الشعر مثلاً[١١٠].

ومع أني نشأت على الشعر التقليدي إنما لما جاءت المدرسة الحديثة كان عندي من المرونة ما جعلني أستطيع أن أتماشي معها وأعشقها دون أن أتخلى عن الأصل، واستطعت أن أتذوقها تماماً، وجميع الشعراء في البلاد العربية الذين أسسوا المدرسة الحديثة مع بعض الشعراء المصريين قرأتهم بشغف، يعني الحقيقة لولا أني لست من الحفيظة، يمكن كنت أصبحت شاعراً[١١١].

لقد حاولت كتابة الشعر وأنا في سن المراهقة، وربما كنت آنذاك في السنة الأولي بالمرحلة الثانوية، وكانت لي كراسة ملأتها بالشعر الذي كنت أكتبه والذي في معظمه لم أكن أستطيع وزنه، لذلك إعتبرت نفسي من المجددين في الشعر، لأنني سبقت كل المجددين بهذا الشعر المكسور، ومع ذلك فقد كانت به بعض الأبيات الجميلة الموزونة، لكنها كانت الإستثناء، أما الباقي فكان كله مما لم أرض عنه[١١٢] وحينما وجدت الأبيات المكسورة كثيرة أطلقت

الشعر وحررته من الوزن، فكنت رائد المدرسة الحديثة في الشعر بلا منازع! لأن هذا يرجع إلى سنتي ١٩٢٥، ١٩٢٦ "[١١٣] فأنا من عشاق الشعر، وخاصة الشعر العربي القديم لذلك لم تكن ترضيني تلك المحاولات الصبيانية الأولى في حياتي، وأذكر في تلك السنوات من صبايا كتاباً كان مقرراً علينا في الدراسة وأعتقد أن اسمه كان "المختار" وكان الذي جمعه هو د. طه حسين والشيخ الاسكندري، كان هذا الكتاب يضم مقتطفات من أعمال جميع شعراء العربية من أجهل الجاهلية إلى العصر الحديث، وكان يصاحب هذه المختارات الشعرية نبذة عن الشاعر وحياته، ولقد احتفظت بهذا الكتاب مدة طويلة، وأذكر أنني قمت ذات مرة بعمل مختاراتي الخاصة من هذا المختار[١١٤]، كنت أدونها بنفسي في كراسة كبيرة كانت تضم أشعاراً للمتنبي والبحتري وأبو نواس وغيرهم، وكنت كثيراً ما أرجع لهذه الأشعار بشكل منتظم، فلم يكن يمر عليّ عام من الأعوام دون أن أقرأ هذه الأشعار من جديد والتي كانت تعتبر من أفضل القراءات بالنسبة لي[١١٥] كنت أعود إليها كما يعود الإنسان لسماع موسيقى معينة يهواها، كلما استطاع[١١٦].

كذلك قرأت التراث الحديث من شوقي وحافظ ومطران والعقاد ومدرسة أبوللو[١١٧].

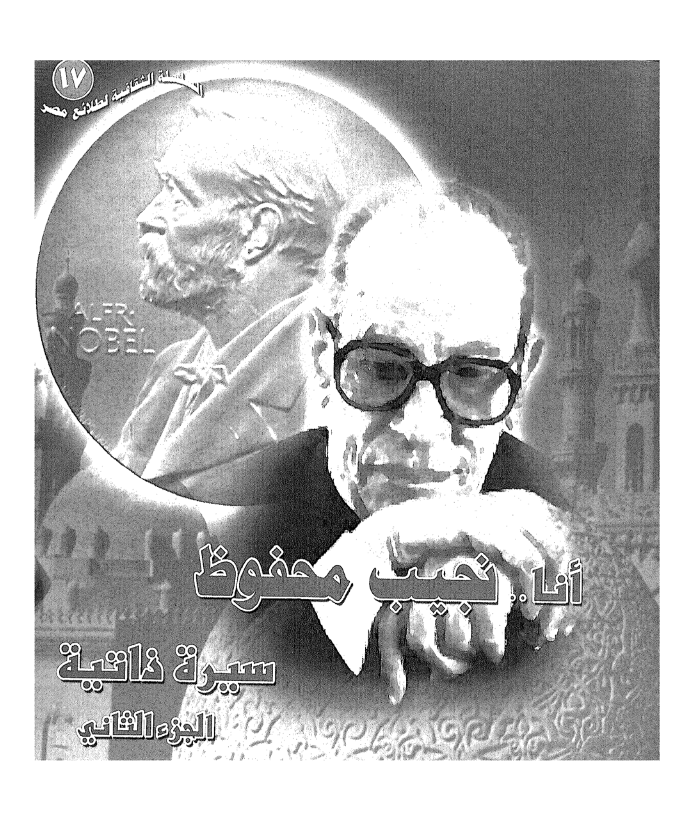
بعد سنوات الصبا التي عشقت فيها الشعر وحاولت كتابته إتسعت دائرة إهتمامي بالشعر فبدأت أقرأ للشعراء الأجانب، وأذكر على وجه التحديد ديوان الشاعر الفرنسي الكبير شارل بودلير" زهور الشر" فهذا الديوان هو من أمهات الشعر في العالم ويجب أن يكون متوفراً لشباب اليوم.

كذلك قرأت في شبابي الشعر الصوفي بجميع اتجاهاته، وكان يستهويني كثيراً شعر جلال الدين الرومي الذي كنت أحفظ الكثير من أبياته، كما قرأت أيضاً رباعيات عمر الخيام بترجمتيها تلك التي كتبها أحمد رامي والأخرى التي قام بها السباعي، وقد كانت ترجمة رامي هي الأدق لأن رامي كان يجيد الفارسية، أما ترجمة السباعي فكانت في نظري الأجمل.

واستمر معي هذا الاهتمام بالشعر في سنوات النضج حتى بعد أن أقلعت تماماً عن كتابته[١١٨] من القدامى أحببت المتنبي وأبا نواس وأبا تمام وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي.. ومن المحدثين: السياب والبياتي وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وأمل دنقل[١١٩] "أنا من عشاق الشعر، أقول لك بصراحة إن أنا في الصباح بعد الإفطار لابد أن أقرأ حتى ولو بيت شعر واحد قبل ما أخرج أتمشى "[١٢٠].

وقد كان لكل ذلك تأثير لا أستطيع إنكاره على كل ما كتبت من أعمال، لأن التراث جزء لا يتجزأ من تكوين الأديب[١٢١] فالأسلوب كان تقليدياً موضوعياً في أعمالي المبكرة حتى الثلاثية، تقصي التفاصيل إلى أقصى مدى، وهنا

كان إفتقاد التركيز ولا تحظى إلا بالقليل من الشعرية، وفي الستينات حاولت الوصول إلى الشاعرية واختزلت التفاصيل لحساب الفكرة وكانت رواية السراب، وفي الشحاذ كان فيها الأسلوب تأثيري، وهذا يعني في الرواية التركيز على الحياة الداخلية للشخصية الرئيسية دون الإعتناء كثيراً بالواقع الخارجي، فالتحليل العلمي الموضوعي أو التشخيص للحالة لم أركز عليه في البطل رغم الغوص في أعماقه الداخلية وكان تركيزي على الشاعرية في التعبير.. الشاعرية الكامنة في الموقف والشخصية(١٢٢).


١٧
السلسلة الثقافية لطلائع مصر
ALFR.
NOBEL
أنا.. نجيب محفوظ
سيرة ذاتية
الجزء الثاني

بـدأت إنتاجي الأدبي

كتبت سنة ١٩٣٦ حوالي ١٠٠ قصة[١٢٣] فما أكثر الأقاصيص التي رفض نشرها، وكانت أيام عذاب ومحنة تتكرر مع كل أقصوصة أو مقال. على أن المقال كان أسرع في القبول من الأقصوصة، كنت أكتب المقال مع الأقصوصة والرواية، وكان المقال يقبل والأقصوصة والرواية يرفضان، وجاء وقت قبلت فيه الأقصوصة فانصرفت إلى كتابتها ونشرها وإن لم أمتنع في الوقت نفسه عن كتابة الرواية.. نشرت في الصحف حوالي ثمانين قصة[١٢٤].

نشر حسن الزيات معظمها في مجلة الرواية ونشرت الباقي في الرسالة والثقافة وكتبت قبلها أكثر من ستين قصة لم أنشرها لأنني لم أكن راضياً عنها[١٢٥] سأصرح لك بسر: لقد بدأت كتابة القصص القصيرة متأثراً بقصص محمود تيمور والمازني ومترجمات محمد السباعي القصصية وعندما عدت إلى كتابة القصة القصيرة لم أكن متأثراً بأحد من كتاب القصة القصيرة[١٢٦] بخلاف ما قرأت عن فن الرواية لم أقرأ إلا القليل عن القصة القصيرة بل وقرأته في سن متأخرة كذلك ليس في مكتبتي من مجموعات القصص العالمية إلا القليل وأكثر ما قرأت في المجلات، ومن عجب أنه كان لي صبر بلا حدود على قراءة الروايات رغم طولها ولا صبر لي على قراءة القصة القصيرة[١٢٧].

ظللت أكتب كثيراً حتى جمعت لدى أعمالا من غير نشر من غير أن أشعر برغبة في التوقف لأنني لم أربط العمل بثمرته وهذا ما جعلني أصبر على تجاهل عملي لما خرج إلى النور فيما بعد بهدوء وسكينة. ولو نظرت إلى الأدب كعمل وثمرة لتغير الحال[١٢٨] يعني قابلني صمت طويل ولكن صبري كان أطول منه[١٢٩] وتعلمت أن الصبر الإيجابي مفتاح الفرج، الصبر عندي ليس مرادفاً للإستسلام إنما باعث على العمل دون انتظار النتيجة، كتبت ثلاث روايات ولم تنشر فبدأت أكتب الرواية الرابعة[١٣٠].

يوم من أيام صيف ١٩٤٠ كان يوماً من أسعد أيام حياتي، بالطبع أتت بعده أيام أخرى سعيدة لكن طعم هذه السعادة أبدا لم يتكرر ! كنت أمشي في شوارع القاهرة بلا هدف، وفوجئت بالصديق- المرحوم- صلاح ذهني يصيح عليّ بلهجة أحسست معها أن حادثاً ما خطيراً قد حدث.

- أين أنت؟ يبحثون عنك منذ شهور

ومن هم؟

- مجلة الثقافة لك جنيه عندهم.. ثمن قصتك الأخيرة وهم يريدون التخلص من هذا الجنيه الذي يربك لهم تسوية ميزانيتهم !

كنت قد كتبت ونشرت حتى ذلك اليوم ما يقرب من ثمانين قصة، ولم أقبض مليماً واحداً منذ عام ١٩٣٤ وأنا أنشر قصصاً قصيرة في مجلتي الرسالة والرواية دون أن يدخل جيبي مليماً واحداً. طرت طيرانا إلى مجلة الثقافة ما الذي حدث؟

لم أنتظر لأعرف الجواب.. كنت أحس أني أحمل ثروة ضخمة، ووجدت الجنيه في انتظاري فأخذته وانطلقت إلى أصدقائي وليلتها شهدت العباسية سهرة أصدقاء مرحة إستمرت حتى الصباح!! في تلك الليلة ظننت أن أبواب الثروة قد فتحت لي، فأرسلت لهم قصة أخرى كانت حوادثها كلها تدور أثناء غارة، فقد كنا أيام الحرب العالمية الثانية، ولأول مرة تكوى القاهرة بهذا النوع من الحروب، وكان طابع القصة هو الرعب الذي تحدثه الغارات في النفوس.

نشرت القصة بالفعل، فذهبت لأقبض ثمنها وأسلمهم قصة جديدة، غير أني ما إن دخل عليّ سكرتير التحرير ورآني حتى هاجمني شرر ينطلق من عينيه، وهجم عليّ كما لو أنه يريد أن يخنقني على خديعتي له!! أي خديعة؟!

في تلك الأيام كانت الرقابة العسكرية تمنع أي كتابة تثير الخواطر، وما إن نشرت قصتي عن الغارة، حتى فوجئت المجلة بإنذار من السلطات وخصم المسئولون في المجلة جزءاً من مرتب سكرتير التحرير لعدم يقظته!رأيت هياج سكرتير التحرير فلم أنتظر حتي ثمن القصة بل وليت هارباً ولم أعد إليهم وبقى الجنيه الوحيد الذي أخذته منهم ذكرى يتيمة لكن جميلة غمرت قلبي بالأمل في المستقبل، كانت النقود أيامها هي آخر شيء يفكر فيه كاتب ناشيء مثلي، نعم ظللت أعتبر نفسي ناشئاً حتى بعد كتابة ونشر ٨٠ قصة! كان النشر في تلك الأيام هو المجد الأعظم والمتعة التي لا يعلوها متعة!! كان جيلنا لا ينظر للأدب على أنه مصدر رزق، إنني أتذكر تلك الأيام وأضحك وأفكر كم تغير الزمن !

إثنان أو ثلاثة فقط هم الذين كانوا يقبضون على ما يكتبون: طه حسين والعقاد والمازني، أما جيلنا فكان المجد في النشر وحده، واحد فقط من جيلنا ثار على هذا الموضوع "عادل كامل" عزم على إن يحترف الأدب ويعيش منه فماذا حدث له؟ كان أول أديب من جيلنا توقف عن الكتابة، كان يكتب الرواية فلا يناله منها قروش، كان يكتب المسرحية فلا تحيا شخصياتها إلا في ظلام درج مكتبه، أعلن هجرة الأدب واحترف المحاماة !![١٣١]

لو كان فى إمكانى

دخلت الأدب وأنا في نيتي أن أعمل لآخر نفس، نجحت سأستمر، فشلت سأستمر، كنت مصراً ألا يعوقني أي شيء ، لم أكن أضع غاية إن لم أصل إليها سيصيبني اليأس وسأتوقف. كنت قد قدرت أن أسير في طريقي ولا شيء يوقفني(١٣٢) عندما اخترت الأدب كان إختياراً حتمياً ولم ألجأ إليه كشيء بديل عن أي شيء آخر قد انصرف عنه إذا ما تحقق البديل الأساسي، وكان لابد من الاستمرار والمثابرة أيا كانت النتائج، كان الأدب بالنسبة لي نوعاً من المسئولية كالزواج الذي أنجب فيه الإنسان إبناً وأصبح من المستحيل عليه أن ينفصل عنه أو يتخلى عن أبنائه فيه(١٣٣).

وحبي للهندسة والعلوم الرياضية أكسبني ذهناً مرتباً ومنطقياً وساعدني على تنظيم حياتي، وهذا التنظيم كان ضرورة لأني كنت موظف ملتزم بمواعيدي، وأريد أن أتفرغ لفني الذي أحبه فحددت له وقتاً ثابتاً لا أتنازل عنه، ثم أنى أحب الناس ومرتبط بأصدقائي فخصصت لهم وقتاً محدداً.

و إذا لم أكن منظماً بهذه الصورة لما أنجزت أي شي في حياتي(١٣٤) للأسف الأدب عندنا لا يعتبر مهنة، ولذلك لا يعيش الكاتب ملكاً "كوليام جولدنج" بعد حصوله على نوبل وطبع ٣ ملايين نسخة من روايته"لورد الذباب" أو"ملك الذباب"(١٣٥).

عند تخرجي من الجامعة لابد من وظيفة تؤمن لي حياتي(١٣٦) الشيء الوحيد الذي كنت أتمناه هو: لو كان في إمكاني أن أتفرغ للأدب منذ مطلع شبابي(١٣٧) لم يكن هناك خيار. لابد من الوظيفة وكان الخيار فيها فقط بين وظيفتين: إما العمل بالتدريس أو العمل ككاتب بإدارة الجامعة، ووجدت أن العمل في الوظيفة الكتابية بالجامعة هو الذي سيعطى لي فرصة لممارسة هوايتي الأساسية وهى كتابة القصة والرواية.

و بدأت أنظم حياتي على هذا الأساس رغم أن الرواية لم تكن فناً معروفاً وليس لها من يحترفها في مصر وكانت تأتى على هامش اهتمامات الكتاب والمفكرين، فمثلاً كتب العقاد"سارة" وكتب طه حسين"الأيام" ولم يظهر الكاتب الفنان المحترف حتى هذا الوقت(١٣٨).

أول رواية

١١ نوفمبر ١٩٣٤

لا أذكر الكثير عن يوم الوظيفة سوى أنني نجيب أفندي محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا[١٣٩] اشتغلت في إدارة الجامعة بعد أن حصلت على الليسانس وبقيت بها حتى سنة ١٩٣٨ وكانت هذه الفترة أخصب فترات حياتى فالعمل قليل والمكتبة أمامي ألتهم مجلداتها كل يوم[١٤٠] وفى وقت محدد من الصباح إلى الظهر فقط، ولذلك كان محصول هذه الفترة غزيراً بالقياس إلى السنوات التالية[١٤١] كتبت في هذه الفترة ١٠٠ قصة قصيرة و٣ روايات طويلة هي: عبث الأقدار، رادوبيس، كفاح طيبة[١٤٢].

الوظيفة أمدتني بمادة خصبة من الشخصيات الإدارية التي عاشرتها، وأيضا فقيود الوظيفة كانت تستفزني، لكي أجد نفسي، وأحقق ذاتي في الكتابة بعد الظهر[١٤٣] جربت أن أكتب الرواية الطويلة، قد يكون لذلك أكثر من سبب فمن الطبيعي أن يبدأ الكاتب تجاربه بأشكال يمكن إنجازها في وقت قصير، وبمحاولات لا تستعصى على النشر، ولو في المجلات والصحف، وقد يكون السبب أن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد تجارب متعددة، هذا إلى مزايا الرواية الفنية، فالحق أنها من حيث الإمكانية تتضمن إمكانيات الأقصوصة والمقالة والمسرحية والشعر، أي أنها تتسع لكل تعبير أدبي.

في الراوية تجد اللحظة أو الموقف الواحد اللذين تمتاز بهما الأقصوصة، وفيها تجد التحليل والنقد كما في المقالة، وتجد الحوار والموقف الدراماتيكي كما في المسرحية، وفيها متسع للتعبير الشعري والخيال الشعري إن وجد الإستعداد لهما، كما في الشعر. بل إن في الرواية إمكانيات الوسائل التعبيرية الأحدث منها كالإذاعة والسينما، وبينما تجد فى كل شكل في مجالاً محدداً للتعبير لا يستطيع الفنان أن يتجاوزه، فان الرواية لا حدود تحدها فهى شكل فني لا نظير له[١٤٤].

عندما تشرع في كتابة أقصوصة تصطدم بقيود يفرضها مجمل العمل الأدبي الذي بين يديك فيحدد ذلك نمط السير وطريقته، قالب لا يجوز أن يخرج عنه، وعندما تشرع في كتابة مسرحية تشعر بقيود أشد يحددها المسرح نفسه والجمهور، أما عندما تشرع في كتابة رواية فإنك لا تشعر مقدماً بقيود يفرضها زمان أو مكان، فالمكان قد ينحصر في متر مربع، وقد يشمل العالم والكون، أما بالنسبة إلى الزمان فباستطاعتك أن تملكه بدءاً من ساعة وحتى الأبدية. ولكن الحرية لا تعني الفوضى أو السهولة، بل على العكس فإنني أعتقد أنك بقدر ما تحظى من حرية بقدر ما تعانى من مسئولية. فالرواية باب مفتوح كله إغراء، ولكنة يقود إلي الهلاك إذا لم تعتصم بمسئوليتك الذاتية.

الرواية شكل عجيب من حيث أنه يحوي جميع الأشكال الأدبية، بل الفنية، مثال ذلك أن المسرحية إذا حوت لمحة روائية عد ذلك عيبا، ولكن الرواية قد تحوي المسرحية والشعر والموسيقي والفن التشكيلي.

ومن هنا يمكنني القول أن الرواية هي أفضل أداة للتعبير في أي عصر يسمح للأدب بحرية التنفس[١٤٥] كنت أمضي العام كله وأنا أكتب رواية واحدة ثم آخذها تحت إبطي في آخر العام وأركب الترام إلى الفجالة، أدخل "حارة ميخائيل جاد" وأدق باب أحد البيوت، فيخرج إليّ سلامة موسي ويأخذ مني الرواية وأسبوع يمر وأروح لسلامة موسي البيت فأفاجأ به يقول لي: مش بطال لكن حاول مرة ثانية[١٤٦] وكان الأديب الوحيد الذي قبل أن يقرأ رواياتي الأولي وهي مخطوطة[١٤٧] بل كان سلامة موسي هو أحد العوامل الكبرى التي ساعدتني في حسم اختياري الأدبي.

وقد بدأت أكتب في المجلة الجديدة منذ إنشائها عام ١٩٢٩ ولم أزل طالبا بالبكالوريا، واذكر أن سلامة موسي قال لي يوما: أن أغلب الذين يكتبون القصة في مصر من المتأثرين بالغرب، فكيف يمكن كتابة رواية مصرية لحماً ودماً؟ وأذكر للتاريخ أنه أجاب: ربما كان الأزهريون هم الأقدر على القيام بهذه المهمة، ليت أزهرياً يكتب رواية مصرية.
قلت له: ولكن للرواية شكل حديث، وأنا شخصياً أحاول. فسألني: هل تكتب روايات؟
قلت: نعم. تساءل: هل نشرت؟ وقلت: لا بالطبع، ولكني أكتب لنفسي ولا أدري ما إذا كان ما أكتبه يستحق النشر أم لا. وطلب مني أن يطلع على شيء مما اكتبه، وفعلاً أطلعته على بعض ما أكتبه فكان يقول لي: أنت تملك موهبة روائية ولكن هذه الكتابات لا تصلح للنشر، وقد كرر على مسامعي هذا الكلام مراراً[١٤٨].
(وكان يوماً) من أسعد أيام حياتي: ذهبت له برواية "عبث الأقدار "وحين قرأها فاجأني: هذه تصلح للنشر وحجزها لديه.
وكانت فرحتي لا تقدر. كنت أسميتها "حكمة خوفو". فلم يعجبه وقال لى: هذا عنوان غير روائى ولن يحبه الناس واستقر الرأي على عبث الأقدار.
قال لى فى هدوء: سوف أطبعها وأقدمها هدية من المجلة الجديدة، فى أجازتها السنوية، وكانت لهذه المجلة أجازة شهران: يوليو وأغسطس، تعطى فيها للمشتركين كتاباً بدلاً من المجلة !!
لحظتها لم أصدق ما أسمع غير أنى كنت أثق فى كلام الرجل، مع هذا ظللت لا أصدق نفسى حتى فوجئت به فى أحد الأيام يقول لى بهدوئه المعتاد:
اذهب إلى المطبعة وصحح روايتك. فجريت إلى المطبعة وفرحة الدنيا لا تسعنى(...) أذكر الآن أول رواية نشرت لى، فتتعالى دقات قلبى. هذا الرجل العظيم الذى نشرها لى وأثر على جيل بأكمله: (سلامة موسى).

كم هى جميلة تلك اللحظات التى أتذكر فيها بداية علاقتي به، حين صدرت المجلة الجديدة، كنت أول قارىء أشترك فيها، فأرسل لى سلامة موسى خطاباً يشكرنى ويقول فيه أعتبرك من أصدقاء المجلة.
وأصبحت فعلاً من أصدقائها لا بالقراءة فقط، ولكن بالكتابة أيضاً ! كنت أرسل إليه مقالات في الاجتماع وفى الفلسفة، وغالباً ما كان ينشرها لى[١٤٩] عشر سنوات كاملة بين ١٩٢٩ و١٩٣٩ كان سلامة موسى هو الراعى والمربى الأدبى لى.

نشر لى وأنا فى الثانوى، ثم فى الجامعة، عشرات المقالات، وكتاباً مترجماً. كنت ما أزال طالباً فى المرحلة الثانوية عندما رحت أترجم كتاباً إنجليزياً إلى العربية عنوانه (مصر القديمة) لجيمس بيكي، كان هدفى هو تقوية نفسي فى اللغة التى أنقل عنها، وقد أرسلت الترجمة والأصل إلى سلامة موسى حتى إذا أعجبته كان هذا اعترافاً جميلاً منه بأننى قادر على الترجمة، وقلت أنه ربما ينشر فصولاً من الكتاب فى (المجلة الجديدة) ولكن الذى حدث أننى فوجئت بترجمتي مطبوعة في كتاب يوزع على قراء المجلة كهدية للمشتركين فيها مقابل توقفها شهرين في السنة عن الصدور. إنه استاذى العظيم، ومن النادر في الماضي أو في الحاضر أن تجد رجلاً مثله يكتشف الموهبة ويواكب نموها بالرعاية الكاملة حتى تصل، ومن النادر كذلك أن تجد مثل الأخلاق الرفيعة التي كان عليها. باع كل ما يملك من أجل الرسالة التي نذر نفسه من أجلها[١٥٠].

المصير في الدرج

واجهت المجلة الجديدة بعد ذلك ظروفاً مالية صعبة، فقفلت أبوابها فلم يعد أمامى إلا دور النشر الأخرى[١٥١] وبعد سنة ١٩٣٩ أغلقت مجلة (الرواية) وكنت أنشر فيها معظم أقاصيصى. وحددت أزمة الورق عدد صفحات الصحف والمجلات فلم تعد تهتم كثيرا بنشر الاقاصيص، فانصرفت بكل جهودي إلى الرواية[١٥٢] كنت أكتب الرواية وأدور بها على دور النشر من جديد.. وبالطبع نفس المصير: مع أختها فى درج مكتبى وأبدأ فى رواية اخرى، وما أن أنتهى منها حتى أحملها بدورها وألف بها على دور النشر من جديد.. وبالطبع نفس المصير تقبع مع أختها فى درج مكتبى حتى تجمع عندي ثلاث روايات بلا نشر: راد وبيس، كفاح طيبة، القاهرة الجديدة[١٥٣]،

غريزة ماتت

لقد أثرت حياتي الخاصة بتجاربها المختلفة على الكثير من مؤلفاتى الأدبية(١٥٤) كما ان الوالدة لها فضل فعلاً، أول حكايات سمعتها في حياتي كانت منها. عرفت النساء في الأحياء الشعبية من المعايشة المباشرة، يكفى جلوسى أمام بيتنا في الجمالية، كن يجئن إلى أمي، كنت أصغى إليهن في أحاديثهن مع الوالدة، وهن يروين لها الأخبار، وعرفت نماذج عديدة منهن ظهرن في رواياتي فيها بعد(١٥٥) كذلك من الناحية المعرفية لعبت أمي دوراً كبيراً جداً، كانت مولعة بزيارة الآثار القديمة التي كانت تهتم بها إهتمام كبيراً رغم أنها كانت سيدة كبيرة وأمية، من الجيل القديم، وأستطيع أن أؤكد لك أنى زرت معها دارالآثار المصرية "الأنتكخانة" عشرات المرات، والهرم وأبو الهول، وكانت تقف أمامها فى انبهار وكأنها فى حالة تعبد، كذلك زرت معها جميع الآثار (الإسلامية والقبطية) ومنها كنيسة مار جرجس التي مازلت أذكر زياراتي المتكررة لها فقد كانت أمي جوالة، ولقد كانت تعرف شهرة هذه الأماكن فتختارها بالتحديد، وكنت أصحبها في هذه الجولات منذ سن الرابعة أو الخامسة(١٥٦)، كنا نخرج مع الوالدة وأحيانا بمفردنا، زرنا حجرة المومياوات عدة مرات، وبالطبع أثر فيَّ هذا كثيراً(١٥٧).

كانت الوالدة مهتمة كثيراً بالآثار الفرعونية وتاريخ الشعب المصري، ولذلك كتبت روايات عديدة منها "كفاح طيبة" و"رادوبيس"(١٥٨) هوايتها هذه هي السبب الذى شكل بداخلي أشياء كثيرة، وأعتقد أن موضوع "كفاح طيبة" جاء إلى ذهني وأنا في زيارة معها إلى حجرة المومياوات، عندما رأيت الملك"رع" الذي تهشم في الدفاع عن مصر(١٥٩) شاهدت في شبابي إكتشاف "مقبرة توت عنخ امون" وهو جعلنى أقرأ بنهم فى التراث الفرعوني، وبالتالي من الطبيعي أن تكون روايتي الأولى "عبث الأقدار" عن التاريخ الفرعونى(١٦٠)، ولكن الذي حبب إليَّ الكتابة التاريخية هو ما استطعت أن أطلع عليه من مؤلفات جورجي زيدان وقصة "ابنة المملوك" لمحمد فريد أبو حديد (١٦١) ثم وجدت نفسي أتجه إلى التاريخ الفرعوني في كتابة الرواية، ووضعت لنفسي نظاماً فى هذا المجال كان من الممكن أن يستغرق عمري كله، وأنا غارق فى محيط عصر الفراعنة بكل ما يزخر به من حياة اجتماعية، وعلوم وفنون وآداب.. واستهواني هذا الخط الفرعوني: فقرأت فيه بتوسع غير عادى، ساعدني على استخراج عشرات الموضوعات لروايات تسجل رؤيتي وانفعالي بهذا العصر الزاهي، وقد بدأت فعلا بكتابة ثلاث روايات أخذت مادتها البكر من هذا العصر. وكانت أمامى موضوعات لأكثر من خمسين رواية(١٦٢) كانت كل هذه الموضوعات من التاريخ الفرعوني، وبسببها حضرت محاضرات قسم الآثار في الجامعة المصرية بعد الظهر، ودرست تاريخ مصر

الفرعونية بأكمله دراسة وافية توشك أن تكون دراسة متخصص، وعزمت على كتابة هذا التاريخ في روايات مثلما فعل جورجي زيدان أو والترسكوت[١٦٣].

لقد كانت الوطنية المصرية متأججة في ذلك الوقت، وكان هناك مد حقيقي للفرعونية، وهو مد كانت له مبرراته الموضوعية، إذ كان العصر الفرعوني هو العصر الوحيد المضيء فى مقابل عصر المهانة والإنحطاط الذي كنا نعيش فيه وقتها، مهانة الإستعمار الإنجليزي وسيطرة الأتراك معاً[١٦٤].

إن نظري دائما على الواقع في كل اعمالى مهما تكن الرواية تتحدث عن التاريخ أو تستلهم التراث، فالحاضر هو الذي يحركنى حتى وأنا أكتب عن الماضي[١٦٥].

قررت أن أؤرخ لوطني في صيغة روائية حتى أن الشيخ مصطفى عبد الرازق قال لي: إنني سأحاكي جورجي زيدان، أما أحمد أمين فقد سألني على إثر فوزي بجائزة عن "رادو بيس": لماذا ذكرت العجلات الحربية التي لم يعرفها المصريون إلا بعد أن دخل الهكسوس مصر؟

فأجبته: إنني تعمدت ذلك.

والحقيقة أن مصر الفرعونية كانت ينبوع إلهام في مرحلة مظلمة تكاد تكون نقيض ما يمثله تاريخنا المصري القديم من عزة وفخار. إنني أنتمي إلى جيل أو قطاع من جيل يكره الإنجليز والأتراك، ودرسنا جذورنا الحضارية دراسة جيدة. وبالنسبة لي بلغت هذه الدراسة مشارف الإحتراف. كنت أذهب إلى محاضرات قسم الآثار وأتابع كل جديد حول مصر الفرعونية متابعة دقيقة. وقد أعددت في خيالي وربما نقلت إلى الورق أفكاراً روائية عن ذلك التاريخ، ماتت فجأة بالسكتة القلبية، كنت قد أعددت مسلسلاً كاملاً.

لم يعد التاريخ القديم قادراً على إلهامى، فكتبت «القاهرة الجديدة» عن العصر الذى أعيش فيه[١٦٦].

القصص القرآني

أعتبر الدين شيئاً هاماً في أعمالي، إعتزمت أن أبرز من خلاله حقيقة المواطن المصري بعاداته وتقاليده وشخصيته، لذلك لم يكن ممكناً أن يختفي عنصر الدين من أعمالي[١٦٧] (و)كان القرآن الكريم من أوائل قراءاتي.

إن أول ما كون مفهومي للقصة هو قصص القرآن الكريم، فقد كنت أطالع القرآن، أقرأ قصصه بعناية، ومازالت حتى الآن أكثر القصص الإنسانية تأثيراً في وجداننا هي القصص القرآنية، فمن منا يستطيع أن يأتي بقصة مثل قصة مريم، أو سيدنا يوسف؟

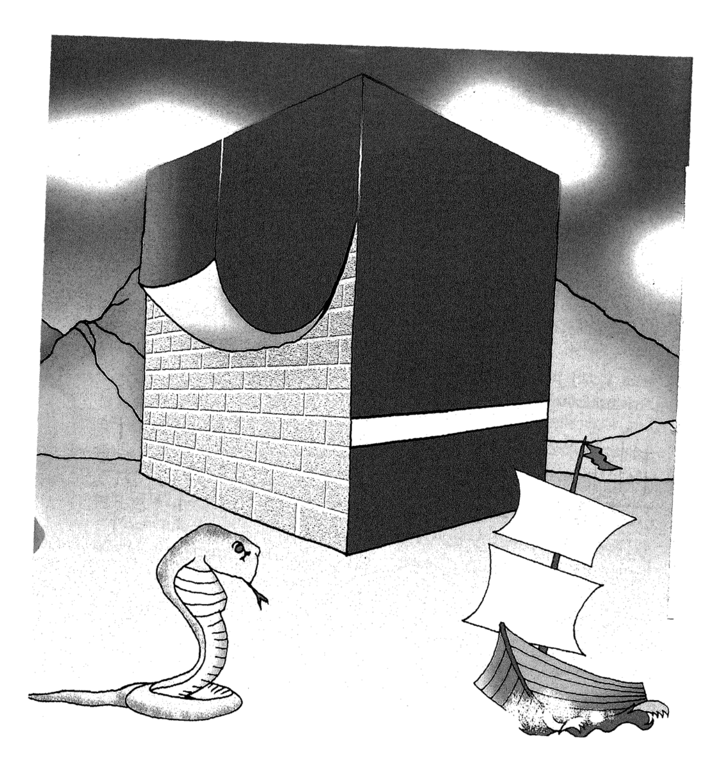
فالقصة في القرآن لا تبدأ مثل الرواية القديمة في القرن التاسع عشر ببداية ثم تتطور إلى أن تتعقد خيوطها وتتأزم لكي تصل في النهاية إلى نقطة الحل، تسلسل الرواية لا يسير وفق التسلسل الرتيب للأحداث وإنما وفق المقتضيات الدرامية التي تحتم أن يرد جزء معين من القصة في هذا الموضع وجزء آخر في موضع آخر، وقد كان هذا يمثل انقلاباً في الفن الروائي الحديث، وجدناه عند "جيمس جويس" مثلاً في بريطانيا، وعند مارسيل بروست في فرنسا.

لكن منذ قراءاتي الأولى وجدت أن هذا هو الأسلوب المتبع في سرد القصص، فقصة مريم لا تبدأ في سورة مريم من بدايتها، وتتسلسل بالترتيب المنطقي لأحداثها إلى أن تنتهي، لتبدأ بعدها قصة جديدة أو سورة جديدة، وإنما نجد قصة مريم موزعة على سور مثل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والتوبة ومريم والمؤمنون والأحزاب والتحريم، حيث يرد في كل منها جزء من قصتها أو قصة المسيح عليه السلام في موضع يتفق مع هذه السورة بالتحديد.

لذلك كان القصص القرآني أول ما شكل عندي مفهوم الفن الروائي من حيث المضمون السامي لهذه القصص وأيضاً من حيث الأسلوب الفني في روايتها، وهو تأثير ممتد في كتاباتي بشكل عام لكن لعله أوضح ما يكون في (حديث الصباح والمساء)[١٦٨].

السكرتير البرلماني

انطلقت إلى وزارة الأوقاف، اشتغلت فيها سكرتيراً برلمانياً للوزير من سنة ٣٩ حتى ١٩٥٥[١٦٩] هذه الوظيفة أصبحت تراثا قديما هي الأخرى، ففي الماضي كان للوزير عدد من السكرتارية، فهناك السكرتير الخاص وهو للشئون الخاصة مثل فتح الرسائل، وهناك السكرتير الصحفي وهو المتحدث باسم الوزارة بين الصحفيين، وكان



يختار عادة من العاملين في مجال الصحافة، أما السكرتير البرلماني فهو همزة الوصل بين الوزارة وبين مجلس النواب والشيوخ، فإن جاء سؤال أو استجواب، أو طرحت ميزانية وزارة الأوقاف للمناقشة كنت كسكرتير برلماني أجمع رغبات مجلس النواب والشيوخ وأقوم بتوزيعها على الأقسام المختلفة بالوزارة لتوضع موضع التنفيذ، ثم أفيد بالنتيجة قبل مناقشة الميزانية التالية[١٧٠].

وكان المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف، يعفيني من العمل بعد الظهر، ويقول لي: علشان تلاقي وقت لقلمك يا نجيب[١٧١]. كان أستاذي في الجامعة، وقد ربانا تربية فكرية علمية راقية، وله منهج وطريقة في التفكير تقوم على التفسير ومواكبة نشأة الظواهر وتتبعها تاريخياً، وهو تلميذ الشيخ محمد عبده وخليفته، وقد اختارني من الجامعة ونقلني للعمل معه في وزارة الأوقاف وهو وزير لها، وهي فترة من أجمل وأخصب فترات حياتي بإطلاق، وظللت معه زمناً ليس بالقليل.

لقد كان يرحمه الله -شخصية نادرة قل أن يجود بها الزمان، وكان بيته مفتوحاً لنا جميعاً دون استثناء، ومكتبته ملكنا، ولم يبخل علينا بشيء[١٧٢].

من غير شك إن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان أهم الذين تركوا بصمة واضحة في عقلي وتفكيري فقد كان خير مرب للعقل، فضلاً عن كونه رمزاً للنبل الإنساني، وكان نموذجا فريدا للانفتاح على الثقافات العالمية والمزج الموضوعي بين التراث الإسلامي والفكر الغربي[١٧٣].

كان يقف وراء أفكاري، لأنه كان يجمع بين الإيمان العميق والإحترام الكامل لإيجابيات التراث، وبين الفهم الواسع للحضارة الحديثة، كان يرى جانبي الصورة متأثراً بأستاذه الشيخ محمد عبده[١٧٤].

وفي آخر هذه الفترة (١٩٣٩-١٩٥٥) كنت قد عينت مديراً "لمؤسسة القرض الحسن" وكانت مهمة جيدة لأنها تتعامل مع الجمهور، وككاتب إستفدت كثيراً من معرفة الكثير من الشخصيات[١٧٥].

كنت - قد عينت عقب تخرجي في إدارة الجامعة وظللت في هذا العمل من عام ١٩٣٥ إلى عام ١٩٣٩ وهي الفترة الوحيدة التي اشتغلت فيها بعمل بسيط نوعاً، وفي وقت محدود من الصباح إلى الظهر فقط، ولذلك كان محصول هذه الفترة غزيراً بالقياس إلى السنوات التالية، فقد ترجمت فيها كتاب "مصر القديمة" وكتبت عشرات العشرات من المقالات في الفلسفة والاجتماع والنقد وعلم النفس، وما لا يقل عن مائة أقصوصة، بالإضافة إلى الروايات الآتية : "عبث الأقدار"، "رادوبيس"، "كفاح طيبة"، "القاهرة الجديدة".

ومن سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥٩ أي في خلال عشرين سنة لم أكتب سوى روايات : "خان الخليلي"، "زقاق

المدق"، "بداية ونهاية"، "السراب"، و"ثلاثية بين القصرين". وذلك لأنني نقلت في تلك المدة إلى وزارة الأوقاف ثم مصلحة الفنون، وكنت أعمل في كل منهما صباحاً ومساءً في معظم الأيام.

وأكثر ما يزعجني في هذه الظاهرة ليس قلة الإنتاج، وإنما قلة ما حصلته خلال تلك الفترة من الغذاء الفكري الضروري، فلا شك أنه كان من الممكن أن يكون أضعاف ما حصلته لو أتيح لي شيء من الفراغ[١٧٦].

يا عديم الخال

عندما التحقت بوزارة الأوقاف كان يلازمني المرحوم كامل الكيلاني، وحذرني من إظهار أي نشاط أدبي، وطلب مني أن أخفي هويتي كمؤلف. قال لي: إنهم لو عرفوا سيضطهدونك[١٧٧]. عندما صدرت رواية "القاهرة الجديدة" وأنت تعرف أن الناس تقرأ الروايات وكأنها حكايات حقيقية. كنت أعمل سكرتيراً لوزير الأوقاف، وحدث اضطراب في الوزارة وتساءلوا عما أقصد؟ وقام بالتحقيق معي الشيخ أحمد حسين شقيق د. طه حسين. وسألني الشيخ أحمد عن الأحداث. فقلت له: هذه رواية مثل التي علمها لنا أخوك طه حسين. ففهم الرجل أنني تلميذ طه حسين رغم أنني لم أره. فقال لي: كويس أنا فهمت الوضع وسأشرحه لهم. وقال لي: لماذا تكتب عن فضائح الباشوات وتعرض نفسك للمشاكل؟ أكتب عن الحب أفضل وأكثر أمناً[١٧٨].

كنا نعيش في أيام محجوب عبد الدايم في ظل الأزمة العالمية التي بدأت في الثلاثينيات. وكانت الحالة الاقتصادية في مصر حرجة إلى أبعد الحدود... فسوق القطن نفسه كانت راكدة... حتى جميع الأعيان والملاك كانوا في أزمة... كانوا كثيري ودائمي الإقتراض في البداية، ثم كانوا يشهرون إفلاسهم بعد ذلك؟ أما المطمئنون بعض الشيء فكانوا أصحاب الدخول الثابتة، عكس الحال الآن تماماً. كانت مرتباتهم رغم ضآلتها الشديدة بالقياس إلى الآن، هي المضمونة والباعثة على الاطمئنان... وكان كل شيء رخيصاً جداً على الأقل لكونه متدهوراً آنذاك.

ورغم هذا اليسر فقد كان الموظفون يعانون من ناحية أخرى، والسبب أنه صدرت قوانين تمنع التعيين والترقيات إلى أجل غير مسمى. أي كانت الحالة في منتهى الصعوبة، ولذلك كان دخول الحكومة في ذلك الوقت ولا دخول الجنة[١٧٩].

مازلت أتذكر مونولوجا حفظته وأنا طفل، يقول:

يا عديم الحال يـــا قليـل المال
رفعتـــك محال في زمان الأنذال

الدنيا دي زي الأنجـــر مليان فته وسط الأزهر
حواليه خفر ونقيب أكبر يـــدي لقرايبـه ويبعتر
ويهب في فقى غلبان(١٨٠)

المنســـيون

حينما كنت موظفاً بوزارة الأوقاف كان هناك أحد السعاة إسمه "عم إبراهيم" يقوم على خدمتنا، وكانت شخصيته طريفة لأنه متقدم في العمر ودائما يتحدث عن متع الحياة التي هو في نفس الوقت محروم منها. فمن هنا جاء السؤال أو جاءت الخاطرة ماذا لو أراد "عم ابراهيم" هذا أن يتمتع بتلك الأشياء التي حرم منها والتي لا يكف عن الحديث بها؟ وإذا تم له ذلك فمن أين تأتيه إمكانات تحقيق أحلامه وكيف تتم؟ أشياء من هذا القبيل ولكنه والحمد لله في الواقع لم يقترف شيئا مما ورد في القصة (دنيا الله) لم يجد حيلة غير أن يأخذ ما يظنه حقه عنوة وذلك بأن استلب مرتبات الموظفين ولكنه كان على قدر من الإنسانية، فحين علم أن أحد الموظفين فقير محتاج فقد ذهب إلى بيته وترك له مرتبه(١٨١).

وجدت في البداية إهمالاً شديداً من جانب النقاد الأدبيين، ولكنني أدركت أن هذه عقبات طبيعية وبمثابة اختبار للتحمل ومدى عشق الإنسان لعمله وتصميمه عليه(١٨٢).

وبهذه المناسبة يهمني أن أذكر أن أول ناقدين كتباً عن مؤلفاتي في مجلة "الرسالة" وهما: "سيد قطب" و"أنور المعداوي" فقد كان لهما الفضل في انتزاعي من الظلام إلى النور(١٨٣).

لقد انفعلت بأول مقال كتب عني بقلم سيد قطب، الصمت لا يطاق(١٨٤) أتذكر أول مقال كتبه عني سيد قطب وكان عن رواية "كفاح طيبة" هذا مقال ممتاز(١٨٥).

لقد كتب عني قبل أن يعرفني معرفة شخصية، كتب عني لمجرد أنه وجد فيما أكتب ما يستحق أن يتوقف عنده حتى ولو كان صاحبه غير معروف له أو حتى غير معروف للقراء، لقد كان ذلك عصر آخر له تقاليد أخرى وأخلاقيات أخرى، وكان سيد قطب صاحب تقاليد وأخلاقيات(١٨٦).

تلاه سنوات صمت حتى كتب أنور المعداوي مقالاً آخر. وأعقب ذلك سنوات من الصمت أيضاً(١٨٧).

(ولكن كان قد) ازداد شعوري بالمسئولية والنقد الذاتي(١٨٨).

الشهــرة أضجرتني

أذكر أثناء الأزمة الاقتصادية الطاحنة في الثلاثينيات أني أخذت علاوة خمسين قرشاً، وعندما ذهبت إلى المنزل وأخبرت والدتي، هزتها الفرحة وقالت: يا ما انت كريم يا رب(١٨٩).

كان أمل الناس تقريباً: الوظيفة للحصول على الضمان والإطمئنان، كان ذلك واقع مجتمعنا، واقع حياتنا، فلم يكن من المعقول أن أترك هذا الواقع وأكتب رواية تاريخية أخرى، أو رواية رومانسية يملأ الحب جنباتها، في حين أنني أشعر وأعيش ظروفا مؤلمة موجعة إلى حد غير محتمل: ظروف مجتمعنا وأيضا ظروف العالم ولم يكن هناك بديل ما دمت اخترت الأدب سبيلا، لكن ينبغي أن تدرك شيئاً هاماً، أنني لم أقرر كتابة رواية واقعية بناء على موضوعية النظرة والإحساس، وإنما قررت أن أكتب رواية، ولكن عموماً فالمادة الأصلية للرواية مقتبسة من البيئة الجامعية التي عشناها في الفترة ما بين ١٩٣٣ و١٩٣٤ بإيجابياتها التي ظهرت في الرواية، وبسلبياتها التي تعتبر استثناء، ووجدت أيضا في الرواية(١٩٠).

كان أدبنا من أدب المعارضة الذي نقد الأوضاع السيئة، ولم نجد من السلطة كبتا جارحاً وعنيفاً لأن الفترة المذكورة غلب عليها طابع الليبرالية، وأضيف أن النكسات السياسية التي كانت تحدث، كانت تقتصر على الحيز السياسي ولا تمتد إلى الفكر والأدب(١٩١).

أول رواية كان لها صدى في العالم العربي هي "القاهرة الجديدة"، وحققت "خان الخليلي "نجاحاً أكبر، ثم إذا بزقاق المدق تغير الموقف تماماً، وإن ظلت الكتابات عن مؤلفاتي في العالم العربي ـ في سوريا والعراق ولبنان ـ أكثر منها في مصر بنسبة خمسة إلى واحد، وأول عمل لفت الأنظار لي "زقاق المدق" ثم "الثلاثية" ثم السينما والمسرح والتليفزيون وكانت الشهرة لذيذة وأنا شاب. ولكن عندما كبرت أضجرتني(١٩٢).

القصة على مكتب الوزير

كثيراً ما سبب لي ولعي بالكتابة الأدبية مشاكل لا حصر لها، وأعد لي مقالب لا قبل لي بها. وأذكر مثلا عند بداية تخرجي في الجامعة أن عملت بوزارة الأوقاف وقت أن كان عبد السلام الشاذلي وزيراً.

ولقد كنت السكرتير البرلماني للشاذلي باشا، وأذكر أنني أعددت له يوماً رداً على استجواب موجه له في البرلمان ووضعته في مظروف، وعند وصولنا إلى البرلمان سلمت الوزير المظروف في مكتبه وخرجت، وبينما أنا جالس خارج المكتب فتحت مظروفاً آخر كان معي لألقى نظرة أخيرة على قصة قصيرة كنت قد كتبتها، وكنت سأقوم بتسليمها في نفس اليوم للزيات لينشرها في مجلة الرسالة، ولك أن تتخيل حالتي حين وجدت أن المظروف الموجود بين يدي ما زال به رد الوزير، وأيقنت أن المظروف الذي تركته له به قصتي، ولم أدر بنفسي إلا وأنا أندفع إلى مكتب الشاذلي باشا قبل أن يدخل القاعة وأقوم باستبدال المظروف هذا بذاك.

وكان الشاذلي باشا مشغولا بالحديث مع أحد الوزراء، فتصورت أنه لن يلاحظ شيئا، ومع ذلك فقد سألني ماذا تفعل عندك؟ فقلت على الفور: لاشيء ذي بال. وخرجت وأنا أتنفس الصعداء

فلست أعرف ماذا كان يمكن أن يكون مصيري لو أنني تسببت في أن يقرأ الشاذلي باشا قصتي على أعضاء البرلمان بدلاً من رده على الإستجواب ؟ !(١٩٣).

ذهـول

أتذكر أنه دار حديث عن مشروع ما، لم يتم واعترض عليه أكثر من نائب، وكان من بينهم فكري أباظة، ولكن الوزارة أصرت على الاستمرار في المشروع، ثم حضر الجلسة مندوب من السفارة البريطانية اسمه مستر "سمارت" واعترض هو الآخر فاستجابت له الوزارة وتراجعت عن المشروع. هنا نهض فكري أباظة قائلاً وهو يشير إلى جسده: هو لازم يعني أكون "سمارت" علشان تسمعوا كلامي(١٩٤).

أنا والثورة وعبد الناصر

"ولقد تصديت لنقد الزعيم الراحل.. من موقع الانتماء إلى ثورته، مقراً فى الوقت ذاته بتراثه الثورى العظيم.. وما تصورت فيه من نقص فهو النقص الذى يلحق لسوء الحظ بكبار الرجال لا النقص الذى يقع فيه ضعاف النفوس ممن تغريهم الحياة الدنيا" (١) نجيب محفوظ

لعل المجتمع الجديد لم يكن قد تبلور بعد حتى أتخذ منه موقفاً واضحاً، في حين كنت أكتب من قبل عن مجتمع واضح الملامح أسيطر سيطرة كبيرة على تفاصيله.

"بين القصرين" : تعبر عن يقظة مجتمع من سباته على دق ثورة ١٩١٩، "قصر الشوق" فيها العوامل الطبقية كعامل من عوامل إفساد هذه الثورة وفى **"السكرية "**:تتجدد ثورات مع دخول شباب جديد إلى المسرح(٢) الثلاثية من أحب الأعمال إلى نفسي. وأول باعث لي على التفكير في كتابتها وفى موضوعها قرائتى لرواية طه حسين" شجرة البؤس" لا أعرف على وجه اليقين هل كنت قد قرأت فعلياً (شجرة البؤس) لتوى أم أن الفكرة كانت سابقة؟ هل" شجرة البؤس" أول قصة أجيال أقرؤها أم أننى سبق أن قرأت في الأدب الغربي مثلاً روايات قبلها، لا أستطيع أن أحكم الآن(٣) أول ما سمعت بـطه حسين كنت طالبا بالمرحلة الثانوية.

وكان في ذلك الوقت كالأسطورة، فالجميع كانوا يتحدثون عنه بسبب الأفكار الجديدة التي كان يطرحها فتأثيره في نفسي سابق تأثرى به عن طريق القراءة، وقراءتى له كانت قراءة أدبيه في الأساس لأنى لم أكن أحب أن أقرأ مقالاته السياسية التي كان يكتب فيها ضد الوفد، فكنت مثلا أتابع" حديث الأربعاء" وقرأت له "على هامش السيرة" و" الأيام" وكانت لهذه الأخيرة تأثيراً كبيراً جداً في نفسي(٤).

عبد الناصر قرأ الثلاثية

بالطبع أذكر، فقد كان يوم ٢٣ يوليو هو أحد أيام العمل، وكنت ذاهباً إلى مكتبى بوزارة الأوقاف، وأذكر أننى وصلت إلى محطة الترام فى ساعة مبكرة من الصباح لكى أشترى الجرائد وأركب الترام إلى الوزراة، لكننى فوجئت بعدم وجود أى ترام، وبعد أن طال انتظارى توجهت إلى بائع الجرائد مرة أخرى أسأله: ماذا حدث للترام؟ فقال لى: إن الجيش قام بإضراب ! وكان مقر الجيش فى نهاية خط الترام بين مصر الجديدة والعباسية، لكننى لم أفهم كيف يُضرب الجيش، فسألت البائع مرة أخرى: أتقول أن الجيش مضرب؟ قال: نعم مضرب وقد أوقف الطريق، ثم تذكرت حادثة إنتخابات نادى الضباط التى فاز فيها اللواء محمد نجيب على غير رغبة الملك ورفض الملك للنتيجة، مما أدى إلى تذمر كبير بين الضباط فتصورت إن كان هناك إضراب فلابد أنه يتعلق بهذا الموضوع، وقد اضطررت إلى أن أسير على قدمى طوال شارع فاروق إلى مقر الوزارة بالعتبة، وأنا أتعجب طوال الوقت من قيام الجيش بإضراب، وفى أثناء سيرى مررت على مبنى الإذاعة الكائن ذلك الوقت بشارع الشريفين، فاندهشت لوجود دبابة حربية أمام مدخل المبنى، فأحسست على الفور أن هناك شيئاً غير طبيعى فى البلد.

بعد أن وصلت إلى وزارة الأوقاف، حيث كنت أعمل بمكتب الوزير، فهناك قال لى المرحوم عبد السلام فهمى ما حدث، واستمعنا معا الى بيان الثورة الذى تقررت إذاعته عدة مرات فى ذلك اليوم(٥).

كنت قد انتهيت (من كتابة الثلاثية) قبل قيام الثورة بمدة بسيطة وتعذر طبعها بسبب ضخامة حجمها، وعرض علي" يوسف السباعى" أن يساعدنى على نشرها فى إحدى المجلات، لكن الثورة قامت قبل بدء النشر فاحتفظ بها يوسف السباعى ونشرها فى مجلة" الرسالة الجديدة" وهى المجلة التى أصدرتها حكومة الثورة وقتها.. ونشرت بين القصرين مسلسلة فى الأعداد الأولى منها، وكان نجاحاً مشجعاً لسعيد السحار على أن يطبعها، واقترح علىّ تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء ليسهل طبعها وبيعها، فقسمتها حسب الفترات التاريخية وأسميتها" بين القصرين" و" قصر الشوق" و" السكرية".. اما اسمها الأول فكان" قصر الشوق" فقط[٦] قال لي أحد الضباط أنه لما نشر خبر طبع بين القصرين اهتم عبد الناصر وطلبها ليقرأها[٧].

خلعت الطربوش

لم أكن أتصور أبداً أن يقوم الجيش بانقلاب يطيح بالملكية، ويوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، انتابني القلق الشديد على مصير مصر حيث تذكرت ثورة عرابي التي ضربها الإنجليز، وتلاها إحتلال مصر وظللت لفترة بين قلق وارتياب فيمن قاموا بحركة الجيش[٨].

كنت مع الثورة بدون قيد ولا شرط، ولم أبد أي تحفظاً عليها إلا بعد مرور زمن، ولكن ذلك لا يمنع الانتماء إلى ثورة يوليو باعتبارها ثورة اجتماعية قامت لإعادة تركيب المجتمع المصري على أساس عادل ودفعه للتقدم نحو المعاصرة فى العلم والتكنولوجيا والصناعة[٩].

فيما قبل الثورة كان هناك ملك وانجليز وشعب يمثله الوفد، الحكم كان أوتوقراطياً، أما إطلاق الديمقراطية على هذا العصر فهذا ظلم لأن الديمقراطية لم تحكم طوال هذا العصر إلا ستة سنوات فقط ولا تستطيع أن تحكم على هذه الفترة إنما كان هناك شعب حي يمثله حزب قوى يقاوم الإحتلال والملك. كان يعطينا صعود انفسيا وإحساساً بالذاتية وأملا، وهذا العهد حتى سلبياته لم تخلو من مظاهر الديمقراطية، الملك لم يحكم أبداً وحده بل دائما معه مجلس نواب ومجلس شيوخ وصحافة، ففى أسوأ الظروف كان هناك قضاء مستقل وقدر

من حرية الثقافة، فإذن كان هناك مظاهر الحياة الديمقراطية وليس ديمقراطية، العيب الوحيد فى هذه الفترة كان هو غياب البعد الإجتماعي خاصة في أواخرها بعد الحرب العالمية الثانية وارتفاع الأسعار وزيادة عدد السكان، وبدا الناس لا يقصرون حديثهم على الدستور والإستقلال، ولكن أضافوا إلى ذلك لقمة العيش، الظلم الاجتماعي فى هذه الفترة لا يمكن الدفاع عنه.

عبد الناصر غير الحياة من جذورها، لقد حرر هذا الشعب من الإقطاع وأصحاب رؤوس الأموال المستغلين والذين كانوا يحكمون من وراء الحكام ومن الإحتلال الإنجليزي ومن الملك، هذه الإنتقالة التي حدثت للشعب المصري لم تحدث فى تاريخه من قبل(١٠).

ثورة يوليو تبنت "أحلامــاً" نبيلة وكان لديها فرصة تاريخية لتجعلنا مثل ألمانيا أو اليابان، وكل قرار من قراراتها الإصلاحية كان يقربني منها(١١).

كان تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ إحدى أهم محطات السعادة في حياتي وفي حياة الشعب المصري، فقد شعرنا بأننا نسترد ما هو لنا بعد سنوات طويلة من الإغتصاب، لقد كانت خيرات هذا البلد تذهب جميعها للأجانب وقت الاستعمار، ولم يكن هناك للمصريين إلا الفتات، ثم جاء التأميم ليؤكد لنا وللعالم أجمع أن البلد بلدنا وأنه لن يتم استغلالنا بعد اليوم(١٢).

خلعت الطربوش

أقلعت عن لبس الطربوش بشكل نهائي بعد قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢، وكنت سعيداً بذلك سعادة كبيرة، فقبل عام ١٩٥٢، لم يكن من الممكن أن أدخل على مدير الوزارة بدون الطربوش ثم تطور الحال حتى أصبح المدير نفسه يأتي بلا طربوش لأن الطربوش كان رمزاً للتبعية التركية أو رمزاً للملكية القديمة التي كانت تتبع التقاليد التركية فكان رجال العائلة المالكة يرتدون الأحمر، والنساء يرتدين "اليشمك" الأبيض، وحين أسقطت هدى شعراوي الحجاب في بداية العشرينات، هي لم تكن تسقط رمزاً إسلامياً، وإنما كانت تسقط رمزاً للتبعية السياسية لتؤكد الإستقلالية المصرية، أما الطربوش فلم يتم إسقاطه إلا بقيام الثورة.

والقبعة كنت ألبسها في الصيف فقط، لأنها كانت تحمى من الشمس أكثر من الطربوش، وقد كانت لدى بعض الحساسية الجلدية التي كانت تتأثر بأشعة الشمس الحارقة، ولقد قام صديقي مصطفى أبو النصر بإهدائي قبعة وجدت أن بها فائدة، وكانت عندي قبعة أخرى لا أعرف من أين جاءتني ولا أين ذهبت الآن هى وزميلتها.

لكن للقبعة تاريخاً آخر فى حياتنا حين كنا فى التعليم الثانوي، وفى الجامعة ظهرت دعوة لإرتداء القبعة كنوع من الفرنجة والإندماج فى الحضارة الغربية على أساس أن الطربوش هو رمز التأخر وأن القبعة هي رمز التقدم وهناك من قادوا هذه الحملة مثل الراحل محمود عزمي، وقد ظهرت فى ذلك الوقت منولوجات تتغنى بذلك فتقول "ما بدها زيطة.. ما بدها عيطة.. خلاص لبسنا البرنيطة"، لكن تلك الدعوة لم تستهوينى لأنه فى عز حماسي للحضارة الغربية، لم يقل عندى شأن الحضارة العربية الإسلامية التي هي الأصل فكنت ترى على مكتبي مؤلفات شكسبير جنباً إلى جنب مع المتنبي(١٣).

أنقاض

كان لابد أن أتأمل ما يحدث - وكان تحت يدي سلسلة من موضوعات الروايات الواقعية تكفى لعمري كله... وأذكر أنني ناقشتها مع عبد الرحمن الشرقاوي... وفجأة عاودتني حالة الموت الفني عقب قيام الثورة مباشرة ولكن هذه الفترة استمرت خمس سنوات كاملة (من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٧)، وكدت أنصرف نهائياً عن كتابة الأدب الروائي وأتحول إلى سينارست سينما محترف بعد أن فقدت رغبتي نهائياً وبشكل مفزع بالنسبة لكتابة الأدب، بل وفقدت مجرد الرغبة فى التفكير فيه، لا أستطيع أن أعطيك تفسيراً قاطعاً... ربما كانت حالة ترقب لما ستفعله الثورة.... وربما كانت إرتياحاً مؤقتاً لخلاص مصر بعد الثورة من مظالم الحكم بعدها، وما نادت به من مبادئ العدالة الإجتماعية(١٤).

إن تحقيق الأحلام بالنسبة للكاتب يزهده في الكتابة، هذا كان تفسير، ولكن هل هو حقيقي، أنا الآن أشك فى هذا التفسير(١٥).

كان لابد أن أتوقف وأتأمل وأرصد، فضلاً عن ذلك فإن كل الذين كتبوا خلال هذه السنوات أنفقوا جهدهم في الكتابة عن الماضي ونقده، رغم أنهم لم يمارسوا ذلك قبل انهياره، فقد كانت كتاباتهم موزعة بين الحب والرومانسية والبوليسية، أما بالنسبة لي كما قلت فقد أشبعته نقداً وانتهى هو إلى إنهيار وتحول موضوعي معه إلى أنقاض، فكان عليّ أن أتأمل ذلك الجديد الذي يولد ويتشكل وينمو قبل أن يأخذ ملامحه الكاملة[١٦].

كما أن الإصلاح لا يتوقف فإن تناقضات المجتمع لا تتوقف، فبعد فترة من الزمن يتعامل الإنسان مع تناقضات جديدة فى المجتمع الجديد ويعود إلى الشعور بالهوة التي تفصل الواقع عما يجب أن يكون، فيشحذ قلمه ويدخل المعركة[١٧].

أولاً يجب أن يكون للأدب موقفاً يعبر عنه ثم يجب عليه بعد ذلك أن يكون على استعداد لتحمل تبعات هذا الموقف، فهناك عصور اتسمت بهامش كبير من حرية التعبير وأخرى ضاق فيها هذا الهامش إلى حد كبير.

وأنت تعلم كل وسائل التحايل والإيحاء والرموز والكتابة بين السطور، وهذا التحايل أفضل للأديب من أن يكذب أو يخون أمانة الكلمة بينه وبين القارئ، كما أن مثل هذا الأسلوب قد يبعد الأديب عن المباشرة التي يسقط فيها البعض حين يكون له الحرية الكاملة سواء بسبب إتساع هامش حرية التعبير أو لتوافق موقفه مع الموقف الرسمي لكن لديه في جميع الأحوال إلتزام بأن يقول كلمته وفق قناعاته وإلا فلا تصبح له قيمة ولا لما يكتبه، وخصوصاً أن له مندوحة فإذا لم يكن على مستوى الصراحة ولا هو قادر على التحايل فليكتب فى موضوعات بعيدة تماماً عن أية شبهة سياسية. إن الرسالة هي جزء من القيمة الفنية[١٨]. تميز الفن عن كل ما عداه. تغيرات إجتماعية متلاحقة، بيئة اجتماعية كاملة تغيرت، التركيب الإجتماعي لم يعد كما كان، وظهرت أجيال لها طموحات وأشواق وأهداف جديدة، كان لابد لذلك كله من أن يترك أثره على رؤيتي الإجتماعية، وأن تنعكس هذه المتغيرات على ما أكتبه. في الماضي كان هناك نوع من الاستقرار الشكلي. بالرغم من تغيير الحكومات، والأخذ ببعض الإصلاحات.

تغييرات فى ١٨ سنة كأنها وقعت فى ١٨٠ سنة. وطبعاً نحن لسنا معزولين عن الدنيا التى راحت تتغير هى الأخرى من ستالين إلى خروشوف. ومن حرب فيتنام إلى ووترجيت، ومن تخمة الغرب إلى الجفاف والمجاعة والأوبئة فى العالم الثالث، ومن القنبلة الذرية إلى الثورة الالكترونية، ومن الراديو إلى التليفزيون الملون. ثورة فى كل شيء لم نكن نستطيع أن نتجنبها. وقد تركت آثارها على عاداتنا وتقاليدنا وعلاقاتنا وقيمنا، فكيف لا تنعكس على الكتابة[١٩]؟

لقد أحدثت هذه الثورة تأثيراً فى كتاباتى وغيرت الرؤيا كلها لأنها أسقطت المجتمع الذى كنت أرفضه وانشأت مجتمعاً جديداً حققت فيه للشعب مكاسب وايجابيات ضخمة، ولكن رافقت الثورة سلبيات كثيرة[٢٠].

لقد نلت فى عهد عبد الناصر أكبر تقدير من الدولة على جميع المستويات من التكريم والأوسمة والجوائز، ولا اعتقد أن ثورة تمنح كاتبا كل هذا القدر من التقدير ثم تشعر أنه خائن لمبادئها[٢١].

"ميرامار" تعرية للتسيب ولذلك أعتبرت نذيراً للهزيمة. "ثرثرة فوق النيل" عزلة المثقفين والشعب عن المسئولية. "الحب تحت المطر" التناقض الحاد بين جبهة جادة ومدينةٍ غارقة فى اليأس. "الكرنك": جهاز الرعب يقتلع روح أبناء الثورة.

"شهر العسل": وجوب التغيير الجذرى[٢٢]، والحقيقة أقول أنه رغم نقدى لهذه السلبيات فلقد كنت أتمتع ككاتب بحريتى[٢٣] فى كل الأوقات وفى كل العصور فأنا أثناء الكتابة حر مائة فى المائةولم يحدث قط أن تنازلت عن حريتى[٢٤] عندما أكتب يركبنى عفريت الكتابة ولا أستطيع منع نفسى أبدًا من المضى فيما أرغب فى كتابته[٢٥] بعد النشر حين أسمع بعض التعليقات أشعر بالخوف[٢٦].

أنا عادة أكتب فى حرية تامة سواء فى عصر فؤاد الذى نسيته أو فاروق أو عصر الثورة، والمشكلة تأتى عند النشر فكان وراء كل نشر ترقب، إنما من الواقعية أن أقول لك: اننى كنت أتأثر بالجو رغم رغبتى غير المحدودة فى التمتع بالحرية، يعنى مثلا الروايات التى كتبتها قبل الثورة هاجمت المجتمع كثيراً لكن فى حدود أقف عندها، يعنى لا أستطيع أن أهاجم هجوماً صريحاً البيت المالك، إذن كنت من غير أن أشعر ألاحظ أشياء. كذلك وأنا

أكتب الثلاثيةوقد كتبت قبل الثورة تجد أنه رغم أن ثورة ١٩١٩ وسعد زغلول هاجموا الملك إنما كان أيضاً فى حدود الإحترام والقانون، مما لايمكننى تجاوزه، فلا أستطيع مثلاً أن أستخدم الأساليب والألفاظ التى من الممكن أن تكتب عن البيت المالك بعد ثورة يوليو. إذن كنت أكتب بحرية تامة ولكن لاشعوريا أقف عند حدود معينة، كذلك فى نقدى بعد الثورة كان لى موضوعات أعتبرها البعض جريئة واعتبرها الآخرون جنونية[٢٧].

مراجعات

كانت تلك مرحلة أصبنا فيها على المستوى السياسي بيأس شديد وبخيبة أمل لم تكن متوقعة بأي حال من الأحوال، فقد كنا معتمدين على قوتنا، وعلى قوميتنا، وعلى مذهب إشتراكي جعلنا على صداقة وثيقة بثاني أكبر أمم العالم وكان ذلك يشكل منظومة معرفية إهتزت بشدة بعد هزيمة ١٩٦٧، وظهر أن تلك القناعات التي عشنا عليها سنوات لم تنفعنا حين وضعت في الإختبار وهكذا تغيرت معرفتنا بهذه القناعات الثلاثة.

حيث اتضح أن القوة التي كنا نتصور وجودها بأعتبارها أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط غير موجودة، وإيماننا بالقومية العربية لم ينجدنا من محنتنا. أما الاتحاد السوفيتي فقد اكتشفنا أنه هو أيضاً يهاب مثلنا. لقد كانت المرحلة مرحلة مراجعة لمعارفنا الأساسية في ظل الحقائق التي تبدت أمامنا واضحة وضوحاً مخيفاً، وقد بدأ يحل عندي بعد ذلك محل القومية بمفهوم آخر حديث أكثر عملية وبراجماتي يعتمد على تحقيق المصالح المشتركة بين الأقطار العربية متخلق من رباط اللغة المشتركة والثقافة والدين، وسيلة فعالة لتحقيق ذلك.

والقوة التي تهاوت أوهامها أمامنا جعلتني أؤمن أكثر بالسلام كوسيلة أكيدة فقد أصبحت أؤمن منذ ذلك الوقت وقبل أن يسقط الإتحاد السوفيتي بأن أي طريق يؤدى إلى العدالة الإجتماعية هو طريق مقبول حتى وإن جاء من الرأسماليين، ففي الكثير من الدول الرأسمالية يوجد من الخدمات العامة ما عجزت عن تقديمه بعض النظم الإشتراكية.

ليس هناك اشتراكية جيدة ورأسمالية سيئة لكن هناك أهدافاً سامية لا اختلاف عليها وكل من استطاع تحقيقها فهو جيد.

لكن ما إن وصلنا إلى تلك المعرفة حتى تبدى أمامنا مرة أخرى عدم المعرفة وذلك في المعطيات الجديدة للعصر الجديد وأصبح علينا مثلاً أن نعرف ما هو النظام العالمي وما هي إتفاقية الجات وأين سيكون موقعنا منها وهل ستفيدنا أم ستضربنا وهل نملك حرية الحركة إزاء هذه المعطيات الجديدة أم أنها مفروضة علينا شئنا أم أبينا[٢٨].


الاستقلال
التام
تحيا مصر

يوم عانيت فيه

لقد جفت الدموع بعد موت سعد زغلول[٢٩] وكان أكثر أيام حياتي حزناً... كان حب الناس له بلا حدود كزعيم شعبي يمثل الأب الروحي (أما) يوم عبد الناصر فقد حدث لي ذهول وشئ أكبر من الحزن هو الخوف على مركب ليس لها ريس، كان مثل أب صارم[٣٠] الذى هو يوم لن أنساه أبداً يوم ٢٨ سبتمبر وفي هذا اليوم عدت من الإسكندرية في المساء أنا وزوجتى وإبنتانا ولم يكن هناك بالطبع أي استعداد للعشاء بالمنزل الذي كان مغلقاً منذ شهر كامل فقالت زوجتي إنها سترسل الشغال ليحضر لنا عشاءً جاهزاً من أحد المطاعم القريبة فجلسنا أنا والبنتان أمام التليفزيون الذى لا يقدم إلا القرآن، وعندما طال ذلك قلت لزوجتي إن هناك بالتأكيد كارثة وقعت. إن الراجح عندي هو أنهم قد قتلوا الملك حسين فقد كان الملوك العرب مجتمعين في القاهرة بدعوة من الرئيس عبد الناصر في محاولة لوقف مذبحة أيلول بين الأردن والفلسطينيين لكن في أثناء ذلك عاد الشغال من المطعم ليقول إنه سمع أن الريس توفاه الله ففزعت فيه فزعة ونهرته بشدة وقلت له ألا يفتح فمه بمثل هذا الكلام وأن يمكث بالبيت ولا يبرحه فقد خشيت أن يروج في الخارج، لكن بدأ يداخلني الشك والقلق ولم أستطيع أن أذوق الطعام، وبعد دقائق أعلن بالتلفزيون أن أنور السادات نائب عبد الناصر سيلقي بيان، وما إن شاهدت وجه أنور السادات على التلفزيون حتى كنت أنا الذي قلت الريس مات؟ كنت في حالة من الارتباك من جملة عواطف شديدة جداً فمن ناحية لم أكن مصدقاً تماماً في داخل نفسي أن عبد الناصر قد مات، أما رحيل عبد الناصر فكان مقترناً بالضياع، فعند وفاة سعد كان هناك خلفاؤه ولكن عند رحيل عبد الناصر لم نكن نعرف له خليفة[٣١].

أسوأ مؤرخ

التقييم العادل الكامل لأي زعيم لن يتأثر إلا بعد انقضاء عصره الحضاري، عند ذاك تسكن زوابع الأهواء وينحسر غبار الأغراض عن الصورة فتتضح الرؤية ويقول التاريخ كلمته وعلينا نحن المعاصرين أن نجاهد أنفسنا ما وسعنا ذلك لعلنا نهتدي إلى ما فيه خيرنا وخير أمتنا، فإذا حالفنا التوفيق في جهادنا فقد نخرج بدروس مفيدة لحاضرنا ومستقبلنا، وما أبرئ نفسي من الأهواء التي أشرت إليها.

بدأنا ثورتنا المباركة في وقت واحد تقريباً مع الصين ولكنها ركزت على البيت على حين تبنينا مشكلات الكرة

الأرضية، فانظر أين تقف الصين اليوم وأين نقف نحن، هذا ما أرجو أن نفيده من الرجوع إلى الماضي وتذكر الزعماء، أما التقييم النهائي لأي رجل فسيسجل في وقته المعلوم لا قبل ذلك[٣٢].

خلاصة القول هي: أولاً: إن المعاصر هو أسوأ مؤرخ فلنترك التاريخ للتاريخ

ثانياً: يهمنا فقط أن نعرف العيب الجوهري الذي أدى بنا إلى هزيمة يونيو ويمكن تلخيصه في كلمتين: حكم الفرد.

ثالثاً: يجب أن نوجه عنايتنا للحاضر وللمستقبل وألا نستهلك وقتنا في الماضي[٣٣].

في نهاية ١٩٦٧ أو أوائل ١٩٦٨ أدركت أن الحل للخروج من أزمة مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ هو العودة للديمقراطية والحوار وإطلاق حرية تعدد الأحزاب وأن نرضى بالحزب الذي يصل إلى السلطة عن طريق انتخابات حرة نزيهة حتى لو تفاوض مع إسرائيل، وأعلنت رأيي ذلك في مؤتمر دعت إليه وزارة الثقافة.. وقد كررت هذا الرأي في عهد السادات[٣٤].

التلاعب بالدرجات العلمية

كنت أنشر الرواية والقصة، لكن بعد أن جاء السباعي (رئيساً لتحرير الأهرام) إجتمع بنا وقال: إنه ليس من المعقول أن نوجد في الأهرام وألا نكتب مقالات، طلب منا أن نكتب، وخصص لكل منا يوماً تحت عنوان (المفكرة)(٣٥) وكتبت في السياسة وكتبت في مفكرة الأهرام أسخر من منح درجة الدكتورة للفنانين وقلت إن هذه الدرجة العلمية لا معنى لمنحها لفنان، لا يشكل علامة على طريق الفن، فعبد الوهاب ليس في حاجة إلى دكتوراه وموسيقاه لن تزيد قيمته برتبة لواء...

وغضب السادات من رأيي (ورفضت درجة الدكتوراه من جامعة المنيا) لموقفي السابق واعتذرت للدكتور عبد العظيم رمضان عندما اتصل بي وقال: إن مجلس جامعة أخرى يفكر في منحها لي، والسبب كما قلت هو أنني أعتبر التلاعب بهذه الدرجة العلمية دليلاً على اهتزاز القيم في المجتمع[٣٦].

ذمة الحاكم

إن لهذا الشعب لغة لكي نفهمه ويفهمنا لابد أن نكلمه بلغته. وأقصد باللغة جملة معتقداته الراسخة في وعيه والمطلوب أننا حين نتقن الكلام مع الشعب بلغته هذه نستطيع بواسطتها أن ننتقل به ومعه من الظلام إلى النور.

ونقطة أخرى هي العنصرية. إننا شعب لا يعرف العنصرية مطلقاً، تراث طويل عريض يخلو من العنصرية وهذا ما يدعوه البعض بالوداعة أو اللطافة أو الألفة. أو الدفء المعروف عن المصرين في علاقاتهم الاجتماعية وموقفهم من الغرباء. ولكن الظلام الزاحف يزرع بذوراً غريبة في أرضنا الطيبة، أين دور الاستنارة والعقلانية؟

الابتعاد عن تراثنا الوطني يبعدنا في الوقت نفسه عن شاطئ الأمان، هذه أيضاً رؤية مصرية. المصريون مشدودون برباط وثيق إلى الحكومة المركزية لدرجة العبادة أحياناً مما يجعل القرب والبعد عن السلطة قيمة إجتماعية والشعور بالأمن في حضن هذه السلطة يجعل البعد عنها مخاطرة وهذه من السلبيات المصرية التي أحب التأكيد عليها ولو بالتكرار ولكن أضيف أن المصري مرهف الحساسية إزاء ذمة الحاكم، قد لا يهتم في المقام الأول باتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء ولكن يهتم جداً أو يستثار ولا يكظم غيظه من اللصوص والمرتشين. كذلك من السلبيات الروح العائلية التي تقتل القانون. إن أصعب رذيلة في عملية الإصلاح هي تلك التي يعتقد المجتمع أنها فضيلة.

عرف الشعب المصري على مدى تاريخه صنوفاً من القهر والإضطهاد فتكونت لديه شخصية لها معالمها المميزة كالصبر الذي استمده من الحياة الزراعية والصمود الذي يتغلب على الفناء وهو لا يعتدى على الآخرين بل مفعم باللطف والإنسانية وحسن المعاشرة ولكنه من جهة أخرى إعتاد القهر فاكتفي بالسخرية بدلاً من الصراخ وخفت لدية إلى حد ما حاسة المقاومة واضطرته الحاجة إلى النفاق والفهلوة وهي رذائل تحتاج إلى مساحة من الحرية حتى يتخلص منها[٣٧].

مفاجأة السادات

«وإنى لأتخيله الساعة فى جوار ربه وكأنما يخاطب خصومه، مرددا قول الشاعر: فما أحمل الحقد القديم عليهمُ،

وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا. إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم،

وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً[١] نجيب محفوظ

السادات إيجابياته أنه أعاد الشعور بالأمن للمواطن المصري واتجه اتجاهاً ما نحو الديمقراطية بتعدد المنابر

والسماح بوجود الرأي الآخر وحقق إنجازين في رأيي يجب أن تذكرهما مصر إلى الآن: انتصار أكتوبر والسلام[٢].

(أذكر) أننا دعينا إلى إجتماع مع العقيد القذافي في عام ١٩٧٢ في حضور هيكل ومجموعة من كتاب الأهرام وفي هذا الإجتماع الذي تحول إلى ندوة ناقشنا أو نوقشنا في أمرين، الأول هو: الإسلام والثورة الليبية، والآخر هو القضية الفلسطينية وفي هذا الموضوع قلت: أنه إذا لم تكن لدينا القدرة على الحرب فلنتفاوض ونصطلح وننهي هذه المسألة التي لا تحتمل بلادنا معها حالة اللاحرب واللاسلم لفترة أطول، وقد أيدني حسين فوزي وتوفيق الحكيم وكان كلامي مفاجئاً فلم يكن يخطر ببال أحد التفكير مجرد التفكير في هذا الحل.

فكرت بصوت عال وبين سياسين وثوريين فكانت المفاجأة حتى لي شخصياً، السياسة الرسمية بعيدة تماماً عن مثل هذا التفكير الذي نطقت به أمام ضيف هو رئيس دولة عربية، ولكن وجدت نفسي أنطلق بها أفكر فيه حتى ولو لم يشاركني أحد، كان ذلك قبل زيارة السادات للقدس بخمس سنوات[٣] وأذكر أن الإسرائيليين وقتها كانوا يضربون بعض المواقع داخل مصر وكان هناك شبه هدنة والموقف متجمد ويخيل إليك أن قناة السويس وسيناء والجولان أصبحت كلها في ذمة التاريخ ونحن واقفون وليس أمامنا أي حل.. فالقذافي سأل: ما العمل؟

فقلت أنا: نحارب وإلا كيف يمكن أن نحرر الأرض؟

ردوا عليّ بأن الحرب مستحيلة، يجوز محمد سيد أحمد أو غيره قال: إننا إذا هجمنا فباستطاعة إسرائيل أن تحطم كل شئ في مصر.. وضع خطة عسكرية ونفذها ونحن جالسون.. قال: إن ضرب المواصلات والجسور وحدها يقطع التموين فتجد الثمانية ملايين خرجوا جائعين ليهجموا على كل شئ، باختصار وجدت مصر كلها ضاعت في أقل من ساعة. ما دامت الحرب مستحيلة لا يبقى أمامنا سوى الفكرة الأخرى فقلت: نتفاوض. ولاحظ أنه لم يكن حدث نصر ولا أي شيء. وكنت أعلم جيداً أن المفاوضات في ذلك الوقت سيعقبها تنازلات في سيناء نفسها.. إذن لا يمكن أن يعطوها لنا كلها ونحن منهزمون إنما حصولنا على نصفها أو ثلثها مع حل المشكلة أفضل من لا شيء مادامت الحرب غير ممكنة، وأذكر أن القذافي علق على ذلك بقوله: لك حق، ولم يكن ذلك تأييداً منه لمبدأ المفاوضات وإنما على سبيل السخرية كان يقصد أن لك حق مع هذه الأوضاع العربية المتدهورة في أن تفكر بهذه الطريقة الإنهزامية.

والحقيقة أنني حينما قلت هذا الرأي دارى على هيكل وحجم دوري في الكلام واعتذر نيابة عني قائلاً: هذا أديب وفيلسوف وليس له في السياسة، وسارع بإعطاء الكلمة لشخص آخر، صحيح (أن هيكل كان رأيه أيضاً في ذلك الوقت أن الحرب مستحيلة) ولكنه لم يدع إلى المفاوضة.. والكلمة المزعجة التي قيلت ساعتها هي (نتفاوض) بالذات وكانت وقتها أشبه بالكفر ولذلك اضطرب هيكل وعتم على دوري في الكلام خاصة وقد رأى الدكتور

حسين فوزي قد شرع يستعد للتأييد فأعطى الكلمة لأشرف مروان زوج بنت عبد الناصر الثانية ليتكلم في التسليح فغير اتجاه الحديث تماماً (...) إني لا أفهم الخلاف بين عدوين إلا على صورة من إثنين: إما أن ينتهي عن طريق الحرب وإما عن طريق السلم ويستحيل أن ترفض الطريقتين معاً، إذن هذا الموقف مفتعل والأساس فيه ليس نابعاً من العرب أو من قدراتهم إنما من موقف دولي من أجل استنزافنا [٤].

جاء السادات وأنا في الواقع أحفظ له أمرين هامين جداً هما: (حرب أكتوبر ومعجزتها وكذلك السلام الذي صنعه نصر أكتوبر) كان معجزة بجميع المقاييس وقد بعث الأمل في أننا إذا أردنا أن نصنع المعجزات نصنعها وأننا حررنا أنفسنا من العجز الذي شل قدرتنا، فالشعب هو الذي نفض عن نفسه ما حدث له سنة ١٩٦٧ أو لنقل ثأر لنفسه عسكرياً. لم يكن هناك استعداد قبل يونيو أما بعد يونيو فقد كان هناك إعادة بناء الجيش المهزوم، المهم أنه هو الذي عمل الحرب ونجح، أما الأمر الثاني الذي لا يمكن أن أنساه للسادات فهو السلام، جاء كمقدمة لكي نتفرغ لبناء بلدنا ونوفر نفقات الحروب لنتوجه إلى ميادين التنمية المختلفة[٥].

الحلم الذهبى

صورة من الماضي، أمست تاريخية إن شئت، ولكنها ستظل قادرة على استدعاء الحلم الذهبي، حلم النصر، الذى أصبح واقعاً حياً بفعل إرادة بشرية خارقة. كيف تلقيت نبأ الحدث العظيم؟. كنت جالسا إلى مكتبي منهمكا في الكتابة عندما رن جرس التليفون. كان المتحدث الصديق الكبير ثروت أباظة:

- ماذا تفعل الآن؟
- أكتب كالعادة
- تكتب؟!.. تكتب ولا تدرى بما وقع في الدنيا؟
- و ماذا وقع؟
- لقد عبرنا..
- لم أفهم للجملة معنى وتساءلت:
- عبرنا

فقال بصوته القوي الواضح:

- عبرنا القنال.. جيشنا الآن يحارب في الضفة الشرقية.

وحقا قد ذهلت. لقد كان الإحتلال كابوساً قاتلاً جاثماً على قلبي، وكلما حادثت صديقاً في التماس حل، بالحرب أو السلم، خيب رجائي وصور لي الأمر كغاية مستحيلة، وإذن فقد ضاعت سيناء ولا سبيل إلى إستردادها، وكلما زدنا من قوة جيشنا خطوة زاد العدو من قوة جيشه عشراً، فأي أمل يبقى لنا؟

- تقول عبرنا؟

- باليقين نطقت

- هل تعود إلى تصديق الإذاعة؟

- على مسئوليتي هذه المرة....

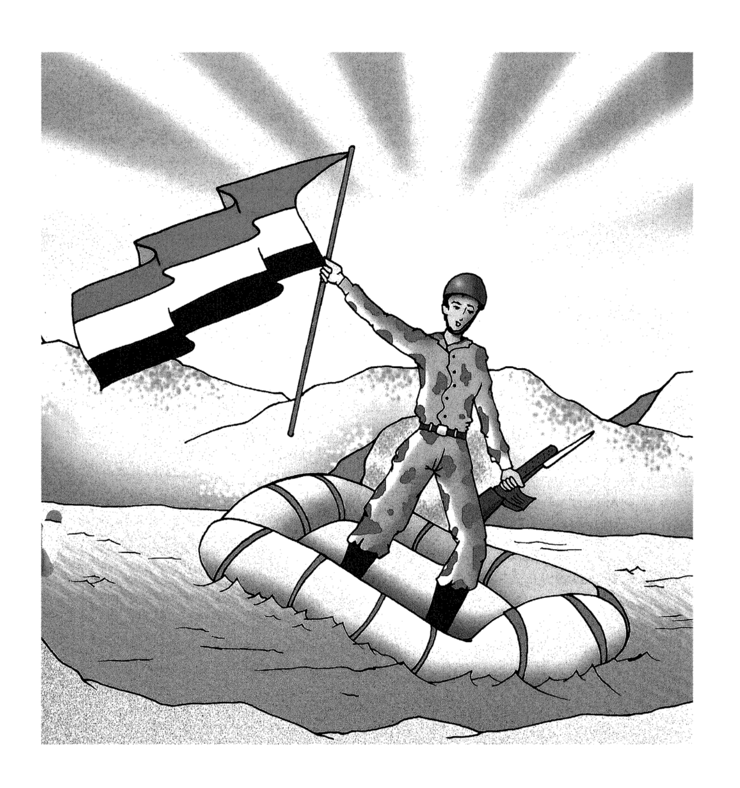
و لم يهدأ بالي حتى استرشدت به في الإستماع إلى الإذاعات الأجنبية التي لا أتابعها عادة فدلني عليها بدقة، ولم أصدق نبأ النصر حتى ترامى إليّ من بعيد من لندن وصوت أمريكا.

أي تغير... أي معجزة... أي بعث... لقد عبرت أنا أيضاً جسر اليأس في ثوان بعد أن كان يتراءى لي طويلاً طويلا بلا نهاية...

ألا فلتدم للنصر ذكراه، ولتملأ روحه الأجساد والإرادات، وليستكن في زوايا القلوب قوة نستمد منها العزيمة والإصرار من أجل البناء والسلام»[٦]

بعد ١٩٧٣ أصبح باستطاعتنا أن نجلس إلى مائدة المفاوضات بشيء من الكرامة ونخلص من الموقف.. نحن لا نملك القدرة على حل القضية عسكرياً، ومعنى ذلك أنني أنطح في صخرة، وليس باستطاعتي أن أحارب العالم كله لأغير هذا الوضع.. فليس أمامي إلا أن أعتبرها كارثة من الكوارث التى مرت بي في تاريخي كالكوارث التى أوقعها بنا التتار والصليبيون وغيرهم.. فلابد أن أنتبه لنفسي وأتركها للجيل التالي.

عيبنا أن جيلنا يريد أن يحارب أربعة حروب ويحل المشكلة ويعمل كل شيء ويبني المستقبل، وهذا مستحيل.. كل جيل عليه وظيفه، نحن جيل إنهزم، وبشيء من الإنتصار يمكن أن يسوي القضية ويبني للجيل التالي ما يستطيع أن يبنيه ويسلمه الراية في يوم من الأيام ويقول له: ها أنذا قد عاشرت الإسرائيليين خمسين أو مائة سنة إن كانوا قوماً يمكن معاشرتهم، وكل ما يقال عنهم في أنهم متوحشون... و...، فعاشرهم وإن كانوا متوحشين فعلاً، حاربهم... فقد تركناك على الأقل في حالة أفضل مما كنا فيها فلعلك تنتصر حيث انهزمنا... وتنتهي المسألة، ومن يتصور أنه كان لديه قدرة على تحقيق شيء أكثر من ذلك فهو واهم.. ونفس أمريكا قالت لك: إذا تقدمت خطوة واحدة فسأضربك،



فمخزون السلاح في العالم الذى يبيع للآخرين وضع في حسابه أن يظلوا أقوى منا... فماذا تفعل في ذلك؟ والوضع الآن ليس كما كان أيام محمد علي باشا... تتقن بعض الحرفية وتبنى مصنعا للسلاح فتصبح مثل انجلترا... صناعة السلاح اليوم معقدة وعسيرة، ليس أمامنا إلا أن نجلس أمام مائدة المفاوضات ونحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه وتهتم بنفسك، ما النتيجة التى تحققت بالنسبة لنا؟

- حررنا أرضنا، وهذا شيء لا يستهان به[٧].

هل أنا كاتب أم تاجر؟!

أذكر يوم أن أدليت بهذا الحديث الذى سبب المشكلة في جريدة «القبس» الكويتية أواخر عام ١٩٧٥ أن الأخ الصحفي الذي كان يأخذ مني الحديث قال لي: «أنصحك بيني وبينك ألا ترد على الأسئلة السياسية وتقول أنك رجل أديب ليس لك علاقة بالسياسة.. لأني أعرف تماماً المناخ الذي سينشر فيه الحديث وأعرف أنه سيجر عليك مشاكل لا قبل لك بها»[٨].

ولكن رأيت أنه إذا لم أجب عن السؤال سأظل خجلاً من نفسي طيلة العمر، ذلك أن النصيحة التى أبديتها كانت للعرب وليس للإسرائيليين[٩].

والحقيقة لقد تساءلت : هل أنا كاتب أم تاجر؟ «فالشعب العربي قد وضعني في مكانة عزيزة باعتباري كاتبا ذا رأي، فهل يصح أن أحجب رأيي لمجرد الخوف ألا تباع كتبي أو ينقص إيرادي منها؟ وجدت هذا المنطق غير مستساغ وفوضت أمري لله وقلت رأيي.

إذن عندما جاءت المقاطعة إعتبرت أنني أنا الذي سعيت إليها باختياري فليس هناك أي مفاجأة لأن الزميل نبهني مقدماً.. وكذلك كان المسئول عن المجلة في الدولة العربية يكن لي احتراما خاصا فظل مترددا في النشر فترة طويلة حتى لا يعجل بالمشكلة ثم في النهاية أضطر لنشره.

حقيقة لم آسف أبداً على موقفي هذا، وأحمد الله كثيرا أنه مد في عمري حتى رأيت رأيي وقد اقتنعت به جميع الدول العربية وبدأت تنفذه. واليوم فقط يقولون التنمية والبناء والتجمع الاقتصادي.. هذا ما ناديت به منذ زمن طويل جداً، وقبل أن نخسر ١٠٠ مليار دولار في السلاح، هذا الطلب (المفاوضات) أثار زوبعة فظيعة واتهامات عاتية إنتهت بالمقاطعة[١٠] «وقد أفردت الجريدة صفحاتها بعد ذلك ستة أشهر لمهاجمتي. ولكن هذا حدث أيضاً قبل زيارة السادات للقدس بحوالي عام، أي أنني لم أتملق السادات بتأييد كامب ديفيد، فقد ربحت شعاراته تسعين في المائة من تأييدنا» [١١]

كانت فرحة أكتوبر هي الفرحة الكبرى في حياتي، ولذلك فقد كان لها تأثير كبير على أعمالي، وأنا أعتبر أن ملحمة الحرافيش رد فعل مباشر على حرب أكتوبر، وهى من أكثر أعمالي تفاؤلاً[١٢].. «أدب أكتوبر لم يكتب بعد وفي إعتقادي أن تأثيره الحق لن يظهر إلا في روح الأدب، قد لا تجد العبور ولكنك ستجد روح النصر والعبور النفسي، إنه أدب عماده الصحة والعافية»[١٣] ونصر أكتوبر لم يحصل على واحد من عشرة من نصيب الفن والأدب، الفرح مستغنى بنفسه عن كل شيء.. حتى في الفن والأدب.. لو كتبت رواية عن إنسان أحب واتحب وتزوج.. ما حدش يحس بها.. لكن لو أحب وما اتحبش... الدنيا كلها تدرى بها. أفراد الأسرة العادية يتحدوا في المآتم وينسوا خلافاتهم.. أما في الفرح تلاقي من يشارك ومن يحقد ومن تأكله الغيرة[١٤] ليسوا بالتأكيد عملاء لأحد ولا يقبضون من أحد ولكن في فورة الجدال يمكن أن تصدر ألفاظ حامية وغير دقيقة، لأن المسائل نسبية كما هو معروف... عندما جاهر برناردشو عام ١٩١٤ برأيه ضد الحرب العالمية ونادى بالسلام، أُعتبر خائناً ووضع في السجن، وبعد ذلك ظهر أن موقفه كان سليماً وأصبح أشهر كاتب في انجلترا وكرمته حكومته، وأيام نضال كافور من أجل وحدة إيطاليا كان يستعين بالفرنسيين ضد النمسا، وكان البعض يسميه حينذاك بأنه عميل فرنسي، ولكن ظهر بعد وحدة إيطاليا أنه بطل وطني وقومي. ولأضرب لكم مثلاً عن تاريخ الحركة الشيوعية ذاتها: لو كان لينين قد قبض عليه في القطار المصفح الألماني الذي سافر إلى روسيا القيصرية لينظم الثورة ضد القيصر، لكان قد أعدم بتهمة الخيانة، لأن ألمانيا كانت في حالة حرب مع روسيا، ولكن بعد نجاح الثورة أصبح بطلاً وطنياً وعالمياً، ولم يحدث أن دخل التاريخ إنسان حتى الآن من أوسع أبوابه مثل لينين رغم ملايين الصفحات التى سودت لمحاولة تشويه نضاله[١٥].

العصر الثاني

للسادات: أكتوبر أعادت الروح لمصر والأمة كلها (و) السلام الذي جعل مصر مستقلة إستقلالاً كاملاً منذ أيام قمبيز، وعليه الآثار السلبية للإنفتاح سواء التي انعكست على الثقافة أو غيره[١٦].

فقد جاء العهد الثاني للثورة فقام بإنجازين كبيرين كان لكل منهما أثره الفعال في الأدب، وإن لم يكن الأدب في ذاته ضمن مخططاته. فأولاً قد قام بما عرف بثورة التصحيح، ملتمساً سبيلاً جديداً في رحاب الديمقراطية وسيادة القانون، والإفراج عن الرأي الآخر، ولأول مرة منذ زمن طويل تردد الصوت المعارض عالياً صريحاً في الصحف والمجلات، ومزق الستار عن خبايا العهد السابق ، وخسر الأدب نتيجة لذلك وظيفته الإضافية ونجاحه المرحلي،

ولم يعد للرمز السياسي معني، ولا كان في استطاعة الأدب أن ينافس المعارضة الصريحة في معارضتها اليومية، فتراجع درجات ليحتل منزلته الطبيعية بين المثقفين، ولكن تراجعه الطبيعي لم يبد وقتها تراجعاً طبيعياً، وخيل للكثيرين أن ثمة نكسة أصابته، فأوهت أركانه وحدت من نشاطه.

وثانياً فإن العهد الجديد إعتنق سياسة جديدة نحو اليسار في الخارج والداخل، وأعلن بلا تردد ألا مكان ليساري في أي جهاز من أجهزة الإعلام. ولما كان اليساريون يشكلون جمهرة لا يستهان بها في عالم الأدب فإن مصادرتهم قد أضافت مزيداً من الضعف إلى النشاط الأدبي الذي لم يكن قد أفاق بعد من هبوطه إلى حجمه الطبيعي فازداد الحال تردياً وتدهوراً، حتى أساء البعض الظن بالسلطة واتهمها بتعمد القضاء على الثقافة والمثقفين. والحق أنه لم يوجد تعمد ولا سوء قصد، ولكنها السياسة، أحسنت إلى الأدب مرة بدو ن قصد. وأساءت إليه مرة بدون قصد كذلك. ثم أدركه عصر التليفزيون والفيديو والتعليم السيئ، فبلغ السيل الزبي كما يقال، فسقط في هاوية اللامبالاة برغم استمرارية أجياله المتعاقبة في العطاء، وتفتح شبابه عن مواهب جديدة إمتازت بالجودة والكثرة معاً[١٧].

أحسن حظاً

نحن أحسن حظاً من جيل طه حسين والعقاد. فلم يكن في عصرهم تليفزيون، حدثت تغييرات إجتماعية في مصر أثرت بالضرورة على الثقافة، ثقافة الطبقة الوسطى..... كانت صفوة البلد التي تعلمت وتثقفت، فكان الأدب لهم والمسرح لهم والغناء لهم.... جاء الإنفتاح فجاء معه الحرفيون والعمال كأصحاب أموال، فأصبح الفيلم لهم والموسيقى لهم والغناء لهم والمسرح لهم... هؤلاء جاءتهم الأموال لكن الثقافة لم تجيء بسرعة كالمال فكان لابد أن تهبط الثقافة لهم، وأنا شاعر بهبوطها، ولكنني لست حزيناً لسببين:

الأول: هو أنه لا يصح أن ننظر نظرة قاصرة لأن الثقافة هبطت... لكن توجد ثقافة معقولة عوضت

فأنا كنت أمشي يوم الخميس في طريق سقارة، فأرى في قرية هناك حوالي ١٠ أجهزة تليفزيون أمام بيوت عبارة عن عشش، ومعني ذلك أن عامة الشعب في القرى يمتلئ وجدانهم الآن بأخبار وبرامج وبأغان... بدراما، الثقافة من هذه الناحية وبفضل التليفزيون إنتشرت إنتشاراً لم يكن في مقدور أي مصلح أن يحققه بدون التليفزيون ولو في ٣٠٠ سنة. وهذا جانب إيجابي رغم الهبوط في مستوى المواد المقدمة، ولكن ما يعزي عنه هو أن الطبقات الشعبية التي كانت تعاني الفقر من أيام الفراعنة تحسنت أحوالها، وفي النهاية قيمة الإنسان أكبر من قيمة الفن. الفن

قيمة ولكن قيمة الإنسان أعلى... وهذه الطبقات أصبحت تجد المأكل والمشرب والملبس، وتحسنت أحوالهم ودخل أولادهم الجامعة. ومن هنا بعد جيل أو اثنين ترتفع الثقافة من جديد لأن هؤلاء يصبحون جمهور المسرح والسينما وغيره وكل البلاد مرت بذلك، لكننا نعاني من أنانية الطبقة الوسطى التي تبحث عن قيمتها حتى لو خربت البلد لدرجة أنني كنت أقرأ لإشتراكيين يهزأون من هؤلاء الحرفيين!!! وكنت أسألهم: ألم تكونوا تدخلون المعتقلات من أجل الحرفيين؟[١٨].

منتهي الحزن

كنت قد سافرت إلى الإسكندرية أنا وابنتي الصغرى (فاطمة) لقضاء إجازة أعياد أكتوبر، وأثناء جلوسي إلى جانبها بالسيارة كنت أتابع وقائع الاحتفال في الراديو.

وحين وصلنا الإسكندرية تناولنا الغداء ونمنا، وبعد أن صحوت جلست قليلاً في البلكون فوجدت إحدى الجارات تشير إليّ من بلكونتها وكأنها تقول: هل سمعت الراديو؟ فتصورت أن لي حديثاً يذاع في الراديو فأومأت برأسي مبتسماً ودخلت. ثم نزلنا بعد ذلك أنا وابنتي إلى وسط البلد لنذهب إلى السينما، وأجلستها في محل مقابل لسينما مترو حيث طلبت آيس كريم، وخطوت الشارع إلى السينما لشراء التذاكر، لكن ما إن وصلت إلى السينما حتى وجدتها مغلقة، فلم أفهم كيف تغلق السينما أبوابها فذهبت إلى أحد الباعة الذين يفترشون الطريق، وكان يبيع الفول السوداني واللب وقلت مستنكراً: إن السينما مغلقة! فقال: طبعاً، قلت له: لماذا؟ قال: الرئيس قُتل. قلت غير مصدق: أي رئيس؟ الرئيس السادات؟ قال: نعم! فعدت إلى ابنتي مهرولاً، وعلامات الذهول على وجهي لأقول لابنتي الخبر، فقالت لي: لقد أخبرني الجرسون بذلك منذ لحظات.

وعدنا إلى البيت في حالة إضطراب وقلق، وفي الصباح الباكر قلت لابنتي: عودي بي مرة أخرى للقاهرة لنرى ماذا يحدث للبلد[١٩].

كنت في منتهى الحزن الذي يمكنك أن تتصوره، وأظن أني كتبت في وجهة نظر «بالأهرام» متسائلاً: كيف يقتل الرجل في يوم نصره؟[٢٠].

«يوم أنور السادات حدث لي نوع من التأمل المأسوي. هذا الرجل الذي حقق النصر والسلام... والنهاية مرعبة»[٢١]

وقد قيل (إن) نبوءة مصرع السادات في رواية «ليالي ألف ليلة» (...) والحمد لله أن هذه الرواية نشرت في جريدة مايو (جريدة السادات) فلو أنها تأخرت أسبوعين لم تكن ستنشر، وقد كتبتها قبل مصرع السادات بسنة أو سنتين[٢٢].

«كتب عنها د. يحيي الرخاوي أنني استوحيت أحداثها من مقتل السادات - وطبعاً لم أكذبه»

لم أتنبأ بشئ عن وعي أبداً، إنما وأنا أقرأ النقد لبعض أعمالي كانوا يشيرون إلى نوع من التنبؤ مثل «ثرثرة فوق النيل» قالوا إن بها إشارات إلى قرب وقوع كارثة محققة تمثلت في ٥ يونيو، وفي «ميرامار» إحدى شخصياتها تنبأت بعودة الرجعية والرجوع إلى أمريكا[٢٣] «بداية ونهاية» كأنها نبوءة بما حدث ولكن أثناء كتابتها قبل الثورة ما دار شئ من هذا في ذهني، ولو تسألني الآن: لماذا اخترت الكلية العسكرية - البطلة، لا أستطيع أن أجيب، والأمر الذي لا شك فيه أني كتبت الرواية ولم أكن أشعر بأي درجة بأن الأعمال التي تنتهي بتنبؤات كيف تتكون وكيف يبدعها صاحبها، هذا يقتضي التأمل، ولنفرض أننا نفسرها بلا شعور الكاتب، فكيف يحوى لا شعوره كل هذه الرؤى بينما عقله الواعي قد فوجئ مفاجأة كاملة بحركة الجيش يوم أن قامت.... وكان في شلتنا في «قهوة عرابي» بالعباسية عدد من الضباط الأحرار كما تعلم لم يقولوا لنا شئ، ولم أكن أتصور أن الجيش ممكن أن يتحرك مع وجود الإحتلال الإنجليزي... فالحقيقة أنا لا أستطيع أن أدعي أن النبوءة جاءت بتخطيط، ولكن المذهل فيها تطابقها مع الذي حصل[٢٤].

بالنسبة لقصة «يوم قتل الزعيم» هداني إحساسي أن أبدأها (بمحتشمي) الجد..... إنه أقدم الكل، والأصلح لتقديم الجميع... أصلح من الشاب المشغول بمصيبته - والبنت كذلك.. هذا الجد كان هو الجالس المتأمل الذي يرصد حركة الجميع.

خذ بالك هذا التفسير جاءني فقط بعد أن كتبت الرواية وليس قبلها، كان من الممكن أن تقدم الرواية براوٍ هو المؤلف... راوٍ ينوب عن المؤلف.... وكان (من الممكن أن يقدمها) بطلها: علوان، أو خطيبته رندة، أو الجدَّ.... لكن بسبب ميلي الشديد للخروج من عملي بشكل مطلق، فضلت أن يعبر كل شخص عن نفسه بنفسه... إني مغرم بخروج المؤلف من عمله... هذه مسألة مزاج لا أكثر ولا أقل أما الفكر السائد ومدى ضغطه لأي درجة تقول أولا تقول فليس مشكلة لأن في الرواية الذي يقول هو غيرك، وليس من الضروري أن يكون هو رأيك... إن موقفك يتبين من الكل، من مجموع العمل[٢٥].

لم تكن السيدة جيهان (السادات) قد قرأت الرواية، إتصلت بي بعد أن علمت بخبر روايتي «يوم مقتل الزعيم» وذهبت إليها في منزلها بالجيزة، وقابلتني مقابلة جميلة جداً بالرغم من أنها كانت في حالة انزعاج من أمر

الرواية المكتوبة عن زوجها أنور السادات «..... وسألتني عما هو مكتوب، فقلت لها: إنه نص روائي وليس كتاباً سياسياً، ولا توجد في الرواية أسماء على الإطلاق، وانتهي الأمر عند هذا الحد».

بطل مأساوي

أما كتاب «أمام العرش» فهو حوار مع زعماء مصر، أعتمد فيه أساساً على الحقائق وتفسيري لها، فهو ليس كتاباً فنياً على الإطلاق[٢٦] «إن السادات وعبد الناصر كلاهما بطل مأساوي مثل أبطال التراجيديا اليونانية، وانتهي كلاهما نهاية مأساوية»[٢٧] عبد الناصر كان نصيراً للفقراء وألغى الطبقات، لذلك فإن المصري العادي لا ينسي هذا، ويغفر كل الأخطاء، لذلك تجد في كل مظاهرة يحيون عبد الناصر برفع صوره والهتاف باسمه، وكان يجب أن يأخذ السادات مكانه إلى جانب عبد الناصر، لكن للأسف لم يحدث هذا (ولكن) بمرور الزمن سيحب الشعب المصري السادات كما يحب عبد الناصر، فكما حرر عبد الناصر الطبقات الفقيرة، فقد ذقنا طعم الإنتصار على يد السادات الذي حقق استقلالنا التام باستعادة سيناء، والتاريخ لن يترك خيراً فعله عبد الناصر أو السادات من أجل شعبهما، لأنهما قدما أعمالاً عظيمة[٢٨] وفي رواية «أمام العرش» أعطيت كل منهما ما يستحقه وما يؤخذ عليه، على قدر الإمكان، وفي النهاية أدخلتهما الجنة «لإنجازاتهما العظيمة»[٢٩].

كيف أكتب؟

الكتابة ليست وظيفة يحال بعدها الكاتب إلى المعاش، وهناك مقولة فرعونية قديمة وجدت في إحدى البرديات تقول «الكاتب هو الوحيد الذي لا يرأسه رئيس ولا يحال إلى الإيقاف، وكلما مر به الزمن ازداد نوراً».

نجيب محفوظ

البداية دائماً هي الأصعب... الوقفة الأطول تكون دائماً عند البدء.. لا تخطيط ولا تلقائية!

المسألة كالآتي:

يصح في اللحظة التي أقول لك فيها سلام عليكم تأتيني فكرة.. وفي اللحظة التي أشرب فيها كوباً من الشاي تأتيني فكرة... بداية هي لحظات ونقط من التلقائيات تجمعت... هناك كاتب يجب أن يكون على هدى عندما يبدأ فيستعين بخطة، وهناك من يقول: لا...«تيجي في السكة»... طبعاً هناك عمل يحتمل هذا الذي يأتي في «السكة».

القصة القصيرة مثلاً إذا لم أوفق في كتابتها أرميها... لكنني لا أستطيع أن أعمل ٨ شهور في رواية ثم أترك ذلك كله للحظ وللصدفة... لا تخطيط ولا تلقائية... المنبع في كل الحالات التلقائية، غاية ما في الأمر أنها لا تكون على ورق.

التخطيط يمسك بالخيوط الأساسية، يعني مثلاً أنا فاهم في موقف ما أن «س» يقابل «ص» ليبلغه أنه سوف يرد ما عليه من دين مثلاً. أثناء الكتابة تتغير أشياء كثيرة.

..... التغيير يمس أحياناً الجوهر. أتذكر، في إحدى رواياتي كونت شخصية على أنها هامشية جداً فإذا بها تصبح أساسية جداً.... كما يصل التغيير للعلاقات.... تتصور أن شخصية ما تلتقي بأخرى وينصلح ما بينهما.. أثناء الكتابة تتفتح لك الشخصيات – حين تعيش من داخلها – تجد أن الصلح مستحيل. مثلا في قصة «يوم قتل الزعيم» كان لابد أن يأتي ما أتي... الواقع له منطقه وتداعياته الخاصة التي لا تتوقف أو تتخلف من أجل شاب اسمه «علوان» أو بنت اسمها «رندة»

سألت نفسي... كل أبطال قصصي كانوا يسقطون فلماذا هذان؟... كان هناك وازع عندي لا يريد لهما السقوط، حافظت عليهما، الواضح أننا بدأنا نفزع من الفساد... عدم سقوطهما هو مقاومة.

أدخلت على الواقع ما يجب أن يكون... لماذا؟ لأنني أتعلق في مثل هذه اللحظات بما يجب أن يكون؟[٢]

كل الشخصيات التي قدمتها وفيها شئ من الشر، كان اتهامي للظروف المحيطة بها وليس لها، لم أقدم شخصية

بشكل يجعل القارئ يكرهها. لا تغيب عني أبداً الجوانب المضيئة من الشخصية مهما كانت بشاعة الجوانب الأخرى... أنا لا أكره الناس ولكنني أفهمهم على حقيقتهم، في واقعهم القاسي. أحبهم في واقعهم القاسي، كل شخصية ولها أصل واقعي، من هذا التفصيل الصغير يمكن لي أن أبني حياة كاملة، أضيف من عندي ما يناسب العمل، وكثيراً ما يقرأ الأشخاص الذين كتبت عنهم في كتبي ولا يتعرفون على أنفسهم، ولو تعرفوا عليها لكانت الوقعة وحشة»[٣].

أعمال أبدأها. وأهم أجزائها فقط هو الواضح في ذهني.. أو محورها الرئيسي، وهذه الأعمال غالباً من النوع غير المتعدد الشخصيات مثل (الطريق) على سبيل المثال لكن فيه أعمال أبدأها من درجه الصفر... وتتضح وتستوي على الورق مثل معظم القصص القصيرة .

أما الكتابة الثانية فليس لها مدة زمنية محددة، قد أعيد كتابة عمل في سنة أوأكثر. وفى أى حالة من هذه الحالات فأنا أكتب الكتابة الأولى بسرعة.. أكتب كل ما يخطر على بالى لتنتهى صورة العمل المبدئية في شهر على أقصى تقدير[٤]، ولم يحدث قط أن تنازلت عن حريتي بعد النشر، حين أسمع بعض التعليقات، أشعر أحياناً بالخوف، الكاتب يعبر عن نفسه وليست هناك لحظة يمكن أن يفرق فيها بين الوعي واللاوعى أو نسبة أحدهما إلى الآخر. الكتابة عملية شديدة التعقيد. أمتلك تخطيطاً ذهنياً للرواية سابقاً على الكتابة. الكتابة ليست مجرد تنفيذ لهذه الخطة، لأن الكتابة هي عملية الكتابة ذاتها، الخطة فكرة عامة جداً، أما الكتابة فهي الرواية ويحدث أثناء التبيض أن أغير قليلاً هنا أوهناك، هذا فى العادة، ولكن حدث أننى بدأت أعمالا وفى ذهنى كما هو الشأن فى - بداية ونهاية - أنها ستكون كوميديا واذا بها تنتهى بمأساة، وحدث أيضا أننى بدأت: تحت المظلة و(حكاية بلا بداية ولانهاية) و(شهر العسل) وليس في ذهني أية خطة وانفعال أو موضوع، بدأت هذه الأعمال هكذا وهكذا انتهت على النحو المكتوب. أين الوعي وأين اللاوعى فى ذلك كله؟ لا أدرى، قليلة جدا الأعمال التي بدأت عندي من فكرة والأغلب أنها تبدأ من شخصية أو عاطفة أو موقف أوعلاقة[٥].

جوهر كل عمل أدبى

كلنا نتكلم، كلنا نسمع حكايات ونقول نكتا لكن الإستعداد الأصلى واضح، هناك من ينهى نكتة فتسأله: وبعدين؟ تحسبها خبراً.. وهناك من تضحك له قبل أن يقولها إستعداداً... وربما وجدت كاتباً بارعاً فى تخطيطه الروائي والبناء والهدف والمعنى ولكن لاجاذبية له... ونقول هذا الرجل لم يأخذ حظه مع القارئ ولا مع المثقف.. وهناك من

هو أقل منه فى الميزات لكن عنده قوة الجذب، يعنى القصاص يجب أن يكون قصاصاً أولاً، ماهو القصاص؟ الذى يعرف يحكى حكاية، إذا لم يعرف فهو مفكر كبير ربما، أو عبقرى، أو مصلح إجتماعى.

لكنه ليس قصاصا، هذا الجانب ضعيف فيه تماماً مثلما تصادف اثنتين: إحداهما جميلة لاعشاق لها والثانية أوحش وما أكثر من يريدها. كنت أسمع الحكاية من الشيخ زكريا أحمد ثلاث ساعات ولا أمل، من غيره لا أستطيع ٣ دقائق، هناك أنواع أخرى للكتابه تخضع أكثر للمنطق والعقل..

لكن فى عملك الروائى أنت مع نفسك فقط، على عكس السيناريو والسينما وعلى عكس المسرح، الرواية هى الفن الذى يختفى فيه الجمهور لأكبر درجة ممكنة، فضلاً عن إنك لاتستطيع أن تجرب كما فى المسرح حيث هناك جمهور يقول لك أنت أخطأت أو أصبت لذلك فى الرواية تعتمد على الشئ الوحيد الذى.. نثق فيه وهو إحساسك، ليس فى يدك غيره.

الواقع.. الحياة: هى ملهم الكاتب، تفاعله مع البيئة، الناس، الثقافة السائدة: هو ما يكون رؤيته وشخصيته... عندما يكتب الكاتب رواية ما الذي يفعله؟ يأخذ هذه العناصر ويعيد تكوينها لتعطى معنى... بالطبع هو ليس كاميرا أو جهاز تسجيل. هنا كيت وكيت وهذا راح وهذا جاء، وليس مجرد باحث إجتماعي يدخل زقاق المدق ليقول أن عرضه كذا وطوله كذا.. وهذه تزوجت، أما هذه فشلت.. هذا علم وبحث. أما الكاتب فلا يدخل زقاق المدق من أجل هذا وإنما ليعينه على التعبير عن شئ داخلك. مهما بدا من اعتماد الكاتب على الواقع فهو ذاتى، ويعتمد على المؤلف.. هذا جوهر كل عمل أدبى[٦].

تحذير المازنى

مادة القصص منبثة فى الحياة بأشمل معانيها الحسية والروحية: كل منظر كل شخص كل موقف كل فكرة، كل أولئك مادة للقصص وله كراسة حافلة بالإشارات والملحوظات، وهى تخطرعلى بالى من آن لآن وفى أى مكان وعند أى وقت أفكر لحظه فى هذه وأخرى فى هذه وأخرى فى تلك وكأنى أفكر بلا غايه ولاهدف، وبين حين وآخر أستعرضها فى الكراسة فيتضح لى أن بعضها ينبض بالحياة وأنه قد بلغ درجة من النمو تصلح للبدء فى مستوى آخر من التفكير وهو التفكير المنظم الدائب المستمر الذى ينتهى إلى شكل محدد يصلح للتنفيذ.

والفن الروائي لا يستطيع أن يكتب خارج دائرة تجربته إنه ليس كالشعر مجرد إذ يمكنك أن تكتب قصيدة عن

أي (حاجة) مادمت تعبر عن عاطفتك الخاصة لكن عندما تأتي لكتابة رواية إذا كنت لا تعرف (حاجات) في حاشية الفن وليس في صميمه فإنك لا تستطيع أن تكتب هذه الرواية.. الشارع، الإنسان، الناس، العلاقات اليومية تجسدها الرواية.

أما أن يكتب الروائي عن بلد لم يره فأمر مستحيل، يمكن أن أكتب عن بلد خيالي، عندها لن يحاسبني أحد[٧].

والمغرمون بالأشكال الجديدة لا يملكون الإستقلال الذاتي، أكبر عدو للفن هو التقليد الأعمى، أنا لا يهمني ولا يضرني ولا يخجلني أن يقال أنني أكتب بطريقة تقليدية، تقليدية عن من وبالنسبة إلى من؟ إلى الأدب الغربي؟ ربما تكون كذلك ولكنها هنا ليست تقليدية ثم إنها الطريقة التي أرتاح إليها ولا أزعم أنني خلقتها، ٩٩ بالمئة من أدباء العالم شكلياً مقتبسون. كم هو عدد الأشكال الأدبية؟ الكلاسيكي الرومانسي الواقعي الرمزي التعبيري تيار الوعي... ستة أو سبعة إذن، ولكن هناك الملايين من الأعمال الفنية التي كتبت بهذا الشكل، هناك كاتب واحد فقط يبدأ الشكل يبدعه والآخرون يقلدون. لا أحد يستطيع أن يقول يجب أن يكون الشكل الذي أكتب به ملكي. هذا غير ممكن. أنا أكتب بالشكل الذي يريحني ولا يهمني التسمية التي يمكن أن تطلق عليه، ليست هناك رواية (صح) ورواية (غلط) هناك رواية نابعة من النفس، وفي هذه الحالة لايمكن لها أن تقلد أحداً لا من الغرب ولا من الشرق[٨] إنني لا أبحث عن الجديد إنما أبحث دائماً عن المناسب لموضوعي، عندما يكون مناسبا لموضوعى أسلوب واقعى تقليدى أكتب بهذا الأسلوب الواقعى التقليدى، وعندما يكون مناسباً لموضوعي أن أكتب متأثراً بالتراث مثل: ألف ليلة وليلة أو رحلة ابن بطوطة أكتب بأسلوب تراثي، في بعض الظروف دفعنى المجتمع المصري أن أكتب بما يسمى أسلوب اللامعقول. إذن أنا لا أعرف (تجريبياً) ولا أعرف (جديداً) ولا أبحث عنهما إنما أبحث عن موضوعي وعن الأسلوب الذى يناسبه[٩].

وهنا تلاحظ أنني لم أتأثر بكاتب واحد بل أسهم هؤلاء كلهم في تكويني الأدبي، وعندما كتبت لم أكن أقع تحت تأثير أحدهم ولم تبهرني الإنجازات التكنيكية الحديثة.

عندما بدأت الكتابة كنت أطرح هذا كله وأنهج منهجاً واقعياً، في نفس الوقت الذي كنت أقرأ أعنف هجوم على الواقعية كان الأدب العالمي قد تعرض للواقع عبر مئات الأعمال ثم انكفأ إلى الداخل إلى تيارات الوعي واللاوعي وما وراء الواقع، لكن بالنسبة لى وللواقع الذي أعبر عنه لم يكن قد عولج معالجة واقعية بعد[١٠].

والموضوعات التي بدأت بها الواقعية مثل (خان الخليلي) (القاهرة الجديدة) و(زقاق المدق) كنت أريد أن أقدم فيها البيئة. وهذا لا يناسبه سوي (الواقعية)[١١] أذكر أن رواية (زقاق المدق) عرفتني بالمازني وتوفيق الحكيم وطه حسين..

المازني قال لعبد الحميد جوده السحار أريد التعرف على مؤلف هذه الرواية، قال المازني: أن الأدب الذي تكتبه إسمه الواقعية وهذا له خطورته وفى أوربا تسبب في مشاكل وقضايا خذ بالك من هذه المسألة خاصة أننا فى مصر قد تعودنا على الرواية الذاتية يعنى لما طه حسين يكتب عن الأيام فهو طه حسين، العقاد يكتب (سارة) فهو بطل سارة، أنا أكتب إبراهيم الكاتب، فأنا إبراهيم الكاتب، توفيق الحكيم يكتب عودة الروح فهو يتناول شخصية أولاد عمومته، وأنت حينما كتبت زقاق المدق وغصت في الأعماق سيقولون إنك تكتب سيرتك الذاتية فخذ بالك الأدب الواقعي غير الذاتي ونحن لم نتعود فى مصر إلا على أن الرواية هي سيرة كاتبها فاعمل حسابك: إما أن تغير الطريقة أو أن تأخذ بالك من المحاذير التى يمكن أن تقابلك.

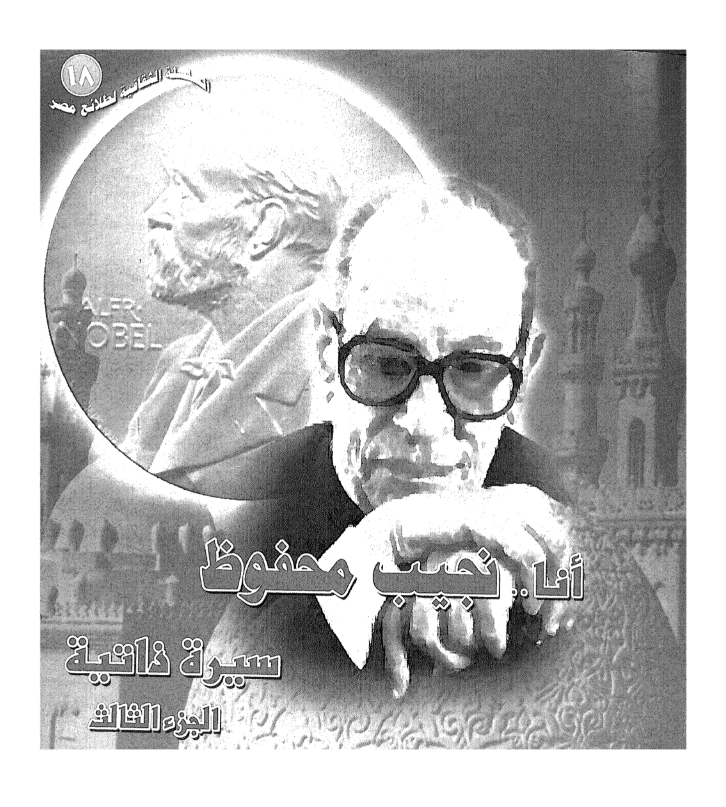
هذه كانت نصيحة المازني لي ولم يكن من الممكن أن أعمل بها لأن الرؤية الواقعية كانت قد تغلبت على شخصيتي بشكل لم يكن من الممكن التخلص منه وبدونها لن أكتب[١٢].

ولعلنى أول روائي عربى أستعمل اللعب على الزمن وتبادل الضمائر فى رواية اللص والكلاب وبعد الخيبات الكبرى التى أصابت التاريخ المصرى دعوت إلى التجديد، ففى الجانب الأدبى لم يهمنى الجديد أو القديم فالذى يأسرنى هو ما يناسب موضوعى، لقد كتبت الحرافيش على أسلوب ألف ليلة وليلة.

ما يهمني باختصار هو الشكل الذي ينبع من مزاج الكاتب، إنما أن أنظر إلى الجديد في الأدب كموضة (مثل) آخر سيارة أو آخر تفصيلة بدلة فهذا شيء لا يعنيني إطلاقاً[١٣].

المهم أن يدرك الكاتب الأسلوب المناسب للتعبير عن موضوعه وعن نفسه. كنت بلا مرشد وبلا دليل وكنت أكتب وفق منهج أقرأ السخرية منه، أقرأ نعيه. لكنني الآن أعتقد أن إدراكي كان سلبياً وكان مما يزيد الأمر صعوبة أننا نفتقد التراث الروائي في الأدب العربي، إنما المشكلة التي صادفتني من اليوم الأول لكتابة القصة هو الإزدواج اللغوي بين (لغة الكلام ولغة الكتابة) [١٤]

أرى أن اللغة شيء أساسي في جميع التخصصات فهي لغة قومية والإنسان بحاجة إليها حتى في معاملاته اليومية.. ومهما تخصص الشخص فهو سيحتاج إلى اللغة ليكتب بها ويتحاور.. لذا يجب دراستها والإهتمام بها إهتماماً خاصاً..

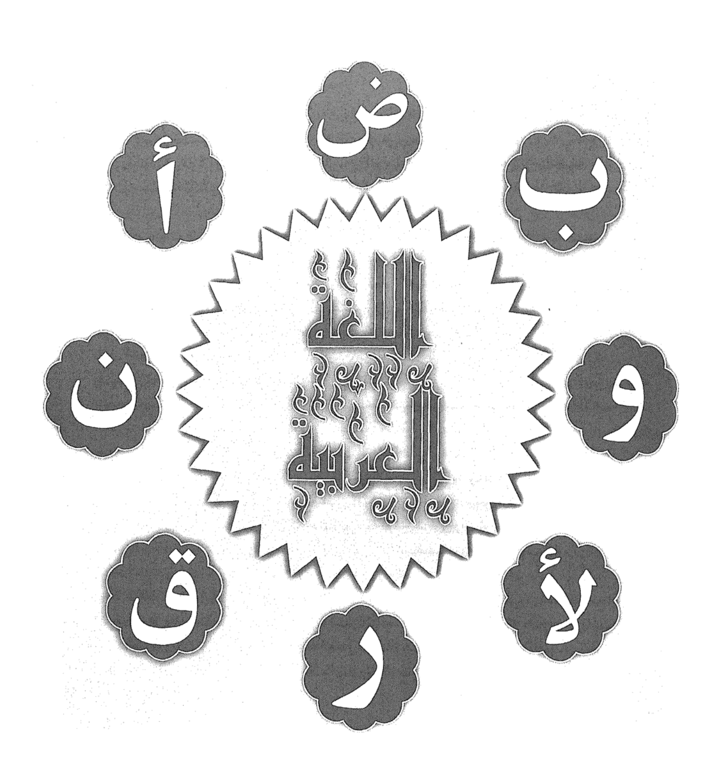

١٨
السلسلة الثقافية لطلائع مصر
NOBEL
أنا.. نجيب محفوظ
سيرة ذاتية
الجزء الثالث

لا أعترف إلا بالفصحى

في الواقع أنا أنتمي لجيل درس اللغة العربية على أيدي أساتذة متخصصين من الأزهر ودار العلوم كانوا آية وعجباً في تعليمنا اللغة وتحبيب التراث إلينا.. ودائما يسألوننى في اللقاءات الصحفية عن روادنا العظام من الأدباء الذين ساهموا في تكوينى وهذا حقهم بالطبع ولكن هناك جنوداً مجهولين أحب أن أتحدث عنهم وهم اساتذتى في المدرسه مثل الشيخ عجاج والشيخ محرم اللذين علماني اللغة العربية وحبباني في التراث وكنت بفضليهما أذهب فى الأجازه إلى خان الخليلي لأشترى كتب التراث وأذكر أن الحاج الحلبي كان يندهش كثيراً عندما يجد أمامه طفلاً فى سنى وقتها يرغب فى شراء كتاب الأمانى ومدرس اللغة العربيه بحكم انه دارس لغة حاملة لتراث وتاريخ لا يصبح مدرس لغة فقط وإنما مدرس قوميه، يعلمنا حب الوطن وحب العروبة[١٥] أنا لا أعترف إلابالفصحى لغة للكتابة، اللغة العامية ليست لغة قائمه بذاتها إن ثلاثة أرباعها فصحى والباقي كلمات إيطالية ويونانيه وتركية دخيله... واللغه العامية من جملة الأعراض التى يعانى منها الشعب، والتي سيتخلص منها حتماً عندما يرتقى، وأنا أعتبر العامية عيباً من عيوب مجتمعنا مثل الجهل والفقر والمرض تماماً، والاديب وهو يكتب يجب أن يهدف إلى خلق لغة عربية جديدة تأخذ الحي النافع من الفصحى والعاميه معا، وهناك إعتبار سياسي وهو أن القومية العربية لايمكن أن تقوم إلاعلى لغة واحدة هي الفصحى بطبيعة الحال.. وإهمال الفصى فى نظرى هدم برئ أو غير برئ للقومية العربية [١٦].

كأنني مبتدئ

ياسيدى ليت العالم لغة واحدة، لويس عوض نفسه يحكى دائماً كيف نشأت الإيطالية وغيرها من اللاتينية، وأقول وإن لم تنشأ لكان ذلك أفضل لأوربا ولنا. لأنه أيهما أفضل: لو أن مؤلفاً كتب كتاباً باللاتينية فى إنجلترا تقرؤه أوربا والعالم كله باللاتينية، أم أن الأفضل هو الوضع الحالي الذي توجد فيه لغات عديدة لوا تقن الإنسان لغة فلن يتقن الثانية، ليتهم ركزوا على اللاتينية ولم يرجعوا للغات الأخرى، إنهم لم يتركوا اللاتينية ليعودوا لعامية اللاتينية لكنهم عادوا للغة الوطنية المحلية الإيطالية والفرنسية والالمانية، ونحن وهبنا لغة واحده نتفاهم بها من المحيط إلى الخليج، هل أمزقها إلى لغات عديدة؟ تصور مثلا أننى كتبت وكتب الأبنودى. سنجد أنفسنا في حاجة إلى مترجمين، كيف تطلب هذا الجنون[١٧] الذي وسع الهوة بين الفصحى والعامية عندنا هو عدم إنتشار التعليم فى البلاد العربية.


اللغة العربية
ض
ب
و
لأ
ر
ق
ن
أ

ألم تر تأثير انتشار الراديو فى لغة الناس، فبدأوا يتعلمون الفصحى ويفهمونها ويستسيغونها، وأنا أحب أن ترتقى العامية وأن تتطور الفصحى لتتقارب اللغتان، وهذه هى مهمة الأديب فى رأيى.

ولكنى مع ذلك لا أحب لهذا الموقف الذى ألتزمه فى أعمالى، بناءً على رأى أو من به، لا أحب أن يتحول إلى دعوة، فلكل أديب الحرية الكاملة فى اللغة التى يكتب بها. وليس معنى أنى أرى هذا الرأى ألا أعترف بأعمال الآخرين... فأنا أقرأ أعمال من يتكلمون بالعامية وأستمتع بها بلا أى إعتراض"[18] وكما لاحظت أنت فإن لغتى الروائية تبدو كما لو كانت عامية، وهى ليست كذلك، بل أحاول توحيد الفكر واللسان فى الكتابة. أحياناً استخدم ألفاظاً يعتقد البعض أنها عامية وهى فصيحة، ويعتقد البعض الآخر أن هذا تعبير شعبى غير فصيح التركيب، ولكنه نحوياً فصيح التركيب. يبدو لى أن هناك روحاً للغة. أنا أكتب بالعربية الفصحى حقاً، ولكنها العربية الحية بالروح المصرية، بالمجاهدة الذاتية حولته.

حولت العربية إلى المصرية دون تقنين وهى عملية أخذت وقتاً لأنها مضت ببطء، هذا الرصيد بدأ يتكون في الطفولة، وفي المرحلة الثانوية بدأت أقرأ الشعر والنثر في التراث باعتباره رصيداً لغوياً، كانت البيئة التي أسمعها هي ما بين الشعبية والوسطي. هذا هو المخزون اللغوى الخاص بى وقد أرهقني حين بدأت أكتب الرواية. إذ كانت لغتي كلاسيكية تسعد مدرس الإنشاء الذي يقرأها على الطلبة ولكنها لا تفيد الكتابة الروائية بل تعوقها، غير أن البيئة الشعبية وحياة الجامعة واللغات الأجنبية كلها عناصر تدخلت تدريجياً في صياغة وإعادة صياغة لغة الكتابة)[19]

هذه من أكبر المشاكل التي واجهتنا وفي الوقت ذاته يعتبر تطويع الفصحى للأشكال الحديثة هو أكبر إنجاز قمنا به، صحيح كان لابد من وجود أخطاء لكنني لاحظت أن الجيل الذي جاء بعدنا منطلق واستفاد من الأخطاء، وأنا في وقت من الأوقات خطر لى أن الفصحى سوف تندثر في الأدب، اليوم لا يكتب أحد بغير الفصحى لأن الفصحى إنتصرت وأصبحت الفصحى للروايات والقصص وكل شيء[20] والتطور اللغوي في أعمالي يتم - إذا تم - دون وعي أو تعمد من جانبي لأنني أندمج في الشخصية فهي لغة الإثنين الراوي والشخصية معاً ولم أضبط نفسي متلبساً بالبحث عن لغة تخص هذا الرجل أو هذه المرأة إنني أندمج في الشخصيات فلا أعود أعرف لغة من.. هذه اللغة؟ لأن الصدق الفني شيء آخر.. إن تصديق الواقع - اللغوي في مناقشتنا - لا تعني نقلاً حرفياً، النقل نفسه مستحيل وإذا كنت أختار من بين الملايين رجلاً واحداً أو إمرأة أو دكاناً أو جامعة أو مضيفا فأنا أقوم في الحقيقة - مع التجاوز - بعملية مونتاج مكثفة للواقع... فلماذا لا يكون هو موقفي نفسه بالنسبة للغة(٢١) لكن (أصعب شيء) هو تحويل الفكر والمعلومات إلى لغة تطمئن إليها (الكلمة الصورة الأسلوب) لأن عملية الإختيار تظل تلقائية جداً، تجدني أكتب كلمة وأشطب كلمة وهذا يحدث في العبارة أو الجملة، لو سألتني لماذا؟

ربما كانت الإجابة الوحيدة أنني ارتحت للثانية أكثر.. بطريقة غامضة أحقق نغمة ما أو شيئا من هذا القبيل، إن هذه المسألة تشكل عذاباً من عذابات الكاتب.. وفيما يخصني لا أستطيع أن أشرحها بأكثر مما قلت.. الغريبة لما تكون الكتابة غير أدبية يسيل القلم دون توقف. لما تكون أدبية كأنني أمشي على زجاج.. في هذه السن وبعد أكثر من ٥٠ سنة كتابة أجدني عند كل عمل جديد.. عند هذه النقطة أو تلك كأنني مبتدئ... وكنت تظن أنني سلكت وخلاص، أكتب العمل بإيقاع سريع حتى لا تفوتني شاردة أو واردة.. بهذه الطريقة أكتب الرواية في عشرة أيام مثلاً[٢٢].

دلال الإلهام

إذا وصلت إلى مرحلة التنفيذ فإن المسألة تتحول إلى عمل يجب أن ينجز، ولن ينجز إلا بالإرادة والصبر فلا أعرف دلال الإلهام[٢٣] حكاية الإلهام والوحي بمعنى تأثر الفنان بموقف أو فكره تنمو لتصبح عملا فنيا، فهذا لايمكن أن يخضع لنظام[٢٤] إن لحظات الإلهام لا تخضع للإنضباط، إن لها حياتها الخاصة أما الانضباط بمعناه الصحيح فيبدأ مع العمل مع التثقيف فنجده فى ساعات القراءة فى العمل في المقابلات مع الناس أما لحظات الإلهام فلا تخضع لأى إنضباط بمعنى أنه لاوقت للجلوس على المكتب وانتظار الإلهام ثم البدء فى الكتابة وأقول لمن حولى: إنى أنتظر الالهام، الإلهام يأتى فى أى وقت وأى مكان وتحت أى ظرف تعبان فى الشغل بلا إستدعاء وأنت تركب وسيلة إنتقال أو أثناء السير فى الشارع، نائم، أثناء التوجه للنوم أو لحظة القيام منه، وكثيراً مايحدث ذلك فى المنزل أوخارجه وإذا عنّ لى التسجيل سجلت وإن لم أستطع فأحياناً تفوتنى اللحظة وتضيع ويظل عندى الأمل بعودتها مثلما ضاعت وأحياناً أظل فى انتظار أن تعود بعد سفرها[٢٥] إنها اللحظة التى لها حرية موعد ومكان الميلاد بل وشكله، قد تولد مكتملة أو على شكل جزيئات بسيطة وربما غير واضحة، لا أعرف أى رواية ستدخل[٢٦] أعتقد أن الكاتب لايختار نوعية العمل الذى سيكتبه فهو لايقرر مسبقاً أنه سيكتب قصيده او مسرحية أو رواية ثم يجلس ليكتبها فإن الإلهام هو عملية متكاملة من حيث الشكل والمضمون معاً فما يخطر له ليس مجرد فكره وعليه أن يختار أن يصيغها كيفما شاء إما كرواية او كقصة أو غيرها وإنما هى تحضره متكاملة، فالفكرة التى تأتى فى لحظة الإلهام هى فكره لرواية أومسرحية أو قصة قصيرة، والكاتب فى الحقيقة لا يملك أن يغيرها كيفما شاء، وانا كاتب روائى بمعنى أن ماخطر لى من أعمال أدبيه جاء دائماً فى شكل الرواية، بل أقول لك شيئا قد تعجب له وهو أن بعض القصص القصيرة وخصوصاً الأولى منها كانت فى الأصل أجزاء من روايات كتبتها ولم تكن قد نشرت بعد لكن وجدت أن



هناك ترحيبا بنشر القصة فى بعض المجلات الأدبية التي تنشر القصة القصيرة فى بعض المجلات الأدبية التي كانت تصدر فى ذلك الوقت فأخذت مشهداً ومقاطع من بعض الروايات التي ترقد فى درج مكتبي بلا ناشر وجعلت منها قصصاً قصيرة والغريب أنه حين نشرت تلك الروايات فيها بعد تصور النقاد أن العكس هو الذي حدث فقالوا إننى إستخدمت بعض قصصى القصيرة في رواياتي التي نشرت بعد ذلك(٢٧) لا أعرف أن عليّ أن أجلس على مكتبى كل يوم... ساعه أو ساعتين حتى أفرغ من العمل فى عام أو عامين، وإن جاز لنا أن نحتمل دلال الإلهام فى قصيدة أو قصوصة فمن غير الجائز ملاينته فى عمل يحتاج إلى عام أو اثنين أو ثلاثة لنفرغ منه(٢٨). يجب أن نفرق بين مانسميه الوحى والإلهام وبين تنفيذ العمل، في نظري أى عمل لايستقيم إلا بنظام حتى يسيطر الإنسان على وقته ومسئولياته المختلفة، ربما كان أصل هذا الاسلوب عندى يرجع إلى تعدد هواياتى وأنا تلميذ لم يكن من الممكن الجمع بينها الا فى قالب من النظام الصارم وإلا طغت حاجه على حاجه، زمان.. فى الاول كنت احياناً أستيقظ فى أوقات من الليل على رغبة شديدة جداً تلح عليّ لأكتب.. مع ذلك كنت أضطر للنوم لأن عليّ أن أكون على المكتب في الوظيفة الساعة الثامنة.. أو قد تفاجئني نفس الرغبة وتراودني وأنا على مكتب الحكومة فأنحيها، بالتعود حدث نوع من التكيف بين جهازي العصبي وهذه الرغبة فتجد رغبتي في الكتابة تأتي في وقتها تماماً وأنا جالس على مكتبي في البيت في التوقيت المحدد.. تماماً مثل فنجان القهوة (ينقر) على دماغك(٢٩).

من عاداتى الخروج الى الخلاء كثيراً على انفراد (حيث تكون الأفكار من الكثرة والثراء وربما بعض التطرف أو التفاؤل أو التشاؤم حسب الظروف)(٣٠) ويأتى العمل الأدبى فى البداية كفكرة لا تعرف من أين جاءت ثم يظل الأديب يقلبها ويفكر فيها، أى أن لها فترة إختبار فتظل فكرة غير مكتملة لا تخرج إلى النور قط، وفى حالات أخرى لاتستغرق تلك الفترة وقتاً طويلاً فمثلا فى حالة "الثلاثية" ظلت تتردد عليّ كأفكار متناثرة أفكر فيها كأجزاء متفرقة وقد استغرقت تلك المرحلة سنوات إلى أن اختمرت الفكرة وحانت لحظة الميلاد فبدأت اكتبها. أما فى حالة "اللص والكلاب" فقد تابعت جريمة السفاح التى كانت تنشرها الصحف فى ذلك الوقت وما أن اكتمل الحدث حتى جلست أكتب روايتى، وأعتقد أن موضوع الرواية كان مختزلا لدى منذ فترة وكان ينتظر الفرصة كى يخرج وقد جاءت قصة السفاح معبرة عن هذا الموضوع فما أن قرأتها حتى كانت لحظة الميلاد وخرج كل ذلك المخزون بعد أن وجد التعبير الصحيح عنه فى قصة تلك الجريمة والتى كانت بمثابة الجسم الذى تجسدت فيه الفكرة الأساسية التى كانت تشاغلنى لفترة طويلة قد تسبق وقوع جريمة السفاح.

وهكذا فإن العمل الأدبى يحتاج إلى فترة تخزين يختمر فيها ويصل من خلالها إلى مرحلة الإكتمال أما ما يتعجل الأديب كتابته فهو عادة ما يكون مبتسراً غير كامل النمو(٣١).

فى الماضى كانت عملية الكتابة نفسها شيئا أمارسه دون التفكير فيه كالمشى مثلاً، فالإنسان لا يفكر بشكل واع أثناء المشى فى عملية وضع قدم أمام الأخرى، وإنما هو يمشى بشكل تلقائى وبلا تفكير وقد كانت الكتابة عندى تتم بالطريقة نفسها فقد كان فكرى مشغولاً بالأفكار والكلمات وليس بالقلم الذى أمرره على الورق[٣٢] ثم صار القلم شيئاً يوازى روحى تماماً، فحياتى كلها كانت مرتبطة بالقلم صعوداً وهبوطاً، فالقلم يرتفع بى إلى أعلى حيث كان يعبرعما يجيش فى نفسى، وهو الذى كان يهبط بى حين كنت أناجيه فلا يستجيب، فقد تعودت على التفكير بقلمى، وبدون القلم لا تأتى الأفكار، بدون القلم تظل الورقة بيضاء لأن القلم كان هو إصبعاً سادساً فى يدى إذا تم بتره عجزت يدى عن الكتابة لذلك فقد كان القلم دائماً هو حياتى ومتعتى وهناك بينى وبينه قرابة أبدية، القلم هو مجرد وسيلة ولكنى أكون مخطئاً لو قلت لك إننى أوجهه كيفما شئت فإن للقلم كياناً خاصاً، وهو كثيراً ما يعصى أوامرى فأبقى ممسكاً به ساعات طوالاً لايستجيب فيها لإرادتى لكنه فى ساعات أخرى يجود علىّ بأجمل الكلمات وبأسمى المعانى[٣٣] إلا إننى أستطيع أن أقول إننى عندما أمسك القلم لأكتب فانى أبذل كل ما لدى من قدرة كى أقدم ما أستطيع أن أقدمه للناس وفى الوقت ذاته أتذوق تقديمه وبمعنى آخر أرضى عنه وقت كتابتى له (...) أنا لم أشعر بالرضا عن نفسي أبداً وحتى لحظة الموت لن أكون راضياً عن نفسي أنا دائماً مشروع جديد ومحاولة إكتشاف جديدة مازلت أشعر بأننى سأعطى فى كل مرحله مادام فىّ نفس يختلج بالحياة. رجل الأدب والفكر والفن لا ينضب أبداً مادام متفتحاً على نبض عصره تواقاً إلى إقتحام المجهول، وليس العطاء وقف على سن معينة ولا على مرحلة بذاتها هناك إضافات بالغة الخطورة والثراء أعطاها عباقرة فى مراحل متأخرة من أعمارهم المهم ألا يتجمد الإنسان أبداً وأن يشعر أن الطريق أمامه مازال ممتداً[٣٤] ومع (تقدم العمر) فإن عملية الكتابه تأخذ منى تفكيراً فى حد ذاتها حتى تخرج الكلمة فى شكلها المقروء وحتى لاتنزل الكتابه عن السطر الذى أكتب عليه. وقد اقتضى ذلك أن تكون كتاباتى الآن قصيره لأن عملية الكتابة نفسها فيها بعض المشقة ومن ثم فإن موضوعاتى الآن -هى الموضوعات التى تصلح لهذه المساحة المحدودة فأنا الآن أكتب الأقصوصة الصغيرة المركزة وأنا أكتب الأقصوصة منذ أيام حكايات حارتنا لكنها آنذاك كانت تمثل ضرورة فنية بحتة. أما -الآن فما يمليها هو الفن والضرورة أيضا لأن يدى لاتستطيع أن تكتب أكثر من ذلك فالأفكار موجودة وإن كان بحكم السن وماكتبته فى الماضى فإن المعين قل عما كان عليه فى السابق، كماأن الموضوعات التى تأتينى الآن هى تلك التى لاتنبع من الحقيقه الواقعيه التى انعزلت عنها قليلا خلال السنوات الأخيرة بحكم الحالة الصحية ومقتضيات الضرورة هى التى أصبحت تملى علىّ هذا النوع من الأقاصيص الصغيرة التى اكتبها الآن فأنا لا أستطيع فى الوقت الحالى أن أكتب لأكثر من نصف ساعة حتى لا أرهق يدى[٣٥] وحين أصبت

فى حادث الإعتداء علىّ وقلت قدرتى على استخدام ذراعى اليمنى لفتره لم أتمكن من الإمساك بالقلم، لكنى مع ذلك لم أستطع أن أستبدله بوسيلة أخرى حتى لو كانت الإملاء وقد زاد من إرتباطى بالقلم أننى لم أعرف فى حياتى وسيلة أخرى للكتابة غير القلم، فلم أستخدم الآلة الكاتبة مثلاً ولا استبدلت القلم بعد ذلك بالكمبيوتر، ولم ألجأ إلى الإنترنت، إنما القلم كان دائماً وسيلتى وهو الطريق الذى يربط بين مايعتمل فى نفسى وبين الحياه، إننى أحزن كثيراً حين أسمع عن الوسائل الحديثة التي يقال انها ستحل محل القلم، إن ذلك بلاشك تطور علمى نسعد به، لكنى أحزن أن تقل قيمة القلم أو يذل[٣٦].

لم أصدق نفسي

(إن) التأليف (هو) دعوة عامة للرقص على نغمة خاصة[٣٧] كنت أميل إلى العزلة التامة ثم أسمع مقطوعة موسيقية ثم أفتح الإذاعة أثناء الكتابة لتكون خلفية ولا يهمنى ماذا تقول فلا أنصت إليها أصلا ولا أدرى هل تذيع نشرة أم برنامجاً أم أغنية وإن كنت أحرص على سماع أم كلثوم وعبد الوهاب[٣٨] كنت فى الماضى حين أصحو بعد الظهر أستمع إلى إحدى أغنيات أم كلثوم وأنا أتمشى فى صاله البيت ثم أجلس بعد ذلك بغرفة المكتب لأكتب، وأنا لازلت أذكر فضلها علىّ حتى الآن - وأذكر أننى كنت لا أستطيع الكتابه إلابعد أن أسمع صوتها وأظل أروح وأجيء فى الحجره ثم أشرع فى الكتابه مباشرة[٣٩] (وذلك) لحسن صوتها وجماله بصوره لاتجدها فى أى حنجرة أخرى، والألحان التى يوفقها الله اليها أحياناً لأنها من هذه الناحية كانت تحت رحمة الغير، وكنت أحرص على حضور حفلاتها منذ كانت تغنى كل خميس بتياترو "الماجستيك"[٤٠].

أم كلثوم ليست نبوغاً فى الصوت ولكن فى الشخصية، كيانها أكبر من مجرد مطربة، هى اشبه بالشخصيات السياسية الهامة[٤١]، (فقد) ساعدت بصوتها على توحيد العرب، هذه مسألة لم يكن عليها خلاف، المقابلة الوحيدة (لي معها) كانت في الأهرام عندما أراد صلاح جاهين الإحتفال بعيد ميلادي الخمسين[٤٢] ذهب للأستاذ (محمد حسنين هيكل) رئيس تحرير الأهرام وقال له: خصص لنا ركنا في الأهرام نحتفل فيه بعيد ميلاد الأستاذ نجيب، كازينو قصر النيل ضاق علينا، فقال هيكل لصلاح: نحن - أي الأهرام - سنحتفل بالأستاذ.

لم أصدق نفسي عندما أحضر لي هيكل خصيصاً كوكب الشرق أم كلثوم والموسيقار محمد عبد الوهاب وفاتن حمامة وحضر عيد ميلادي توفيق الحكيم فضلاً عن الحرافيش وكثير من أهل الأدب والفن، كان احتفالا هائلاً

ومبهجاً حقاً ولا يمكن أن يتكرر، وأذكر أن (الحكيم) أهداني (طقطوقة) من فضة وقال لي: هذه من حر مالى، لكن أجمل ما في تلك الليلة هو حضور (أم كلثوم) لها فقد جاءت إلى - أنا مخصوص - لتغني في يوم مولدي، زمان في السنوات الخوالي كنت أذهب إلى حفلاتها (كسميع) قديم مفتون بفنها وأشتري تذاكر الحضور وأجلس وسط المستمعين[٤٣].

قالت أم كلثوم في كلمة قصيرة: لقد أسعدني نجيب محفوظ برواياته وقصصه وأرجو أن يسعدنى خمسين عاماً قادمة.

إهتززت وانتفضت أرد على أم كلثوم بصوت هادئ مرتجف: إذا كانت كتاباتي قد أسعدت أم كلثوم فماذا يستطيع إنسان أن يفعل إزاء إحساسه بأنه أسعد مصدر سعادته؟!. ونحن عائدون من الإسكندرية مع العائلة بالتاكسي فتح السواق الراديو وهم يصفون جنازتها وبكينا كلنا[٤٤] وأنا لا أستطيع أن أتحدث عن لحظات الحزن في حياتي دون أن أتوقف عند رحيل أم كلثوم وعبد الوهاب اللذين كان لهما تأثير كبير على تشكيل وجدان أكثر من جيل[٤٥] لكن ذلك كله تغير الآن ولم يعد الحال كالحال فمنذ أن اشتد ضعف سمعي وبصري لم يعد باستطاعتي أن أسمع الموسيقى وأصبح ما يصل منها إلى سمعي يبدو كالضوضاء لا أتبين فيه اللحن، والغريب الذي يحيرني هو أن هناك ثلاثة أو أربعة ألحان فقط للشيخ السيد درويش هي التي أستطيع أن أسمعها بوضوح منها مثلاً (سالمة يا سلامة. وشد الحزام) لكن حتى أغاني سيد درويش الطويلة لا أستطيع أن أسمعها وكثيراً ما سألت الأطباء في ذلك فكانوا يتعجبون أنني أسمع تلك الألحان أصلاً لأن المفروض أن الشعيرات التي تسمع الموسيقى قد ضمرت في أذني.

أربع وشوش

السيد درويش يمثل الفطرة الأصيلة الخالصة ولا يمكن أن يجود الزمان بموسيقى مصري كالسيد درويش لأنه ظهر في فترة كانت مصر فيها كل شيء فكنت تجد الناس وهم راجعون من عملهم يغنون بعض أغنياته، إن ألحانه مما يسهل ترديدها. على عكس أغنيات عبد الحي حلمي. ومنيرة المهدية التي تحتاج إلى حنجرة قوية لكن أي أغنية للسيد درويش كنت تجدها تغني في الشارع فكنت ألتقطها وأضيفها إلى محفوظاتى.

وهكذا تعرفت على السيد درويش دون أن أعرفه وإنما بدأ تعرفي الحقيقي عليه في مسارح روض الفرج الشعبية وكانت تعمل في الصيف فقط وتقلد فرق الموسم الشتوي، مثلاً يوسف عز الدين كان يقلد نجيب الريحاني وفوزي منيب

يقلد الكسار... وكانوا جميعاً يقدمون مسرحيات غنائية.. وهكذا فكل المسرحيات التي لحنها السيد درويش للريحاني أو الكسار أو غيرهم.. سمعت أغانيها وحفظتها من روض الفرج، كنت أذهب بصحبة والدي وأحياناً بصحبة والدى وشقيقي.. وظللنا نتردد على هذه المسارح بانتظام وأنا في ابتدائي أي من سن الثامنة حتى الحادية عشرة تقريباً ولما أحيوا أغانى السيد درويش في الإذاعة بعد ذلك بسنوات عديدة كنت أذهل وأنا أستمع إليها وأجدني مازلت أحفظها منذ أيام طفولتي حتى أني كنت أقوم بتكملتها صحيحة كما كانت تغني قبل التهذيب الذي أدخلوه عليها .

السيد درويش في الحقيقة أتى بشيء آخر وهو الغناء التعبيري عن مواقف معينة، أو عن بيئات معينة، وهو غير غناء الطرب، وليس معنى ذلك أن الطرب قبيح، وإنما السيد درويش أضاف إضافة جديدة، وكأنه يقول أن الموسيقي ليست طرباً وغراميات فقط بل من الممكن أن تعبر أيضاً عن المسافر والمهاجر، ومن يعمل ومن يحفر ومن يجد.. أو بمعني آخر أن الحياة كلها ممكن ان تغنى، وببساطة السيد درويش خرج بالموسيقي للترجمة التعبيرية الشعبية العامة وجعلها ملكا للجميع، لمن يغني ومن لا يغني من كان صوتة جميلاً ومن كان صوتة قبيحاً يستطيع أن يغني ألحانه كما أن الأدوار التي لحنها السيد درويش تمتاز بطول، النفس وبكثرة التنويعات النغمية، والدليل على ذلك ان اى دور لمحمد عثمان أو لعبده الحامولى، مما سمعناه عن آخرين، يستغرق أسطوانة واحدة، أما دور السيد درويش فمسجل على أسطوانتين (أربع وشوش) مع أن كلماته لاتزيد على اربع شطرات، ومعنى ذلك أنه يستخرج من كل نغمة جميع الوانها... كانت لديه تلك المقدرة، والاهم من ذلك ان السيد درويش جعل الموسيقي، موسيقي كل إنسان وكل فئة سواء من حيث التعبير ومن حيث الآداء أيضاً[٤٧].

كنت أحرص على سماع أم كلثوم وعبد الوهاب – وأحب أغانيه إلى قلبي "من أد إيه كنا هنا" ومطربتي المفضلة أم كلثوم – ولم تكن الفقرات المذاعة تخرجني من جو الكتابة ومعايشة الشخصيات والأحداث التي تسلبني إرادتي تماما[٤٨].

أديب الشتاء

(كنت قبل الكتابة أعيش في حالة إنفعال وجداني حوالي نصف ساعة أتمشي في البيت) وعندما أريد البدء أقوم بحركات بدنية، والبدء صعب دائماً، بعد تردد في البدء وضوح منذ البداية وربما اتضاح تدريجي في بعض الحالات، "الافكار" قد تجيء بفيض او بندرة تجيء بتلقائية عادة وأحياناً تجيء بمجهود تقود فكرة إلى فكرة كما توحي تصرفات الشخصيات بتصرفاتهم التالية، أتعمد الانتصار لطرف ضد آخر بشرط ألا يهز السياق أو الشخصية. إن ذلك يكون إنتصاراً لى ولو بدا عكس ذلك لأن مشاعري مشاركة الشخصيات في عواطفها: تعاطف، شفقة، إحترام، الصعوبات تعبيرية بحيث ترتاح إليها النفس (أقف عاجزاً إزاءها) يوم، شهر، سنة، ٣٠ سنة حسب الأحوال ثم أبدأ في عمل آخر أو عند العودة تكون الأمور أكثر وضوحاً (أضع العبارات) بحذر وتدقيق، إستغراق في التفكير - الإستعانة بقواميس ومعاجم اللغة، العبارة تجيء بمجهود، اضع ما يعن لى ثم أعيد ترتيبه (أكتب يومياً) عدا الخميس والجمعة والأجازات، أعجز أحياناً عن الإستمرار في الكتابة (مشاعرى) قلق وقرف، لا يحدث هذا في الأعمال المسبوقة بتأمل ولكنه يحدث عندما أبدأ من الصفر أحاول فى اليوم التالى (الأمور تكون مختلفة كأن) يوجد حل لمشكلة لم يكن موجوداً [٤٩] وخلال فترة الراحة القصيرة كنت أنتبه إلى الإذاعة، وكان وقت الكتابة يتصل الى أربع ساعات يومياً تبدأ قبيل الثامنة وتنتهى قبيل منتصف الليل ولا أسهر أكثر من ذلك لأننى موظف (وبعد المعاش) بعد ذلك أصبحت أكتب من العاشرة صباحا حتى الواحدة بعد الظهر وأخصص وقت المساء للقراءة مع مراعاة ان موسم القراءة والكتابة ينحصر فيما بين شهرى أكتوبر وأبريل من كل عام.

كنت عندما أشعر بالتعب من الكتابة أعرف أن الموعد المحدد قد انتهى دون أن أنظر إلى الساعة. وأثناء فترة الكتابة أتناول فنجانين من القهوة التى تعدها لى زوجتى دون أن أطلب - كما تعودت - وهى تأتيني بالفنجان مع بداية الكتابة.

كنت أكتب المسودة بسرعة لتلاحق الأفكار والكلمات، ثم أقرأ كل ذلك على مهل مع مراعاة الحذف والإضافة والتعديل [٥٠] بعد الجلسة أكون أهدأ (وهناك اوقات تكون فيها الرؤية الفنية أصفي) في فصل الشتاء دون الفصول الأخري - إن عملية الإبداع الفني لا تعتمد فقط على الفكرة، فالأفكار كثيرة، لكنها تعتمد أكثر على لحظة الصفاء التى تتدافع فيها الكلمات لتصيغ عملا فنيا جديدا، قد يلتزم بالفكرة التى ولدته، وقد يشطح بعيداً عنها إلى آفاق جديدة لم يكن الكاتب يتصورها [٥١] حيث أشعر بوجد في الشتاء وأجد نفسي قادراً على الكتابة، وقد كان هذا هو حالى

منذ الصغر، وحين كنت أقرا الشعر العربى القديم كان ما يتحدث منه عن المطر أو الشتاء يهز قلبى هزة خاصة فقد كان الخريف والشتاء فصلي العمل والنشاط والحيوية، فعلى عكس الكائنات التى تعرف البيات الشتوى، فإن روحى في الشتاء تكون متألقة، وكل استعداداتى وإمكاناتى الأدبية تكون في حركة ونشاط، وهذه الحالة كانت تبدأ معى فى الخريف وتستمر حتى نهاية الشتاء، ثم يجئ الربيع فتبدأ معى فترة البيات الربيعي أو الصيفي. أما سبب ذلك فكان أولاً إننى من أيام المدارس إعتدت العمل في الشتاء، وكان الصيف للعب، وأول ما تخرجت عام ١٩٣٤ أصابتني أنواع مختلفة من الحساسية في العين والجلد، وكانت تعاودنى مع كل ربيع فتجعلنى غير صالح للعمل حتى لو أردته، بينما في الخريف والشتاء كنت أسترد كل امكاناتي، أى أن الشتاء كان فصل صحة وعمل وليس فصل مرض، لذلك فأنا أحب الخريف والشتاء وأحب الدنيا فيهما، بينما أتحمل الصيف بصبر وكأنى أحارب حالة خفيفة من الإكتئاب، لأننى كنت أعتبر الصيف عائقاً في عملي لأنه كان يعطلني عن الكتابة، ومع ذلك فقد ظهر الصيف في الكثير من أعمالى سواء في الإسكندرية أو رأس البر، الآن استطيع أن أقول إن فترة التوقف عن العمل في الصيف قد أفادتني لأنها أعطت المجهود المستمر طوال العمر فترات راحة إجبارية لا تجعل الإنسان عرضة لرد الفعل العنيف بأن يعرض تماماً عن العمل، ثانياً فإن فترة الصيف كانت تسمح بالكثير من لحظات التأمل التى كانت توحى لى بالكثير من الأفكار لأعمال أدبية جديدة، فرغم أننى لا أكتب فيه على الإطلاق، فإنني كثيراً ما أفكر فيما سأكتبه بعد ذلك، ففي الصيف كنت كثيراً ما أتمشى على النيل في القاهره أو على شاطئ البحر في الإسكندرية وكنت أعتاد أن تجيئنى بعض الأفكار لكتابات كنت أختزنها لأعود إليها مع حلول فصل الخريف حيث كنت أعود مرة أخرى للكتابة، وقد كنت في بعض الأحيان أدون هذه الأفكار وفي أحيان أخري لم أكن أدونها، وكانت تبقى معى حتى أعود إلى الكتابة، أو تهرب ولا أصبح قادراً على إستعادتها مرة أخرى.

بدون حذاء

أحرص على: ورق معين، موسيقي، حجرة معينة، نوافذ مغلقة، مكان له سقف، درجة حرارة منخفضة، ملابس صغيرة، بدون حذاء(٥٢)... لما نرجع لتاريخ المبدعين نجد أن هناك ناس لابد أن يتوفر لهم جو خاص من جميع النواحي ليبدعوا، لكن آخرين يكتبون في أسوأ الظروف ويمكن بدون الظروف السيئة لاتستثار رغبتهم في الإبداع، أنا لابد أن أكون مستقراً نفسياً تماماً وبلا اى (مشغولية) حولى من جميع النواحي... لابد ان اخلو من كل المشاكل والمشاغل، أى متاعب ممكن تبرجل الواحد.... أحب أن أكون صافى الذهن تماماً وأنا أعمل[٥٣].



الغموض

المصير الروائى يختلف عن المصير الحقيقي والناس يخلطون بينهما، العمل الفني معقد والشخصية تتخلق من خلاله، ولا يملك الكاتب نهاية شخصياته، وبالتالى فأنا لم أقصد في أعمالى الروائية خلق شخصية ثورية فيها وعندما تجيئ الشخصيات دون تخطيط فلا يمكن التحكم في نهايتها أما الرؤية التى تحكم الشخصيات وتتحكم فى مصيرها، فهى تحدث كما يحدث في الحياة اليومية دون تخطيط محكم، ولذلك فقد يكتب الكاتب نصف رواية دون أن يعرف مصير الشخصية في نهايتها. وهذا ما يعطى الشخصية الدلالة، وللغير حق الإستنتاج، واذا كانت الشخصيات الثورية في رواياتي تنتهى نهايات مأساوية فذلك لأن الثوار كانت حياتهم تنتهي بمأساة[٥٤].

نعم أتبني أفكاراً معينة أحاول عرضها من خلال الرواية: سياسية، دينية، فلسفية، (مع إعتقادى بوجود قيود) سياسية، دينية، إجتماعية (أتجاوزها بطريقة أو بأخري) تكون المشكلة واقعية، أو من الخيال (تجيء) إلا منذ البداية وأحياناً مع التقدم في العمل (أحياناً يكون الحل جاهز) واحيانا لا اعثر عليه تلقائيا او بالصدفة، او بتدبير وتخطيط (حسب الأحوال) يتكرعلى غير مثال، وأحياناً يجيء على نحو ما يمكن حدوثه أو ما حدث من الواقع والثقافة (و) يمكن تجربة عدة وقفات حتى تجيء الوقفة التى تريح بانفتاح وباهتا ثم يتضح (وان حدث وجاء الحل في غير جلسات الكتابة أسجله) أو تكريره لحفظه (أما المواقف والافكار فإنها) تجيء بلا تدبير، ثم يتدخل الوعي فى منتصف الطريق (أحيانا اضع في السياق بعض المواقف غير الواضحة). (والهدف) لعله يعبر عن طبيعتها أو عن مدى جهد الكاتب فى تفهمها وأحياناً يتعذر على الكاتب الوضوح لأسباب إجتماعية (وأحاول أن يكون عملي لا يحتمل أكثر من معنى وهدف) إلا إذا إستعصت طبيعته على ذلك (اما نهاية القصة) واضحة منذ البداية او تتضح مع التطور، أجد صعوبة احيانا في إنهاء الرواية باي واحدة من -الشخصيات. الافكار. المشاهد. المواقف - التخلص منها بحذفهم.

(أما المراجعة فتكون) بعد كل فقرة ثم في النهاية (وإذا تحيرت بين ما ألغي وما ابقي أحسم الأمر) بالرجوع الي الإحساس[٥٥] ثم يأتي ما أسميه: «التبييض فيشغل بقية السنة.. طبعاً سنتي الكتابية كما تعرف محدودة بين أكتوبر وأبريل.. المعاناة الحقيقية في «التبييض».. ليس بمعني شطب كلمة ووضع أخري وإنما بمفهوم إعادة الكتابة[٥٦] وعند التبييض أكتب على مهل، وبهدوء تام باستخدام القلم الحبر الذى تحول الى جاف، ولا ألجأ إلى الشطب أو الكشط أثناء التبييض إلا في حالة الضرورة القصوي بشرط ألا يزيد عن كلمة واحدة في الصفحة وإلا أضطر إلى إعادة الكتابة من جديد.

والتبييض أقسى وأشق مرحلة بسبب كثرة التعديل في الجمل والكلمات والتعبيرات حتى أشعر بالراحة والإستقرار. وربما أتوقف قليلاً عن الكتابة وأقلب الصفحة، وأجرى عملية مفاضلة بين أكثر من لفظ أو تعبير أو صورة حتى اعثر على التعبير المناسب الذى أطمئن اليه[٥٧].

الغموض في عملية الكتابة سببه أنها مبنية على الإحساس بنسبة كبيرة جدا ربما ٩٩ ٪... مثلاً أنا غيرت كلمة.. لماذا.. ربما لأن الأولى كانت للإخبار أما الثانية فكانت جمالية أكثر.. كل شيخ له طريقة.. هناك كتاب لايعرفون هذا (التبييض).. الذى يكون دائما مختلف وغير الأصل[٥٨].

(أختار العنوان) في البدء، في النهاية، في الوسط (حسب الأحوال)، (وان كنت قد) تعودت أن اكتب القصة أو الرواية، وبعد الإنتهاء منها وإتمامها أبدأ في كتابة العنوان، وربما أخذ التفكير فى كتابة العنوان جهدا اكثر من كتابة القصة نفسها خاصة لو كانت قصيرة[٥٩] قبل البدء قلق وحنين، في أثناء الكتابة الرضى - بعد الكتابة ٥٠ ٪ من الرضا وبعد الإنتهاء راحة[٦٠].

علمتنى تجربتي الخاصة أن الموضوع وهو مجرد أفكار وتخيلات يحظى بثقتي الكاملة، لكن بعد مراجعتة عند تنفيذه يفقد على الأقل ٥٠٪ من روعته، وعند مراجعته مطبوعاً لا يكاد يبقي منه شئ، هذا احساس عام مازال موجوداً إلى اليوم، فالكاتب وهو يكتب يعتقد أن ما يكتبه يعكس ما يحس به، أى ذروة إنفعاله بالتجربة، وعند قرائته بعد ذلك يتضح له الفارق بين إنفعاله فى ذاته وبين التعبير المكتوب عنه، فيظهر هذا الهبوط الذى تحدثت عنه. وربما كان هذا الإحساس حافزاً للكاتب كي يؤلف عملاً آخر يحقق فيه التوافق بين التعبير وبين الإنفعال... وهكذا[٦١]... وأنا لا أحتفظ بالمسودات الأولى لرواياتي، فمجرد ان انتهي من الرواية اقوم بتقطيع كل أوراقها، إنني كنت أعدمها ما عدا النسخة النهائية التى أرسلها الى الآلة الكاتبة تمهيدا لإرسال نسخة إلى (الأهرام) وأخرى إلى الناشر سعيد السحار، وحين تعود اليّ الرواية بعد ذلك في بضع نسخ من الكتاب المطبوع، فإنى أرسلها كلها إلى أصدقائي، فلا يتبقى عندى منها شئ الا الذكرى الحسنة[٦٢].

النقد معي وضدي

اهتم بالنقد وأدرسه جيداً، لا سيما ما يكتب منه عنى، سواء كان معى أو ضدى... لا فرق، وأعكف على درس ما يوجهه إلى من نقاط وآخذه بموضوعية وطيب خاطر. أى انني لا أرفضه، ولا أجادل صاحبه عداءً بعداء، بل أكن له إحتراماً وتقديراً خاصين، لأنه إجتهد وثابر وحاول أن يقدم رؤية ما، لا يهمنى بعد ذلك إن جاءت لصالحى، أو رافضة لعملي، على شريطة إلا يأتى بذيئاً مترخصا. كما ان للنقد مزية أخرى تتمحور حول إشاعة الكتاب ولفت الانظار إليه وإلى صاحبه، وإثارة نقاش جاد حوله يتسم بالحيوية والعمق.. وهذا كله مفيد ومرجو. وقد سعدت - حقيقة - بما كتبه عنى ناقدان شابان جادان، كان لهما شأن أى شأن فى حقل النقد الأدبي، هما المرحومان: سيد قطب وأنور المعداوى، وسر سعادتى بما كتباه أنه جاء من ناقدين محترفين يعيان معنى النقد ومسئوليته ودوره وكيفية ضبط مصطلحاته وتوظيفها دلاليا، لان من كتبوا عنى قبلهما كانوا من القراء الهواه. أما من جاءوا بعدها فقد غلبت عليهم النغمة الأيدولوجية والحفاوة بالمضمون دون غيرهما من عناصر وجزئيات.. أى أنه كان نقداً أيدولوجيا محضاً[٦٣] فانت تعلم أن العديد من المقالات كتبت ضد اعمالى، بل توجد كتب في ذلك - قابلنى نقد مضاد، قابلته بعزيمة مضادة اقوى منه فقررت بإرادة من حديد أن أقرأها قراءة موضوعية كأنها من شخص آخر، وأن أستفيد منها ما يمكن الإستفادة منها، صممت أن لا تسوء العلاقة بينى وبين ناقد ما، لأنى أعتبرت ان الناقد يقوم بواجب وأن الدخول معه فى معركة يصده أو يصعب مهمته، حتى أنى لم أغضب طول عمرى من أحد إلا من واحد «أنت تعرفه تهجم على هجوماً شخصياً جارحاً فاعتبرته سباً، أعذرنى اذا زعلت منه[٦٤] « انا صديق لنقادى.. هذه مسألة تحتاج إلى جهاد طويل مع النفس... أى نقد في الدنيا - ثق في هذا - لن يرفع إنساناً أو يخفضه درجة عما يستحق[٦٥] ليس هناك إنسان لا يسوؤه ما يوجه إليه من نقد، ولكن العبرة بالموقف الذى يتخذه من هذا النقد وإلا كان فاقداً للاحساس... وهو بالعادة وبتقدم السن يسلم بالنقد المعتاد كأمر واقع عليه ان يتقبله وان يستفيد منه ما أمكنه ذلك[٦٦] «وليس للنقاد تاثير على سمعتي الأدبية للإنفصام بين النقد والجمهور[٦٧] ولم يؤثر النقد الجاد في مسارى لأنه جاء بعد ما انتجت كثيرا وبعد ان قدمت الثلاثية.. ولكن السؤال عن علاقة النقد بالفن، فأحيانا يتناول النقد «شيئا حتميا أو أخطاء حرفية، بالنسبة للجزء الأول فلا يمكن للإنسان أن يغير من طبعه أما الأشياء التى تدخل فى نطاق الصواب والخطأ فمن الطبيعي أن أستفيد منها.

شيئ آخر أحب أن اؤكده في هذا المجال، ان بعض الأدباء يشكو من تجاهل النقاد لإنتاجهم أقول لهم: إن احسان عبد القدوس ويوسف السباعي نالا شهرة عريضة وجماهيرية واسعة دون أن يكتب عنهم أحد من النقاد[٦٨]

(وأنا أعمل على مراجعة أفكارى ومواقفي على قدر الطاقة وعدم الخوف من تغيرها ما دام التغيير ينبع من اقتناع واستهداف للحق)[٦٩].

لم يحدث أنني رددت على ناقد كما لم يحدث أنني أهملت قول ناقد، ولعل الأساس في ذلك هو أننى أعتقد أن الرد على ناقد من اختصاص ناقد آخر وليس من إختصاص المؤلف الذى قال كل ما عنده في عمله المنقود، ولأننى أعتقد أن نقد الدنيا والآخرة لن يرفع عملاً أو يخفضه عما يستحق درجة، وأنا أحب دائماً أن أعرض عملي الفني لعوامل الإنتخاب الطبيعي، فاذا كان يستحق الموت لمجرد أن ناقداً هاجمه فمن الخير أن يموت، واذا كان مقدراً له البقاء فسيبقي[٧٠] هناك نقاد دخلوا عالم كتاباتي بنفاذ كبير أذكرمنهم على سبيل المثال فقط: رجاء النقاش، محمود أمين العالم (وهو) – ضمن الذين ألفوا عنى الكتب مثل غالي شكرى – بل إن الذين تناولونى في جزئية مثل محمود الربيعي ورجاء النقاش وعلى الراعي، عكسوا الكل من خلال الجزء[٧١].

حميدة

عندما كتبت «حميدة لم أسمع أنها تمثل مصر إلا فى مقالين لنبيل الألفى ورجاء النقاش.. بعدها عدت للمقارنة: وجدت سيدة غلبانة تتطلع لأن تكون افضل ولا تجد طريقاً طبيعياً للرقي لأنها لم تجد رعاية فى التعليم ولاغيره فتتجه الى الإنحراف، يجيئها من يبيعها للإنجليز، بالفعل وجدت كل شئ ينطبق على مصر، وكأن الذى يكتب عن «حميدة كان فى ذهنه وخلفيته مصر[٧٢].

ولم أستبعد صحة النقد الذى قال أن حميدة في زقاق المدق، ترمز لمصر، وهو معنى لم يخطر ببالى أثناء الكتابة ولا بعدها، ولكن حين قارنت بين ظروف مصر وظروف حميدة رأيت تشابهاً كبيراً في الفقر والقهر، هنا عميل للخواجات يريدها أن تعمل لحسابه، وهناك عميل للخواجات يريدها للغرض نفسه.. هكذا لم استبعد انعكاس حالة مصر على حميده، وقلت لنفسي إنه ليس بعيداً أن التفكير المتصل فى العام يترك أثره على الخاص[٧٣] (إنما زهره فى ميرامار) الحقيقة كان فى وعيي بالدرجة الأولى وأنا أكتب انها تمثل مصر لأننى كنت أكتب خلال هذه المرحله بالرموز – ولذلك يقول لها البطل فى آخر الرواية – إذا كان خاب أملك فى من أحبوك دورى على غيرهم)[٧٤].

من الشاكرين

أنتجت أعمالاً كثيرة بالرغم من أننى كنت طول عمرى موظف، ولأن أحداً من الأدباء لم يثر من الإهتمام مثل ما أثرته أنا عند أقلام النقاد، مع استحقاق الكثيرين غيرى لذلك. ولا يوجد أحد تحولت كل أعماله إلى سينما ومسرح وإذاعة مثلى.

إذن يجب أن أكون من الشاكرين، لأن من وراءه مثل هذه الحياة ولا يكون سعيداً وشاكراً يكون إنسان نمرود، وإذا قلت لك أنه مازال في الحياة الكثير، وإنى لم أحقق كل ما أتمناه أكون أنساناً منافقاً[٧٥].

القراء.... شهادة الوجود

ليس التعريف الصحيح للكاتب أنه الذى يكتب، ولكن الأصح أن تقول أنه الذى يُقرأ، وطالما أنه لم يصل الى قرائه بعد فهو مشروع كاتب ليس إلا، مهما يكن رأيه في نفسه أو رأى أصدقائه فيه واذا اعترف به النقاد قبل ان يلتفت اليه احد من القراء فاعترافهم إجتهاد وتنبؤ ولكنه لا يصبح كاتباً حتى يهبه قرائه شهادة الوجود، واعرف انه قد يوجد من الكتاب من يسبق زمانه كما يقولون، ويتأخر الإقبال عليه، غير انه يظل مشروعا حتى يجيء الزمان بقرائه فيمنحوه شهادة الوجود الحقيقي، والحقيقة، أنه ما من كاتب إلا ويكتب لجمهور ما يهتدى إليه بفطرته، وقول البعض أنه لا يهتم بالجمهور قول غير صحيح وغير أخلاقي. والأدب كغيره وظيفة إجتماعية إكتسبت أهميتها بما هى رساله موجهة لجمهور، وقد يقول كاتب أنا أكتب إرضاء لذاتى أولا وأخيرا.. في تصورى :أنا أكتب لجمهور ما من خلال إرضاء ذاتى لا سعيا للجمهور بأى ثمن. وعلى كل كاتب أن يقدم خير ما عنده، بخير ما يملك من قدرة واتقان، وأن يهتم بالإيصال، إهتمامه بالتعبير، دون تضحية بقيمة من قيم الفن والابداع. وتبعاً لسعيه واجتهاده يصل إلى الجمهور المقسوم له، ويكون ذلك الجمهور بنوعيته ومستواه دليلا صادقا على نوعية الكاتب، ومن الكتاب من يرضي الخاصة، ومنهم من يرضي العاديين ومنهم من يرضي الخاصة والعامة، وفي جميع هذه الأحوال فالجمهور هو الذى يعطى شهادة للكاتب وهو الذى يحدد قيمته[٧٦].

إن المثل الأعلى لكل أديب هو أن يرضي الخاصة ويصل في الوقت نفسه إلى الانسان العادى، ولا أعتقد أن عليه أن يكتب للجماهير بشكل مباشر، وإن كانت الجماهير دائماً تحتل مكاناً ما فى خلفية ذهنه ولا يجب أن تكون هي فى مركز

الصدارة وإلا كان ذلك على حساب أشياء أخري كثيرة، إن الكاتب وهو يكتب يفكر فقط في العمل، وفى نفسه، قارئ يشبهه، ثم عليه بعد ذلك أن ينتظر حظه(٧٧).

الأساس هو القارئ لا النقد ولا غيره. هذه كلها أشياء هامشية. الكاتب مجرد مشروع حتى يجد قارئاً كى يصير كاتباً فعلاً (لكن) عندما أكتب مقياسي هو نفسى التى أملكها، ليس هناك شك في أننى أحب أن أرضي وإن لم يكن الجميع فعلى الأقل جزءاً محترماً منه -شرط - ألا يكون هذا قيداً على كتابتى، بمعنى أننى لا أبتذل نفسي من أجل أن يكون لى عدد أكبر من القراء، إنما أحب أن أحافظ على شخصيتي فى الكتابة وأتمنى أن تحوز الكتابة إعجاب الجميع.

الكاتب الغربي يستطيع أن يقول أنه يكتب للعمال أو للفلاحين أو «لليبراليين»، أما أنا فليست لدى إمكانية هذا التصنيف. قارئ أتصوره دائماً في محيطي أى الرجل الذى يتعلم ويحب الثقافة سواء كان عاملاً أو فلاحاً أو طالباً أو موظفاً. هؤلاء أسميهم القارئ(٧٨) الذى أعلمه اننى كاتب فعلاً لأننى أمارس الكتابة وأغلب قرائى من العمال وطلبة الجامعة(٧٩).

الرسائل تصلني من الطلاب والموظفين نساءا ورجالاً أما الذى يحييني فى الشارع أو سائق التاكسي، فإنه جمهور لم يقرأ لى حرفاً، وإنما شاهد أعمالى فى السينما والتليفزيون، هاتان الوسيلتان هما الجسر بيني وبين قطاع كبير من الأميين(٨٠).

أسعد سعادة خاصة عندما أصادف فى هؤلاء بعض العمال، لدلالة ذلك من ناحية الوعي والشعبية، وليس نادرا أن نتبادل الحديث فى الاتوبيس. وتتراوح الوسائل التى أتلقاها بين نوع بسيط يطلب صورة، وبين نوع جاد وأغلبه من البلاد العربية يناقش مناقشة جدية ترتفع فى كثير من الأحيان الى مستويات النقاد أنفسهم، ولا تسألنى عن سرورى بذلك، ومما يستحق التنويه أن قارئات الأدب اللاتى صادفتني في مصر قارئات بالمعني الحقيقي، وكثيراً ما ألقاهن مصحوبات بأزواجهن (٨١).

لماذا نكتب الأدب؟

الرواية تكتب لبضعة آلاف من المثقفين، السينما تحولها إلى عمل يقدم للمـلايين، هناك تغيرات فنية تفرضها الصوره وتغييرات تجارية، وتغييرات يفرضها الواقع. لا يمكن لك أن تلقي محاضرة عن الثورة الفرنسية في الجامعة

وفي المدرسة الإبتدائية بشكل مماثل. الثورة لم تتغير ولكن الطريقة التى تقدم فيها موضوعك يجب أن تتغير، من هذه الناحية أعتبر أن ما قدمتة السينما من أعمالى ناجح. من يقول أن السينما شوهت رواياتى هم المثقفون الذين يريدون أن يروا الكتاب الذى يعرفونه فى الفيلم الذى يرونه. لو كان يمكن للفيلم أن ينجح تجارياً معتمداً عليهم فقط كمشاهدين لقدم بطريقة أخري، ولكنهم لا يمكن أن يملأوا السينما أسبوعاً واحداً فقط. إذن ما فعلته السينما كان جيداً، لأنها قدمت رواياتى لأولئك الذين لا يمكن أن يقرؤوها، وبالطريقة التى تناسبهم[٨٢].

لماذا نكتب؟ لكى نمتع الناس.. أنا بالقلم والكلمة أمتع قدراً من الناس، والسينما وصلتني لإمتاع قدر أكبر وجعلتني أُسعد عدداً أكثر، فأنا أفرح عندما أشاهد إنساناً بسيطاً حافياً سعيد أمامى، الناس يقومون بخدمة، بعمل تربوي، هذا العمل التربوى لا يخلو من أغراض تجارية، والسينما تجارة وصناعة[٨٣] وما دام الفنان قد اختار أدبياً ما فيجب عليه الإلتزام الأدبي قدر الإمكان.. هذا هو المفروض، لكننا لا نستطيع أن نتحكم في الفنانين أو نجعل من ذلك قانوناً يجب احترامه[٨٤].

سيناريست

عندما عرض عليّ كتابة عمل كبير للسينما كان لابد من إدراك قواعده وتقنياته والظروف المحيطة به كجنس فني مغاير لما اعتدت كتابته من قبل[٨٥] السينما دخلت حياتي من الخارج لم أكن أعرف عنها شيئاً، نعم كنت أحب أشوف سينما لكن كيف يعد الفيلم لا أعرف لا أدري أن هناك كاتب سيناريو أو غيره، عرفني صديقي المرحوم الدكتور فؤاد نواره بالمخرج صلاح أبو سيف وطلب مني أن أشاركهما في كتابة سيناريو فيلم للسينما وكان صلاح أبو سيف هو صاحب فكرة الفيلم (عنتر وعبلة ١٩٤٥) وقد شجعني للعمل معه أنه قرأ لي «عبث الأقدار» وأوهمنى أن كتابة السيناريو لا تختلف عما أكتبه عندما سألنى عن ما هية السيناريو الذى لم أكن أعرفه، والحقيقة إنني تعلمت كتابة السيناريو على يد صلاح أبو سيف.. كان يشرح لى في كل مرحلة من مراحل كتابته ما هو المطلوب منى بالضبط وبعد أن أنفذه أعرضه للمناقشة التى كان يشاركنا فيها الدكتور فؤاد نواره ومعه عبد العزيز سلام[٨٦].

لقد أحببت التجربة الجديدة، وقبلت خوضها ضرباً من التحدى، ورغبة فى التعلم والإفادة، فوجدت أننى أستطيع الإسهام بقسط فى تشييد المعمار الذى نعمل من خلاله وبه، أو بتعبير صلاح أبو سيف أنه – أى أنا – يقيم الأسمنت المسلح لعمارة السيناريو.. فالعمل هنا عمل جماعي، وليس فردياً بالمرة أى يتشارك فيه الجميع بما فيهم الممثلون، بحيث يتكاملون ويتناغمون، ولعلك تذكر كلمة «جان جينه» المهمة «على المخرج أن يتعامل مع الخادمات بوصفهن هيكلاً لنص درامي».

ولا يعيب السينارست أبداً أن يصغي لملاحظات المخرج، أو أن تتفق رؤيتهما حول العمل، فهما لا يعملان فى جزر منفصله أو معزولة بل هناك حوار دائم بينهما ما فتئت أسبابه. نتصل وتترابط يوماً أثر يوم. أضف إلى ذلك أن هناك أواصر قريبة فكرية متينة نشأت بيننا منذ وقت مبكر، واكتشافها كل منا فى الآخر بسبب ميولنا الاشتراكية الواضحة، وإنحيازنا إلى صف الطبقات الفقيره والمضطهدة، وهذا موجود بجلاء فى آثارنا الفنية (أفلامه وكتاباتى الأدبية).

وقد استفدت حقيقة - من عملي في مجال السيناريو أيما إفادة فوعيت ما للإنجاز والتكثيف والإقتصاد في القول من مردود حيوي على العمل الفني. الفائدة إذن متبادلة بين الأدب والسيناريو. أما على صعيد الحرفه، فالسيناريو خير موجه للأديب، حسب نوع الرواية التى يكتبها أو يعالج موضوعها، بما يتيحه من خبرة لطبيعة القماشة التى يتحرك فى إطارها الفنان[٨٧].

قلت لك أنا غير متتبع للسينما فى مصر (منذ سنوات)، لكن ما أسمعه من أصحابي يؤكد أنه فى السنوات الأخيرة صارت الأفلام الجيدة نادرة جداً، والهابطة اشتد هبوطها لدرجة فظيعة، هذا راجع فيما يبدو للتغييرات التى حدثت في المجتمع المصرى نتيجة للحالة الاقتصادية التى رفعت ناس وخفضت ناس، لذلك تجد ناس كثيرين من الذين صعدوا مادياً ليس عندهم البطانة الثقافية التى تساوى تحصيلهم المادى، وهم زبائن السينما والمسرح، حيث يقدم لهم ما يناسب حالتهم.

(الجمهور عايز كده) هذه مقولة مهمة جداً.. دعك ممن يقولونها وما يقصدونه منها، إنما أنا أتكلم عن المقولة فى ذاتها، الجمهور عايز كده، معناها أن ما الذى يحبه الجمهور ويتطلع إليه.

(ولكن هذه المقولة) أستغلت إستغلالاً خطأ لتغطى خطايا وأخطاء ناس، ومن يقدم الردئ بحجة الجمهور عايز كده يعنى إنه عايز حاجات دنيئة.

أرى أن الرقابة يجب أن تدرس موضوعها جيداً بتوسع وحرية وتتخذ قراراتها برشد ولا تتنازل عنها بعد ذلك، فهذا يجب أن يناسب الأسرة التى ليس لها ذنب أن ترى الفيلم الذى جاءها فى البيت عن طريق التلفزيون، فهى غير مسئولة، إنما فى السينما أنت المسئول لأنك ذهبت إليها بقدميك[٨٨].

أغلى أمانىّ فى الحياة

وأصدقك القول أننى وجدت كذلك فى هذا العمل (السيناريو) فائدة مادية تفوق أضعافاً مضاعفة ما حصلت عليه من عملى الأدبى. الأمر الذى عوضنى كثيراً عن فقر الأدب، وجنبنى العديد من العثرات التى كان بمقدورها أن تعوق مسيرتى فى الحياة[٨٩]، ووجدت فى هذا العمل عزاء نفسياً عن موت رغبتى فى الكتابة الروائية، وهناك صلة كبيرة بين العملين، فكلاهما إبداع وصنعة مثل معالجة الشخصيات وعمل الحبكة والحوار وغيرها.

بعد قيام الثورة وجدت أن الرغبة فى الكتابةعندى ماتت[٩٠]، هذا إحساس طبيعى مثلما تأكل وتنسد نفسك.. وأنت لاتعرف لماذا.. إنها مسالة تحتاج لطبيب.. فالواقع أن نفسى إنسدت تماماً عن الإنتاج الأدبى أو حتى عن القراءة الأدبية[٩١]، وتصورت أننى قد أنهيت مهمتى كأديب فاتجهت إلى السينما وسجلت نفسى فى نقابة المهن التمثيلية ككاتب سيناريو[٩٢]، وطالت مدة هذا الصمت لأكثر من خمس سنوات، وفى هذه السنوات إنشغلت فى كتابة السيناريو بدلاً من كتابة الرواية، وكتبت سيناريو «عنتر وعبلة»، و«المنتقم» و«لك يوم يا ظالم»«ريا وسكينة» أحسن ما كتبت لها (السينما) «لك يوم يا ظالم » «ريا وسكينة» «فتوات الحسينية»[٩٣] (كانت) أغلى أمانى فى الحياة ان تتاح لى فرصة الإستقرار والتفرغ للعمل الأدبى، ولكن (كنت) لا أريد مع ذلك أن يأتى شهر أضطر فيه إلى اقتراض النقود، لذلك فأنا الآن (وقتها) موظف وكاتب سينمائى ثم أديب بعد ذلك. أى أن الأدب هو مهنتى الثالثة، ولو ضمنت لى الدولة مائة جنية فى الشهر لكان هذا تقديراً أفضل من جائزة الدولة، ولقدمت لها كل إنتاجى الأدبى لنشره وإعداده للمسرح والسينما دون مقابل، وأعتقد أنها لن تكون الخاسرة[٩٤].

كنت موظفا ..
مديرا لمكتب يحيي حقي

عندما تولي فتحي رضوان وزارة الإرشاد القومي واختار يحيي حقي مديرا لمصلحة الفنون، نصحه بأن يستعين بإثنين يرضي عنهما تماماً، يعينانه علي أداء مهامه، ولم يكن يعرفني، ولكن يحي حقي إقترح عليه إسمي وإسم علي احمد باكثير لكي نعمل معه، فلما عرض علينا الأمر رحبنا طبعا وكنت وقتها في وزارة الأوقاف فانتدبت للعمل معه أنا وباكثير.. وبعد فترة إختارني مديراً لمكتبه وأوكل إلي علي أحمد باكثير مسئولية القسم الخاص بالمسرح (المتجول)،

وظللنا نعمل معه حتى أعفي الأستاذ فتحي رضوان من منصبه، ثم تسألني عن مشروعي الفكرى والثقافي الذي إغتنمت فرصة وجودي مع يحيي حقي لتنفيذه وتجسيده فأقول لك بكل صراحة: كان مشروعاً كبيراً ولكننا كنا نشكله ونكونه كجماعة لا كأفراد بيد أن العقبة الكأداء التي حالت بيننا وبين إنجازه علي نحو مرض كانت الميزانية الهزيلة المخصصة للوزارة، فمشروعاتنا التي طالما حلمنا طويلاً بها ورمينا من ورائها إلي إشاعة الموسيقي وإنشاء الكونسرفتوار وتشييد معاهد للمسرح والسينما والباليه وسواها من الفنون الراقية التي تسهم في بناء الإنسان الجديد الذي نأمل وجوده في مجتمعنا المنشود.. كانت ميزانيتها تتجاوز المليون، وما إن نرسلها إلي مجلس الوزراء للحصول علي موافقته وصرف المبلغ المرجو حتى نفاجأ باختصارها إلي ٦٠ ألف جنيه فقط لاغير ينفق منها علي جوائز السينما ٤٠ ألف جنيه ويذهب الباقي ٢٠ ألف جنيه إلي النقابات الفنية كإعانة لا تمكنها من الوفاء باحتياجاتها الملحة وتنتهي بذلك الميزانية ويتعثر المشروع الطموح ثم نبدأ في المحاولة السابقة من جديد مع بداية كل عام فلا نحصل إلا علي ٦٠ألف جنيه فقط، وهكذا دواليك، لذا لم نستطع تحقيق كل ما كنا نتطلع إليه ونصبو من آمال وأحلام[٩٥].

مديراً للرقابة

ثم جاء ثروت عكاشه وزيراً للإرشاد القومي وكنت أعرفه قبل الثورة عن طريق بعض الأصدقاء والأقارب، كنت أرسل إليه بكتبي وكان يرسل إلي بمترجماته دون أن نلتقي، عندما جاء إلي الوزارة فرح جداً بوجودي معه في الوزارة وعندما شعر بأنني موظف تغلب عليه التعاسة صمم علي أن يعطيني ما أستحق في نظره فأصدر قراراً بتعييني مديراً للرقابة ثم رئيساً لمؤسسة دعم السينما وهذا منذ عام ١٩٦٨ حتى قبل إحالتي إلي المعاش بعامين حيث عينت مستشارا خاصا له[٩٦] عندما كنت موظفاً في الرقابة لم تكن لدينا سلطة بالنسبة للقيمة الفنية، فالقيمة الفنية لا شأن لنا بها، هذه مسألة بين من يقدم الفن وبين من يتلقاه من النقاد والجمهور، كانت مسئوليتنا محددة في منع الأعمال التي تتعارض مع السياسة العليا للدولة أو الأخلاق أو التسامح الديني، أما إذا كان علي الرقيب الآن مسئولية التقييم الفني فهنا يصبح الأمر شاقاً، فتقييم الفن مسألة يختلف فيها عن كل شيء فيما عدا الكتب والصحف التي كانت تخضع وقتها لرقابة النشر وأقصد بكل شيء مختلف الفنون مثل المسرح والسينما والأغنية والدوريات التي تصدر عن السينما، وكنت أطبق القانون الذي أشهد أنه كان يتسم بكثير من المرونة فهو يحظر عرض الأعمال التي تثير الفتن الدينية أو التي تتعارض مع سياسة الدولة العليا، وكنت أطلب من زملائي أن يكونوا خدماً للفن وليس بوليساً عليه

وأطلب منهم أن يرشدوا الفنانين بدلاً من أن يحصل الفيلم أو المسرحية علي إستهجان عام ويؤدي ذلك إلي خسارة المنتج، والحقيقة إننا لم نحذف إلا أشياء قليلة جداً وكنا نناقش كاتبها فنقنعه أو يقنعنا لدرجة إنني عندما تركت وظيفتي في الرقابة جائتني عدة رسائل شكر من الفنانين والمنتجين علي الفترة التي أمضيتها رقيباً[97].

خلاصة تجربتي في الوظيفة

الدواء الذى أقترحه هو أن (تصل) مرتبات (الموظفين) إلى حد الأمان الكامل [1] نجيب محفوظ

تنتهي صفحتي مع الوظيفة الحكومية باستمارة معاش عن ٦٠ عاما في هذه الدنيا، صدقني أن إحساسي بالمعاش الترحيب والتفاؤل والسعادة وقد يبدو غريباً فالموظف المحال ع المعاش تعتريه كآبة من نوع خاص لكني أحس أن المعاش إستمرار لحياتي العملية بعد أن أتمتع بميزتين أولاهما الحرية وثانيهما التوحد للفن. أنا متلهف علي التحلل من ذلك النظام الرهيب القاسي الذي فرضته علي نفسي وأنا موظف بل أصارحك إنني لا أرتاح لفكرة مد الخدمة(٢) الآن أصبحت حراً لست موظفا أنت تعرف إنني إعتذرت عن قبول وظيفة أخري بعد إحالتي للمعاش(٣) عرض علي د/ عبد القادر حاتم وزير الثقافة والإعلام أن يجدد لي فاعتذرت، كما عرض علي أن أكون رئيساً لتحرير مجلة روز اليوسف أيام السادات فاعتذرت أيضا(٤) من غير المعقول أن أخرج من عمل إداري لأدخل في عمل إداري آخر، الموظف لا يتيسر له الإنطلاق بعيداً كالسفر ومعرفة العالم، والحقيقة إنني لم أسافر إلا مرتين وتنفيذاً للتعليمات: مرة إلي يوغسلافيا في شأن يخص وزارة الثقافة ومرة إلي اليمن ضمن وفد الأدباء المصريين أثناء الحرب، وعلي أي حال فأنا لا أحب السفر، والحب ليس له تفسير.

ومن السلبيات التي تترتب علي الإرتباط بالوظيفة أنها تقيد الحرية إلي حد ما، ولكن هذه السلبية أتاحت لي قدراً من الإستقرار مكنني من القراءة والكتابة، أما الإيجابيات فهي كثيرة فلقد أتاحت لي الوظيفة التعرف علي أنماط بشرية لا حصر لها، هذه أنماط شكلت إلي حد ما عالمي البشري، والوظيفة شيء والأدب شيء آخر، والوظيفة في الماضي كانت مأوي الفساد، فنماذج مثل محجوب عبد الدايم بطل القاهرة الجديدة ورضوان السيد في الثلاثية هي النماذج الشائعة، كانت أياماً شبيهة بأيام المماليك حيث الجهاز الإداري الفاسد، علي أي حال، فأنا لم أندم علي السنوات الطويلة التي أمضيتها موظفاً، فالكتب وحدها ليست مصدر الوعي وكذلك فإن الحياة السياسية المصرية ليست وحدها مصدر الوعي ولا الجامعة أو الصحافة فقط وإنما الوظيفة مجموعة من العلاقات والقيم والدلالات.

والله الوظيفة كانت في حياتي ضرورة، إنت عارف إن الأدب في ذاته فقير وكلما تفتحت الأبواب أمام الأدب كان الغلاء يزيد فوجدت أن الوظيفة برغم قيودها تعطيني من الحرية مالا يعطيه أي عمل آخر، وأحب أن أذكرك مثلاً بكثيرين من زملاءنا الصحفيين وما يتعرضون له من حرج عندما وجدوا أنفسهم بعد تأميم الصحافة موظفين لا قادة فكر، ووضعي هذا مكنني أن أري وبشيء من الوضوح جميع الأنظمة التي تتابعت علي مصر دون تأثر بأي ضغط خارجي[٥].

أحلم بعمل يرجع إلي بواعث العمل وليس بواعث النظام فالأديب مثلاً نظام من ذاته وليس من اللوائح العامة وبصفة عامة فالفن يعطي عطاءه في الشباب والرجولة، حقيقة يتفاوت الأمر بين فن وفن.. ولعلك تعرف أن أسرع الفنانين في العطاء: الموسيقي والفنان التشكيلي ثم الشاعر ويتدرج الأمر حتى نصل للروائي فالرواية زمنها بين الخامسة والأربعين حتى الخامسة والخمسين.. وبعد الستين.. العطاء نادر وتوليستوي وجوته إستمر إنتاجهم الجيد حتى سن متأخرة ولكن ثق أن الفنان يعطي خير ما عنده بين الخمسين والستين.

فأنا طيلة سبعة وثلاثين عاماً وستة أشهر.. أدخل مكتبي في الثامنة إلا ثلاث دقائق.. وأغادر الوزارة في الثانية ودقيقتين، كنت موظفاً كما ينبغي للموظف أن يكون وإن كنت لم أعشق الوظيفة مطلقاً، وتمنيت لو كان لي دخل ثابت. لكن الوظيفة كانت بالنسبة لي ضرورة رزق أقول لها أغفر لك ما التهمت من شبابي ووقتي، كنت أتمنى أن أهبها للفن وحده(غفرت لك) بسبب ما وفرت لي من الرزق والإستقرار ووهبتني من حياة غنية في إتصالي بالموظفين وأبطال رواياتي

خلاصة الأمر: أضعها أمامك في عدة نقط محددة :

- الموظف المصري من أقدم موظفي العالم، لأن الحكومة المصرية من أقدم الحكومات.. الروتين والبطء جاءا من الزراعة.. وعموماً فالموظف المصري مجتهد ويؤدى خدمات ولكن عيبه الأساسى شعوره بأنه أعلى من الناس.. هذا الإستعلاء يعطيه إحساساً بالإمتياز بعد أن يئس من إنصافه،ولأن الحكومة لم تنصفه فكان عليه أن يعوض خسائره بنفسه وعلى حساب الشعب.
- إنى أتابع باهتمام إصلاح الإدارة رغم أنى لن أطبقها على نفسي ولكن أعتقد مخلصا أن إصلاح الموظف هو من أكبر الخدمات التي يمكن أن نخدم بها شعبنا[٦].

الفرج بعد الشدة[٧]

الدواء الذي أقترحه هو أن (تصل) مرتبات العاملين فى الحكومة والقطاع العام إلى حد الأمان الكامل بحيث يعود إليهم الإستقرار المادي والنفسي ويطمئنون حيال تحديات الحياة على أنفسهم وأسرهم، ولا يشغل بالهم غول الغلاء وإحتمالات المستقبل المجهول. ولعل المسئولين يتمنون ذلك ولكنهم يتساءلون طبعاً من أين يجيئون بالمال الكافي، وإذا خصصوه لهذا الغرض فماذا يتبقى للتنمية؟ ! وبخاصة وهو إنفاق بلا عائد ولا تعويض؟! والمشكلة أن هؤلاء الموظفين هـم القائمون على العمل فى جميع الأنشطة الإنتاجية الهامة وجميع الخدمات، واختلالهـم الادارى والنفسي الناتج عن عجز رواتبهم ينعكس بعنف على الإنتاج والخدمات، بل قد أضفى على حياتنا بصفة عامة طابعاً مؤسفاً من الإهمال والتسيب واللامبالاة وربما أسهم فى خلق إنحرافات خطيرة كالتطرف، فضلاً عن أنه فى ذاته ظلم لا يقبله عقل أو قلب.

ولا أظن أن الإقرار لهم بحقهم كاملاً مجرد خسارة مادية بلا مقابل، بل لعل نتائجها أهم مما يتصور الكثيرون. وإني أسوق بعضها على سبيل المثال:



أولا : – أنه يعيد الإستقرار المادي والنفسي إلى عدد من المواطنين لا يستهان به، قد يبلغون – إذا أضفنا إليهم من يعولون – خمسة وعشرين مليوناً من الأنفس. وتحقيق السعادة لهذا الكم من المصريين إنجاز عظيم، وما الهدف الأخير من أي تنمية إلا إسعاد المواطنين ورفع مستواهم الروحي والمادي.

ثانياً: – بعودة التوازن إلى الموظفين يمكن أن يتفرغوا لواجبهم في الحكومة والقطاع العام وأن يقبلوا على عملهم برغبة جديدة وهمة مضاعفة، وأن يتعاملوا مع الشعب بأسلوب جديـد يتسم بالاحترام والتعاون، والنتيجة المتوقعة لذلك زيـادة في الإنتاج قد تعوض ما أخذوه، والتخفيف من معاناة الناس فى قضاء مصالحهم.

ثالثاً: – تستعيد الدولة هيمنتها على رجالها. وتطالب بحقها كاملاً نظير الحق الذي أعطته لرجالها كاملاً، فتتحسن الإدارة ويعلو صوت القانون وتستقر هيبة الدولة.

رابعاً: – سيكون لذلك كله عواقبه الحميدة في الإرتفاع بمستوى الأخلاق والإنتماء الوطني والثقافة والصحة ومقاومة النزعات المتطرفة.

(أثق جيداً فى أن كل حركة نشاط فى هذا الشعب، لو رصدناها فهي ترجع إلى أسلوب حكومي مبسط وموظف كفء خدوم.

تصور: عمري ما زوغت ولا أخذت أجازه عارضه بدون وجه حق، ولا استأذنت قبل موعـد الخروج الرسمي.. ولكن الوظيفة أفادتني بصداقات عميقة.. ما كنت لأكسبها لو لم أكن موظفاً.. إنى أغفر للوظيفة ما التهمت من شبابي ووقتي بسبب ما أعطتني من صداقات(٨).

أصدقائي

«ويذكر أحدهما الآخر بقول العزيز الراحل. ويتنهدان ويتخيلان أين وكيف ما حلالهما التخيـــل هل حقاً عاش أولئك جميعاً، وتبادلوا المودة والأمل»(١) **نجيب محفوظ**

الصداقة الحقيقة هي نوع من التجانس والتقارب الروحي.. الإنسان يشعر بحاجته إلى توثيق علاقاته مع الآخرين، والحياة لايمكن أن تمضى دون هذا التوثيق.. وخذ رأى رجل – في الستين من عمره – الصداقة من أكثر السعادات التي يحظى بها الإنسان من الحياة.. هي نوع من الحب النقي بل أكثر نقاء من الحب المألوف وأكثر دواما.. إن لى أصدقاء عرفتهم قبل أن أدخل المدرسة الأولية أغلبهم من حى العباسية..

خذ عندك عبد الحي الألفى كان وكيل المحاسبات وعبد المنعم الشويح وهو من رجال التعليم «ومحمد الشيخ «وهو من رجال الأوقاف ومصطفى كاظم وهو من التجار.. هؤلاء «جيل القدامى» من الأصدقاء، ويأتي «جيل الوسط» في الأصدقاء وهم الحرافيش الأمجاد وقوامهم فنانون وأدباء ثم يأتي الجيل الحديث فى صداقاتي.. فناني قهوة ريش، إنى أجمع بين ثلاثة أجيال في الصداقة(٢) لاشيء يعادل ساعات النقاش الملتهبة وسط الأصدقاء في شرفة مقهى على ضفاف النيل أو على شاطىء البحر(٣).

الحقيقة أنا لا أحب أزور ولا أزار ولا حتى أعرف البيوت منين.. حتى أصحابي اتعودنا نتقابـــل بره.. بعيد عن البيوت، أصل كان عددهم كبير حوالي ٢٤ واحد يعملوا فريق كوره.. حتـى أصحاب العباسية كنا نتقابل على القهوة.. الحرافيش يوم الخميس نتقابل أنا وعادل كامل وتوفيق صالح.. فى عربية ونتمشى زمان، كنا نقعد فى جنينة المرحوم محمد عفيفـي(٤).

على المقهى

قعدت على المقهى وأنا صغير لكي أسمع حكايات الشاعر لأن أول فن من فنون القصة تسلل لنا جاء من شاعر الربابة على المقهى.. دخلت المقهى وأنا صغير حتى أسمع حكاياته.. بعد ذلك نحن والأصحاب نريد أن نلتقي معاً، فلا يوجد مكان يجمعنا مثل القهوة، فلا نستطيع أن نذهب ونحن أكثر من ٢٠ صاحباً إلى بيت أحدنا.. فميزة المقهى أن كل أصدقائك تراهم في جلسة واحدة.. الزيارات لو أحببت إنجازها لن تتم فى أقل من ستة أشهر، وكنا مرتبطين بعضنا ببعض، مدرسة واحدة، منازل متقاربة.. فكانت القهوة ملتقى لنا، هي مثل النادي الآن[٥].

ليس عندنا صالونات أدبية بالمعنى المفهوم.. المقهى تجمعك بكل أنماط البشر[٦] هي المكان الذي كنت ألتقي فيه بأصدقائي الخصوصيين، بعد ذلك مكان إلتقاء المثقفين والأدباء بعد أن إشتغلت بالأدب، هي أيضا المكان الذي قد أجلس فيه وحدي لأقابل من يمرون في الشارع أمامي[٧].

القهوة لعبت دوراً في الأدب والسياسة، أغلب مظاهرات سنه ١٩١٩ كانت تدبر في المقاهي. وأنا لا أحب بالمناسبة - مقاهي وسط المدينة. إنى أحب قهوة الفيشاوي في الحسين، وعرابي في العباسية، وسفنكس - مؤخراً - لهدوئها الشديد[٨] (وكانت) ندوة «كازينو أوبرا» ملتقى الأدباء من جيلين، ومع كل فترة زمنية يسطع فيها نجم جديد، وروح وزمالة عميقـة تربطنا جميعا بأوثق العرى.. وفى الندوة نناقش أعمالهم، المطبوع منها وغير المطبوع، وتدور أحاديث لا نهاية لها حول فننا الجميل وأسراره، وكما يفيد الجدد من تجارب جيلنا السابق كذلك جيلنا يفيد من نظرتهم الجديدة إلى الحياة والأدب، ولذلك فأنا مدين لهم بقدر ما يدينون.

ولما كانت المناقشة أساس نظرياتنا المتفقه والمختلفة فأستطيع أن أجزم بأن ندوتنـا - ستنقى - الحياة الأدبية من حدة الخلاف الذي ينشب بطريقة طبيعية وصحية بين الأجيـال[٩].



زواجـي

«قال الشيخ عبد ربه التائه : قد تغيب الحبيبة عن الوجود، أما الحب فلا يغيب»[1]
نجيب محفوظ

فى الصباح – الآن – بعد إحالتى إلى المعاش أستيقظ مبكراً ثم أتمشى حوالى ساعة كل يـوم (لم أتعلم قيادة السيارة) ليست هناك فرصة، وعندما أرادت إبنتي أن تتعلم ذهبت معهـا وتعلمت ثم نسيت ربما لأننى أفضل المشي[2] –من منزلي بالعجوزة إلى قهوة ريش –.

أشرب فنجان قهوة سادة وأقرأ الصحف ثم أرجع مرة أخرى إلى البيت حوالى الساعة العاشرة، وأكتب من العاشرة إلى الواحدة ظهراً[3] «بعدها أتغذى وأنام عندما أستيقظ أقرأ فى النصف الثاني من النهار، حتى يأتي وقت التليفزيون فأتفرج عليه (أختار فيلماً أجنبياً لأننى لا أسمع جيدا، أقرأ الترجمة المكتوبة) أتخذ هذا وسيلة مسلية للسهر لأن نومي قليل. لولا هذا لنمت فى العاشرة مساءً واستيقظت فى منتصف الليل.. وهذا متعب.. الآن لدى الوقـت للنوم ولا أستطيعه، عندما كنت طالبا كنت أتشهى ساعة نوم كنت أقول لنفسي: متى أتوظف وأشبع نوما»[4]

وفى بعض الأحيان إذا نفسي إنفتحت إلى الكتابة لا أخرج، وأجلس إلى المكتب فوراً[5] .

المرأة مفتاح التطور الفنى والأبى

في اعتقادي أن المرأة مثل الرجل لها كافة الحقوق والواجبات، لكن الإعتماد على الحقـوق والواجبات لا يؤدى دائماً إلى السعادة، بل قد يؤدى إلى المتاعب. ولاشك أن تواجدها الفعلي في ظل البيت والأولاد والأسرة يشكل للمرأة وظيفة لا تقل عن ولايتها للوزارة.

إننى أعطى لها حريتها في التعليم والعمل، ولكنني أريد أن أزيل عن عينيها غشاوة أن تواجدها ووظيفتها في البيت تمثل إنحطاطاً لدورها. لقد قدمت المرأة العصرية في رواية «المرايا» و«باقي من الزمن ساعة»، وكـون شخصياتي اللامعة أخذت هذا الطابع (المرأة الضحية) الذي تتحدث عنه فهو يرجع إلى أنها كانت تعبر عن عهد قديم تتجلى عبقريته فى سيادة المرأة في البيت، ولكل عهد نماذجه ومجاله، بمعنى أدق فإن السيدة الممتازة في ذلك العهد كانت ست البيت ولم تكن الوزيرة أو النائبة[6].

عالمنا كله «رجالي» ولا يمكن لنا أن نتصوره غير ذلك. الواقع يفرض نفسه وهو الميزان العام. مجتمعنا حتى هذه اللحظة رجالي. المجموعة الشمسية تدور حول الشمس ولا تدور حول القمر، مهما كان القمر جميلاً، المرأة مازالت تجاهد كي تصل إلى المشاركة، يصعب عليّ أن أكتب عن عالم المرأة فيه رجل، ولكني أعتقد أن دور المرأة الثانوي هو في الواقع دور جوهري، فى الثلاثية مثلاً أحمد عبد الجواد، وزوجته أمينة فى النهاية هـى التى صارت تخرج من المنزل وتنقل له أخبار الدنيا. وهى التى كانت تحمل مسئولية الأسرة لا هو، تسعون فى المائة من الناس الذين يعيشون حياتين يفعلون مثل أحمد عبد الجواد لأن تقاليدنا لاتسمح إلا بحياة واحدة لأنه فى زمن يفرض عليه أن يكون فـى بيته ممثلا للتقاليد والمثالية الخلقية كي يصمد هذا البيت، ولكنه فى الخارج يعيش كما يريد «على كيفه» لو جاء إلى البيت سكران لخربت العائلة (كذلك) ليست لدينا الحرية التى تجعل الشاب يقول لأبيه: سآتى مع صديقتي إلى البيت. هذا ممكن فى فرنسا أو فى أي مكان آخر. أن تكون الحياة واحدة عندنا هذا غير ممكن وتقاليدنـا صارمة[٧].

ملهمي الأول فى شخصية السيد أحمد عبد الجواد. بالإضافة إلى والدي وأخي، هو فـى الحقيقة شيخ معمم من جيراننا كان صورة من الملاحة فى الشكل والضخامة والطول والعرض والقسوة فى الأمر والنهى فى بيته، وكانت زوجته تشكو لأمي معاملة زوجها، وهو الذي زود وجداني ببذرة «السيد عبد الجواد»[٨].

لاشك أن المرأه هي ضحية لمرحلة الإنتقال فى أي مجتمع ولن يتغير هذا إلا بعد أن يصبح عمـل المر أه ظاهرة عامة لاتلفت النظر (ولذلك أصبح) كل تغير فى العلاقات الإنتاجيـة ينتج عنه بالضرورة تغير المفاهيم الأخلاقية فى المجتمع.

(إذن) المرأة هي مفتاح التطور الفني والأدبى بالذات، فعلاقتها بالرجل عنصر جوهري فى كل عمل فنى، ولذلك فان الزاوية التى تؤخذ منها المرأة فى العمل الأدبى تصبح مقياس الكشف عن موقف الكاتب من التطور، إذ ليس أسهل من إطلاق الجمل العقلية البلاغية فى هذا المجال، لكن نظرة واحدة منا للطريقة التى يحرك بها الكاتب بطله تجاه أخته أو حبيبته أو زوجته تكفى لكشف وجهه الفنى[٩].

وثمة عديد من الشعراء والكتاب تحددت مصائرهم الفنية على ضوء علاقاتهم الحميمـة بأمهاتهم أو أخواتهم أو زوجاتهم[١٠].

موقف أناني

منذ أن تزوجت «عطية الله» وهى نموذج جيد للزوجة الصالحة، فقد تحملتنى كثيراً وساعدتنى على تحقيق هدفي، فأنا صاحب مزاج خاص، ولقد فرض عليّ الأدب تطبيق نظام صارم في حياتى[١١] كان إنشغالي بالقراءة والكتابة يأخذ كل وقتي، لكن زوجتي تفهمت الوضع، ولولا ذلك لانفجرت هذه الحياة بطريقة أو بأخرى، وفى بعض الأحيان يمكن أن يكون هناك أخذ على الخاطر «لكن بشكل عام فإن زوجتي تفهمت طبيعة حياتى ككاتب وقبلت هذا»[١٢]، وقد تعايشت هي مع ذلك النظام وحرصت على توفير الجو الذي يمكنني من الكتابة، وحاولت بقدر طاقتها أن تبعدني عن كل ما يعطلني ويشغل فكرى[١٣].

كانت زوجتي خير معين لي على رحلتي مع الكتابة، إذ كانت تقوم بالواجبات الإجتماعية بدلاً منى، وبذلك تعفينى من الحرج، وتتيح لي أن أكتب فأنا عندما أكتب أقوم بذلك في وقت معين، وقد يحدث أن يجيء زوار من الأهل مثل أخي أو أختي وأنا أكتب، فكانت زوجتي تجلس معهم، حتى لا أنشغل عن الكتابة.

وزواجي من «عطية الله» حافظ على استقراري الذي كنت أعيشه في منزل والدتي إذ كانت تقوم بكل أعباء المنزل مثلما كانت تفعل والدتي، فلم أحس بتغيير في حالة البيت، وحتى بعد إنجابها «أم كلثوم» و«فاطمة» ظلت تعمل في صمت لراحتي ولا يعنى هذا أننى تركت لنفسي عنان الإنشغال بالكتابة عن أسرتي، إذ كنت أخصص دائماً أوقاتاً لنجلس معاً - زوجتي وأنا - لنستمع إلى كوكب الشرق أم كلثوم أو نشاهد عروضاً سينمائية أو مسرحية أو التليفزيون، وكثيرا ما نتنزه في الحدائق العامة وظللنا هكذا بعد مولد الابنتين، ولم يوقفني عن ذلك سوى تقدم العمر وعجزي حالياً عن مشاهدة السينما أو سماع التليفزيون والراديو، واليوم تمضى الحياة بنا بحلوها ومرها، فالحياة أزهار وأشواك[١٤].

وإن كان لأحد فضل في المكانة التي وصلت إليها بعد الله - سبحانه وتعالى - فهي زوجتي «عطية الله» التي كانت بالفعل عطية من الله سبحانه وتعالى إليّ[١٥].

أنا أعتقد أن المرأة لها حق التعليم والعمل وهذا موقفي الفكري، أما من الناحية الشخصية والأنانية فأنا يسعدني أن تكون زوجتي ربة بيت، لأننى أعود دائماً إلى البيت باعتباره شيئاً مهماً جداً في حياتى، وعندما أعود إليه وأشم رائحة الورد وأجد طعامي مجهزا بشكل طيب، هذه الأمور رغم بساطتها مؤثره للغاية وهامة جداً في الحياة.

ولقد طلبت منها ومن البنتين أن يتصوروا معي ولكنهم رفضوا قالت لي: إبنتي وهى تقول ذلك دائماً - أنت مؤلف ولك حياتك، ونحن لسنا مؤلفين، فلماذا أظهر في جريدة؟

إن إبنتاى أم كلثوم وفاطمة تعملان وعندما تعودان إلى البيت بعد العمل أشعر وكأنهما ورد دبلان، «مثلا مرة قلت لإحداهما هناك مقالة مكتوبة تهاجمني ولا أستطيع قراءتها بسبب مرض عيني، وأريد أن تقرئيها لي. قالت: بابا انت كويس وعظيم ولا تهتم بهؤلاء!»

لا أحد على وجه الإطلاق يقرؤنى قبل النشر، بل منى إلى المطبعة مباشرة، لا الزوجة ولا إبنتاي ولا أصدقائي، ولا أحب أن أطلع أحداً على ما أكتبه قبل النشر[١٦] إلا أن هذا لا يعنى أننى غير مدين لزوجتي وإبنتاي، فزوجتي تحملتنى كثيراً وإليها قبل غيرها يعود فضل ما وصلت إليه من مكانة، إذ وفرت لى الجو المناسب للإبداع[١٧].

جائزة نوبل..

«فالجائزة ليست إلا شهادة أولى أما الإختبار النهائي فيتقرر بين الكاتب وجمهور القراء المثقفين في العالم»[١]

نجيب محفوظ

الجوائز لها أثر بدون شك. وانظر إلىّ في بدايات حياتي، لقد عشت سنوات وأنا مغمور. كان القراء مثل أصابع اليد الواحدة وقد حصلت على بعض الجوائز عن كتب لم تنشر، كنت محظوظاً. إن الأدب من أكثر الفنون التي تتأثر بالجوائز - أليس هناك أناس تؤلف وتطبع على حساب نفسها؟ إن هؤلاء الناس في أمس الحاجة إلى مثل هذه الجوائز خصوصا بعد أن تم رفع قيمتها، إن مثل هذه الجوائز يمكن أن تؤدى إلى نهضة ثقافية شاملة في مصر[٢].

نجيب محفوظ

دور الأدب في الحياة يتوقف على الأديب نفسه، فلكل أديب رؤية خاصة تحاول أن تستخلص من الدراما الإنسانية معنى... وهذا المعنى يدور حول محوري الخير والشر.. وأنا كأديب أعرض هذه الرؤية - بما فيها من إستحسان لقيم واستهجان لقيم أخرى - على الناس وأحاول أن أجعلهم يشاركون فيها.

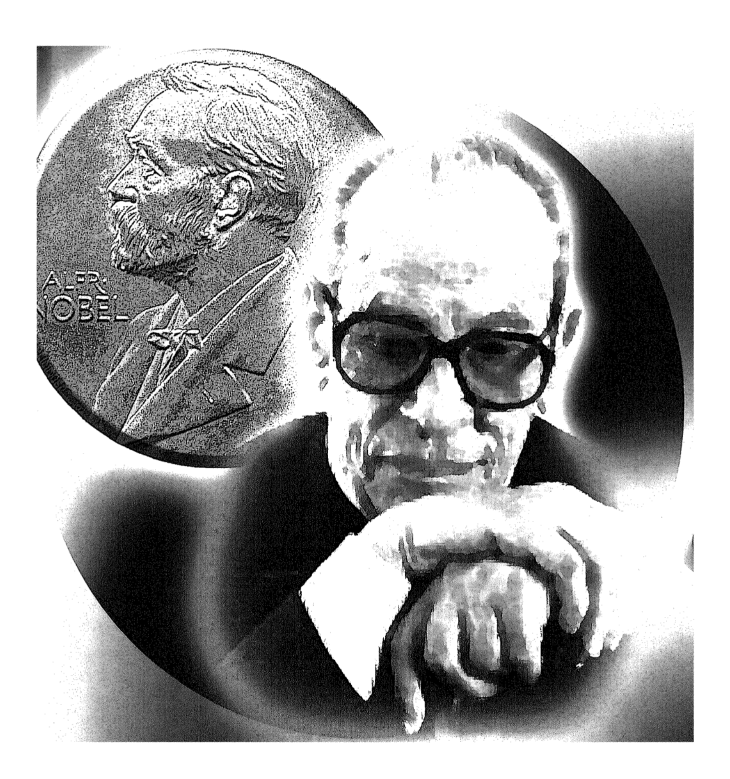
إذن للأديب في نظري صفة مباشرة، وهى أنه فن جميل.. وصفة أخرى غير مباشرة هى محاولة خلق ضمير جديد في نفس القارىء.

فأنا لا أجلس لأؤلف رواية تدعو للحرية أو أخرى تنادى بالعدالة الإجتماعية لأنى لست فيلسوفاً كسارتر مثلاً الذي كتب رواياته ومسرحياته كتطبيقات على الأفكار التي تدعو إليها فلسفته، كل ما أستطيع أن أقوله أن هناك قيماً معينة ترسبت في وجدانى وأحببتها طول حياتي، ولذلك فلابد أن تدافع أعمالي عنها.. أهم هذه القيم هى العدالة الإجتماعية تحت أي إسم، فهي قيمة لا يمكن أن تنفصل عن ضميري.. وهناك قيم أخرى تلح عليّ كالحرية والحقيقة والعلم.. فلا أتصور أن هناك رواية من رواياتي تخلو من الدعوة إليها أو على الأقل لا تدعو إلى عكسها[٣].

إننى أنشد في أعمالي عموماً حرية الإنسان مع العدل، مع العلم، هذه هى العوامل الثلاثة وهى أقطاب مريحة للغاية.. تسأل لماذا؟ لأنهم يشكلون جسراً متوافقاً بين الحضارة الحديثة وبين التراث العربي الإسلامى، وهكذا نشأوا معي، وتأكدوا على أرفع مستوى. من قال إننى لم أكتب في الأدب الإسلامى؟! أصل كلمة أدب إسلامى لها معنى: إنك تكتب عن شيء إسلامي مباشر مثل عبقريات العقاد أو كتابات مصطفى محمود أو روايات جورجى زيدان أو تكتب أدبا يخلق رؤيا وآداباً وتقاليد إسلامية وبالتالي أعكس ثقافة إسلامية، يعنى لا تستطيع أن تسمى أدبي إلا أدباً إسلاميا وإلا فيما إذن تسمى القيم التي أتحدث عنها، إن أدبي متأثر بالثقافة الإسلامية وبالقيم الإسلامية.

أعتقد أننى عبرت - وهذا إجتهاد عن الحرية وتحرر الإنسان من كل ما يعوقه.. وأبطال رواياتي يدعون للحرية بأفعالهم ومواقفهم، «ثرثرة فوق النيل» إحتجاج على العزلة، وكذلك نجد تعبيراً عن قيمة العدالة الإجتماعية، ثم قيمة العلم.. لقد تجسدت العدالة الإجتماعية مثلاً في «اللص والكلاب» والمعرفة والعلم في «أولاد حارتنا» و«الثلاثية».

قيم الحرية والعدالة الإجتماعية والعلم لا تتناقض مع الحضارة الغربية وفى الوقت نفسه لا تجعلني أتملص من تراثي، «الحرية إسلامية» والعدالة الإجتماعية كذلك، والتضامن الإسلامى، والعلم، كل ذلك في الإسلام أليس كذلك؟ وقد تكون في الحضارة الغربية قيم أخرى تتناقض مع ذلك، وهذه لم أعبر عنها ولم أوافق عليها، يكفى أننى إلتقيت معهم في أشياء، وقد يظنون أننى أخذت هذه القيم عنهم فقط إذا كانوا غير عارفين بالتراث الإسلامى[٤].


NOBEL

وقد ارتبطت أكبر خبرتي بالأحياء الشعبية وأناسها من أهل البلد وبفلسفتهم المبنية أساساً على الإيمان والتسليم بما يأتى به القدر، وحب الحياة من مطالبها القريبة.

عندما بدأت أكتب الرواية كنت شبيهاً بأخصائي إجتماعى يقوم بمسح شامل لبيئة معينة مهتم فيها بالفرد قدر إهتمامي بالجماعة، وتلك كانت مرحلة مهمة من مراحل حياتي الأدبية الضخمة مثل: الثلاثية (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية) وقبلها: خان الخليلى، زقاق المدق، بداية ونهاية، القاهرة ٣٠وغيرها..

أما الآن فقد أصبحت رواياتي وكتاباتي الأدبية، عبارة عن موقف أو مجموعة مواقف معينة وهذا تطور طبيعي في حياة أي أديب، وهو يحدث بدون أن يشعر به الأديب ولكن يشعر به فقط الناقد المدقق والقارىء المتابع وأنا - كمثال - لا أستطيع الآن أن أمسك القلم لأظل أكتب كما كنت أفعل في الماضي لم أعد أستطيع فعل ذلك الآن.. صحتي لا تتحمل ذلك، وأحياناً تطرأ على ذهني فكرة جميلة جداً، ولكنني أحس بالتعب أو الألم، وعلى الفور أشعر أن الفكرة سخيفة ومملة وهنا يتولد لدى شعور بالراحة - أن تخلصت من الفكرة - الأفكار الروائية عندي الآن مثل الأعباء الثقيلة أتخلص منها بأن القيها في نهر النيل، لا يهمنى الآن الجلوس فترة من الزمن من أجل تحليل شخص من حيث مظهره ونفسيته مثلما حدث لأى شخصية فى رواياتي، الرؤية الآن مختلفة، كتاباتي الآن تتخذ إتجاه المواقف، روايات إنسان أمام مصير معين ليس مهما فيها التحليل(٥).

وطني ومجتمعي هما البيئة التي أحيا فيها وأرتبط بها، وأمارس كافة القيم الإنسانية. والأدب في نظري إنفعال محلى، ولا يمكن إلا أن يكون محليا. مع هذه البيئة ألتقي وأستجيب غاية ما في الأمر أنه عندما يوهب العمل عمقاً وشمولاً وارتفاعاً، فإنما يبلغ المستوى الذي يقال له الإنسانى أو العالمي(٦).

حادثة عارضـــة

إنى أعتبر كل كاتب فيه صفات الجودة الأدبية كاتباً عالمياً حتى لو لم يكن معروفاً خارج وطنه.

فالعالمية هي صفة الجودة الأدبية، وهى ليست صفة تكتسب بالجوائز، فهناك من الأدباء في الدول المتقدمة ذات السلطة الثقافية من قد تترجم أعمالهم إلى عشرين لغة دون أن يحصل أحد منهم على أية جوائز، وحين يحصل عليها غيرهم، فإن مكانتهم لا تهتز على الإطلاق(٧).

أبداً.. لا علاقة بين العالمية وبين الجائزة، لا توجد علاقة حتمية، من يحصل على جائزة نوبل فلأن اللجنة التى منحته الجائزة تعتبره (عالمياً) لكن هناك عشرات من الأدباء العالميين لم يحصلوا عليها، فعالية الأدب بكل بساطة أن الذي يقرأ ويقدر خارج حدود لغته سواء أخذ جائزة أم لا[8] تأثير جائزة نوبل على الفائز وسعادته بها قد تكون عارمة لكنها رهن بوقت فوزه بها، والكاتب بعد ذلك يعتمد فقط على قدراته الأدبية وعلى موهبته الفنية، فلم يحدث أن خلقت نوبل كاتباً، وإنما الجائزة تأتى إعترافاً بقيمة الكاتب، وفى بعض الأحيان يكون الكاتب عظيماً لكنه لا يفوز بالجائزة، وأذكر أنني حين قابلت الكاتب المسرحي الأمريكى الكبير «أرثر ميللر»وسألته عن جائزة نوبل قال ببساطة: إن نوبل هي حادثة عارضة في حياة الكاتب، وهى قد تعرض وقد لا تعرض.

الأمزجة الأدبية تتغير بسرعة، وما قد يكون عليه إقبال قد لا يجد الإقبال نفسه في فترة أخرى، وكم من كاتب عظيم لم يلق حظه في أثناء حياته لأن الناس كانت تميل إلى نوع آخر من الأدب، ثم حين تغيرت الأمزجة أعيد اكتشافه بعد وفاته، لذلك فالجوائز الكبرى تعلو فوق هذه الإعتبارات الآنية، وتختار الكاتب الأفضل بعيدا عن الأمزجة التى قد تكون سائدة في وقت من الأوقات[9].

منذ سنوات قيل لي اننى مرشح، هكذا قالوا، وأذكر أنني حينما سألت توفيق الحكيم - رحمه الله - عن حقيقة ترشيحي التى تنشر في الصحف حيئنذ، فقال: هل طلبت سفارتنا منك بيانات للجنة نوبل؟ قلت لا، قال: إذن أنت غير مرشح[10].

سـؤال

الجائزة لم يذهب عقلي - بمنتهى الصراحة - نحوها أبداً، ولقد جلست قبلها بأسبوع واحد نتسائل أنا مع مجموعة من الأصدقاء من الذي سيأخذها من الكتاب العرب إذا رشحوا عربياً لها ولم أكن من بين هؤلاء[11] الحقيقة أنها كانت مفاجأة، برغم أنني رشحت كثيراً لها ولكني كنت أعتبر ذلك نوعا من التشجيع والتكريم، لقد فوجئت تماماً عندما أعلنت الجائزة[12].

صباح يوم الخميس ١٣ أكتوبر سنة ١٩٨٨ وصلت إلى مكتبى في جريدة الأهرام، بدأ زملائي يتوافدون على مكتبي، جرى الحديث وقال أحد الزملاء: اليوم ننتظر إعلان جائزة نوبل في الأدب، ورد زميل آخر: أرى أن القائمين على أمر هذه الجائزة مازالوا يتجاهلون أدباء العالم الثالث. فقلت له: أعتقد أن حركة الترجمة تتحمل جزءاً

كبيراً من المسئولية، فكيف يصل إنتاجنا إلى هؤلاء وهو محبوس داخل لغة لا يفهمونها، وبعدها انفضت الجلسة، وذهبت إلى البيت وتناولت غذائي، وذهبت إلى النوم، جاءت زوجتى على غير عادتها توقظني في لهفة وهى تقول: انهض يانجيب الأهرام إتصلوا بك يقولون إنك حصلت على نوبل، كانت دهشتى بالغة أولاً لأننى لم أكن أعرف أننى مرشح، وثانياً لأنه لم تفاتحنى أية جهة أدبية سواء في مصر أو في خارج مصر، في أمر هذا الترشيح[١٣].

جائزة نوبل لم تكن متوقعة، وقد ظللت أقول لزوجتى التى أخبرتنى بنبأها أن تكف عن المزاح[١٤] وفجأة رن جرس الهاتف وكان المتحدث هو محمد باشا مدير تحرير الأهرام الذي بادرنى بالتهنئة: مبروك عليك الجائزة، جلست ما بين مصدق ومكذب. فهل فزت حقاً بجائزة نوبل؟ وقبل أن ألتقط أنفاسي رن جرس الباب[١٥].

فتح باب المنزل ودخل عليّ خواجة ضخم وزوجته فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا سفيرالسويد. عندئذ أدركت أنها حقيقة[١٦] جاءوا ليقدموا لي هدية عبارة عن قدح فاخر من البللور السويدي[١٧] وعندما أفقت من الدهشة كانت سعادتي بالغة، لأن جائزة نوبل تعنى بالنسبة لي وبالنسبة لوطنى، وبالنسبة لوطنى الأكبر: الوطن العربي.. أنه قد فتح لنا جميعاً باب لم يكن أحد يعترف به لنا حتى الآن[١٨].

شعرت بأنني محظوظ وأن في فوزي بالجائزة جزءاً من الحظ لا شك فيه، لأنه سبقنى أدباء تربيت في مدارسهم، وآخر عظيم منهم هو شيخ الكتاب توفيق الحكيم، وعدم فوزه يتطلب إيضاحات كثيرة لا أملكها[١٩] أضيف إلى مشاعر الدهشة والفرح الأسى على من سبقونا إلى الدار الآخرة، وكانوا أحق منى مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم حين جاءوني بالخبر تذكرت - والله العظيم - «توفيق الحكيم» ثم دمعت عيناى.. هي حظوظ أن ينزل عملاق مثل الحكيم ثم يجيء من بعده من لا يتوقع أن يحصل على الجائزة ليحصل عليها بالفعل[٢٠].

أصل الناس تحب تتكلم وتحب الوقيعة، وفيه واحد أحب إنه يقول إنه كان من الممكن أن أحصل على جائزة نوبل حتى لو كان توفيق الحكيم على قيد الحياة، والحقيقة أننى لا أتصور أن هذه الحادثة كان يمكن أن تحدث، ولو حدثت وكان بإمكانى أن أترك البلد لتركتها[٢١] للعلاقة الشخصية والعلاقة العامة ولرأيي وتقديري، هل آخذ جائزة وكأنني قد سرقتها؟ كان الوضع سيكون سيئاً جداً.. لوحدث ذلك لهربت من البلد بالفعل، ولا أعتقد أن ذلك كان يمكن أن يتم؟ فهم قد أعطوني الجائزة لأنهم بدأوا ينظرون للعرب وكان لابد أن ينظروا إلى ملكهم[٢٢] لأننى أقدر توفيق الحكيم وأحبه، ولا أحب الظلم، وأعتقد لو أننا كنا سوياً على قيد الحياة وحصلت على نوبل[٢٣] ماذا كنت أتصور موقفى أنا وليس موقفه هو، هو يعلم به الله، أما أنا فكانت حالتى ستكون سيئة على[٢٤] ولأعتبرت نفسي مرتكباً لجريمة ظلم كبيرة ولو عن غير قصد[٢٥].

يحدث هذا في الوقت الذي كان هناك إحساس عام بأن كثيراً من الذين حصلوا على جائزة نوبل دون توفيق الحكيم منزلة، كما كان هناك قبل توفيق الحكيم كتاب مصريون كبار كان سبب حظهم السيىء أن أمامهم عمالقة أيام عصر الكبار في أوربا.. لم أجد أنا مثل هذه العوائق أمامي بدليل أنى أخذتها، وهذا أكبر دليل[٢٦] ولكن عموماً ما دام أنا حصلت على الجائزة فإن جميع أساتذتي حصلوا عليها، وجميع من جاء بعدى أمامه الأصل ليحصل عليها، أليس ذلك صحيحاً ؟[٢٧] وعصرنا هذا ليس فيه من العمالقة الكبار الذين كنا نقرأ لهم وأنا شخصياً قرأت الكثير من الأدب المترجم في الفترة التى انقطعنا فيها عن الأدب العالمي فترة الإنغلاق الثقافي والإنفتاح الإستهلاكي، فوجدته أدباً جيدا وليس فيه شيء باهر فوق العادة..

جيد وحسب، فلم أجد «بروست» أو «توماس مان». فهذا يعتبر من حسن حظي ولا بد أن العوائق الأخرى التى لا يمكن أن أثبتها والتى رددها الناس كانت قد زالت فعلا، إذن كان لابد أن أكون محظوظاً، وأن يكون في نيلي للجائزة شيء من الحظ. وأنا عندما أقول إننى محظوظ فلا أقول إننى عديم القيمة، ولكن كان يوجد من لديه هذه القيمة وأكبر، ولكن لم يكن عندهم مثل حظى[٢٨].

وكان لزاماً علّ أن أسافر إلى أستوكهولم، لتسلم الجائزة، لكن لا بد أن أعتذر بسبب صحتي ومشاكل السمع عندى كانت قد زادات للحد الذي يمنعني من متابعة المناقشات التى تدور حولي، فأشارت علّ زوجتي بأن تسافر فاطمة وأم كلثوم لتسلم الجائزة.

ففي يوم ١٠ ديسمبر ١٩٨٨ سلم الملك السويدي الجائزة والنيشان لإبنتاى فاطمة وأم كلثوم نيابة عنى، وبإعلان حصولي على جائزة نوبل منحنى الرئيس حسنى مبارك قلادة النيل وهى أرفع الأوسمه المصرية[٢٩].

(في البداية) رفضت بناتي السفر بدوني وكان تعليقهن: المهم صاحب الجائزة، ويكفينا إحتفال وتكريم مصر والمصريين لنا، أما إحتفال العالم فسيكون بمصر كلها[٣٠].

(طه حسين قال) عن أدبي بأنه سيكون له شأن كبير في المستقبل أما العقاد فقد كان أول من تنبأ لي بالفوز بجائزة نوبل وتحقق ما تنبأ به العقاد بعد ذلك بسنوات مما يؤكد صدق نظرته، إلا أن الغريب أن يكون هذا هو رأى هذين الكاتبين الكبيرين اللذين يمثلان قطبي الثقافة المصرية في التنبؤ لي بهذا الشيء الجميل، وعندما يتحقق هذا الشيء رأيت من البعض ما لم أكن أتوقعه خاصة أننى لم أفعل ما يؤذى أحداً أو يسيء إليه[٣١].

نجيب محظوظ!

ولا أستطيع أن أتحدث عن محطات الفرح في حياتي دون أن أتوقف عند نوبل فقد كانت فرحتها كبيرة حقا وربما أكثر من أي فرحة أخرى وذلك لأنها كانت فرحة مزدوجة فقد جاءت تتويجاً لحياتي الأدبية على المستوى الشخصي واعترافاً بالأدب العربي على المستوى الوطني، فأنا لا أعتبر نوبل جائزة شخصية فقط فقد منحت الجائزة للغة العربية وتاريخها الأدبى العريق وذلك لأول مرة منذ إنشاء الجائزة في بداية القرن الـ ٢٠ لذلك كانت فرحتها بالنسبة لي فرحتين(٣٢).

لقد قدمتنى نوبل للعالم الأدبى، وهكذا أعطت فرصة لكاتب مجهول أن يصبح معلوماً بعض الشيء.. ومازلت أذكر جملة صحيحة قالها لي الناقد الكبير الدكتور لويس عوض وقت منحى الجائزة وهى أن المهم ليس الفوز بنوبل وإنما كيف سيستقبل الفائز من القراء والنقاد في العالم.. ووقتها أصبت بخيبة أمل وقلت له: أأحصل على أكبر جائزة ثم يتضح أن لا أهمية لها في حد ذاتها؟

أما فى حالة إعتراف الجائزة بمن هم معروفون للعالم من الكتاب فإن رد فعل الناس يكون موجوداً من قبل منحهم الجائزة، فبرنارد شو مثلاً كانت له مكانته قبل أن تفكر في منحه جائزتها، وكذلك كان الحال مع أنتول فرانس وأرنست همنجواى(٣٣).

قد يكون ما أكتبه يحظى بإعجاب الناس وتقديرهم، ولكني أرى أنه كان يمكن أن يكون أفضل من ذلك، فأنا شديد النقد لكل ما أكتبه لقد كنت أكتب دون التفكير في أن ما أكتبه سينشر أولاً، ولم أكن أفكر في هدف مادي ولا إجتماعي وإنما أنا أكتب كحاجة الجائع إلى الطعام، وكحاجة الظمآن إلى الماء، كان يحدث لي بعدها إحساس بالنشوة والسعادة، ذلك هو الأصل الذي يدفعني للكتابة، أما ما يجيء بعد ذلك من مكاسب مادية أو إجتماعية أو شهرة وأضواء، فكل ذلك لم يكن في بالى وأنا أكتب، ولكنه كان يأتي.. مما يؤكد أن بالتعب والإجتهاد قد يأتي بثمر من حيث لا ينتظر الإنسان(٣٤).

أنا أومن بالعمل وبنتيجة العمل، ولكن الحظوظ موجودة (٣٥)

إسمع..

ذات يوم كتبت قصة لم أكن راض عنها لكن «الأهرام» إحتفى بها جداً كالعادة ونشرها بطريقة فخمة.. وتعجبت وزارنى صديق سوداني وقال: أنت مش نجيب محفوظ أنت نجيب محظوظ[٣٦] حياتي بدأت بإهمال طويل وانتهت باهتمام كبير، ضاع معظم وقت جيلنا في تحطيم الحواجز.. وهذا الجيل إصراره سيجعله يتساوى مع شباب العالم المتحضر[٣٧].

أقول لهم إن الأزمة التى نمر بها سبق أن مررنا بأشد منها.. ولكننا عشنا وانتصرنا.. فلا أدعوهم إلا إلى التفاؤل والأمل وإلى إستمرار العمل الإيجابي بإيمان وثقة[٣٨].

أردت أن أكون أديباً فاجتهدت ودرست وتمرنت وألفت وقدمت أحسن ما عندى على قدر ما أستطيع، لقد كانت سعادتي بأول جنيه حصلت عليه من قصة نشرتها في مجلة «الثقافة» يفوق سعادتي بحصولي بعد ذلك على «جائزة الدولة التقديرية» بل إننى إعتذرت عما يساوى قيمة ثلاث شهور مرتبي في وزارة الأوقاف مقابل أن أكتب القصة القصيرة في صحيفة أخبار اليوم، فما دام مرتبي يكفيني فالقناعة كنز لايفنى[٣٩].

لقد جاءت الجائزة لي وأنا في آخر حياتي. ففي شبابنا وفى الوقت الذي كنا نحتاج فيه للتشجيع استمده من الله ومن جوائزنا الوطنية، وعندما جاءت جائزة نوبل لم يعد هناك مستقبل ولكن هناك - فقط - ماضي[٤٠] لقد رفضها «برنارد شو» بطريقته الساخرة وقال أنها جاءته في الوقت الذي لا يحتاج إليها فيه، كما رفضها سارتر لسبب آخر وهو أنها أعطيت قبله لمن هو أقل قيمة منه[٤١].

الحقيقة كل الذين أخذوا نوبل أخذوها وهم كبار في السن وبعدها انتخبوا الأعمال الضخمة التي إستحقوا عليها الجائزة، ولذلك لم ينتخبوا بعدها ما يفوق إنتاجهم قبلها. حتى «ألبير كامى» الذي حصل على «نوبل «وهو في الأربعينات لم يمهله القدر فمات بعدها بقليل في حادث سيارة، وهناك أدباء أعظم من الجائزة ولم ينالوها، أولهم «تولستوى» وهو أعظم أدباء العصر، ولكن كل جائزة لها شروطها، ومن أهم شروط نوبل أنها تدعو للسلام فقد إعتبرت اللجنة تولستوى يحبذ الحرب في روايته الخالدة «الحرب والسلام» أيضاً «نيكوس كازنتزاكس» كان مرشحاً للجائزة ولم ينالها بفارق صوت واحد يبدو وأنه لم يقرأ له شيئا وقال: هل يأتي من اليونان أديب يستحق نوبل[٤٢].

إنها (لي) مناسبة في أي وقت كانت ستجيء فيه، والجائزة عندما تأتي يكون الوقت مناسبا حتى لو لم يكن مناسباً، وهو إن لم يكن مناسباً لي فهو مناسب لغيري[٤٣].

جاءتني جائزة كبيرة جداً من الناحية المادية، بالنسبة لمستواي، وتعتبر أيضا كبيرة بالنسبة لمستواي الأدبى، لكن تعال لإستثمار هذه الأشياء الكبيرة: أنا في سني هذه لن أرتد غير ما أرتديه، أو آكل غير ما سآكله، ولا حتى لي

رغبة في الحركة أو السفر أو تغيير المسكن، فليس لي مطلب من متاع الحياة، لأنني في الفترة التى أفكر فيها في الآخرة أكثر من الأولى.. أليس كذلك؟

ثم إنني لست من هواة الإحتفالات والمهرجانات والتكريم.. أنا الآن ياعزيزى لا مطمع لي ولا مأرب وأنا في سن الشيخوخة والمرض. أكتفي بالقيمة المعنوية أما القيمة المادية فأتركها لعائلتي، زوجتى تقول: إن حصولي على جائزة نوبل هو ببركة دعائها إذن فقد اطمأننت على أسرتي الخاصة.

كونها تكريماً لشخصي وتكريماً عاماً للأدب العربى.. فهذا المعنى سيظل باقياً، والإحساس بالفرحة سيظل باقياً، صاحب الجائزة الحقيقي هم أبسط الناس عاشرتهم وأحببتهم فألهمونى بشخصياته وموضوعاته فأنجزتها وأخذت أنا الجائزة.

أنا أخذت جائزة الدولة التقديرية ووضعتها في جيبى لأنها ملكى.. تخصني، وأخذت مدتها وفرحتها الكبرى ونسيت، أما نوبل فإن فرحتي بها تجاوزتني إلى الناس، لذلك ففرحتى بها لاتنتهى، لأن أي فرحة شخصية ثق أنها تنتهى، مثلاً: زواج بمن تحب، أول إنجاب، أشياء وتمر، لكن حينما تجد الناس حولك فرحانين يذكرونك بفرحتك فإن الفرحة لاتنتهى، ولذلك فإن خير الأفراح هي من تجاوزت صاحبها إلى الآخرين(٤٤).

متاعب ما بعد نوبل

في أعقاب إعلان الجائزة تلقيت مكالمة تليفونية خارجية من أخ عربي يسألني فيها عن شعوري بعد أن كرمني العالم ولم تكرمني أمتي، وقد عجبت لذلك أشد العجب، فمهما تكن البداية، وهى لا يمكن أن تخلو من صعوبات وعوائق - فقد تلقيت بعد ذلك من التكريم ما يرضى القلب، وينعش الهمة، ويعين على مواجهة الشدائد، منحت جميع الجوائز الأدبية، وجاء تكريم السيد رئيس الجمهورية تتويجاً لكل تكريم سابق(٤٥).

أما المتاعب التى جاءتني بعد ذلك ولخدمة نوبل فهي مالم أكن أتخيل أنها ستكون بهذه الشراسة، مقابلات صباح.. مساء.. وصحتي لا تساعدني على هذا المجهود، أما هذا الإتجاه الرافض للجائزة لأسباب سياسية أو دينية فهو منطقى مع نفسه.. فالإتجاه الديني المحافظ يرفض كل مظاهر الحضارة الحديثة، وكان الطبيعي أن يكون ضد الجائزة وهى رمز لهذه الحضارة التى يعنى مقابلتها بالفرحة تقوية الجذب ناحية الحضارة الحديثة. لذلك فإني أرى أن الحملة كانت تهدف الجائزة قبلى أنا.. وحكاية أولاد حارتنا جاءت في الطريق وان كانت هي المقصودة فأين كانوا منذ ثلاثين عاما؟

نور الكاتب

نوبل لم تكن لتمنعنى عن الإبداع وإن كان يمكن أن تمنعني عن العمل أو الكتابة، لكن الحمد لله لم يكن عندى ما أريد أن أقوله وبالتالي لم تشغلنى نوبل عن شيء[٤٦].

حتى هذه اللحظة التي أكلمك فيها (١٩٨٨) أعتقد أننى قلت كل ماكنت أريد قوله، وأعتقد أنه بالنسبة لكاتب يكتب منذ ستين عاماً، يجب أن يسكت إن لم يكن قد قال ما كان يريد قوله.. أم أنه يحتاج إلى عمر مضاعف[٤٧].

أنا لم أحدد موعداً للتوقف عن الكتابة.. والإنسان في نظري يكف عن الكتابة في حالتين: إما أن يكون صمته ممتداً، وهذا يعنى أن موهبته آن لها أن تستريح، أو أن ينفض جمهوره عنه لتغير الذوق.. وفى غير هاتين الحالتين لا يمكن للكاتب أن يكف عن الإبداع مادام عنده القدرة على إمساك القلم، وليس هناك عذر للفنان لان يكف عن فنه إلا إذا نضبت موهبته[٤٨].

الكتابة ليست وظيفة يحال بعدها الكاتب إلى المعاش، وهناك مقولة فرعونية قديمة وجدت في إحدى البرديات تقول «الكاتب هو الوحيد الذي لا يرأسه رئيس ولا يحال إلى الإيقاف، وكلما مر به الزمن إزداد نوراً» فالكاتب مشغول بالتأمل وعقله متحرك، ربما أكثر من حركة الواقع والزمن، ولكن يتوقف إفرازه من هذه الحركة على حالته الصحية[٤٩].

أبداً ليست الجائزة هي السبب لأننى قبلها بسنتين شعرت بنفس الأعراض التى مازلت أشكو منها حتى الآن. الرغبة في الكتابة موجودة، ولكني لا أجد الموضوع الذي يستفزني لكتابته. وأيضاً ليس بسبب ضعف بصري فقد حدثت لي نفس المشكلة وأنا في عنفوان الشباب وعمري ٤١ سنة بعدما إنتهيت من كتابة الثلاثية سنة ٥٢ توقفت تماماً عن الكتابة. حالة من الموت التام. وقلت إننى انتهيت ككاتب واشتغلت في مهنة أخرى هي كتابة سيناريوهات الأفلام وأيامها لم يصدق د. على الراعي كلامي وقال لابد أنها فترة كمون، وبالفعل بعد خمس سنوات كتبت «أولاد حارتنا».

هذه المرة الوضع مختلف عما حدث لي في الخمسينيات لأن بعد شهور - سأكمل ٨٠ عاماً - منها ستون كتابة «٣٤ رواية و١٤ مجموعة قصصية» بعد كل هذا أشعر أنى قلت كل ما عندى. في هذه السن أصبحت قدرتي: ساعة قراءة وساعة كتابة. القراءة تقتصر على العناوين الكبيرة، وإذا كانت هناك مقالة مهمة أقرؤها وهى مشكلة ليست سهلة، وأحياناً واحد من الأصدقاء يختار لي مقالة ويقرأها لي. أما عن الكتابة. وجهة نظر للأهرام تأخذ منى يوما، وباقي الأيام مناقشة بيني وبين نفسي أرجع لذكرياتي. أكتب عنها خواطر عامة أو شخصية أضعها في ملف.

ثم أعيد قراءتها بعد ستة شهور أجد أن بعض هذه الخواطر ممكن يطلع منها حاجة للتجربة أركنها على جنب. والباقي أتخلص منه لأن الإنسان لا يضمن عمره ولا أحب أن أترك شيئا لا أرضى عنه، الأخذ مستمر، من القعدات والأصدقاء ووسائل الإعلام المتاحة. ولكن الإبداع متعثر. كأني أطرح سؤالاً ولكن شخصاً آخر يجيب عليه. فأنا أبحث عن الشى الذي يرضيني وما هو الشكل والأسلوب الذي لو إهتديت إليه أقدر أكتب اليوم.

جميع الأساليب الفنية جربتها من الرواية التاريخية، والواقعية، والرمزية حتى العبث وتيار الوعي، ولا أستطيع ولا أحب أن أكرر نفسي، وكقاعدة عامة: كل موهبة لها عمر. عندما تتوقف يتحول صاحبها إلى متأمل أو مفكر.

وكأني أمام الكاتب المصري وقد تجسدت فيه حكم آلاف السنين يقول بنبرة كلها صدق:

الفنان مثل حادي القبيلة أيام زمان. ينظم إيقاع سير القافلة. تغير الزمن وجاء إيقاع جديد يناسب القافلة الجديدة. يبقى أنت أديت مهمتك في وقتك. ومع السلامة [٥٠].

أما إذا كان ربنا نفخ في صورته، وقالوا هاتوا لنا الحادي القديم، يبقى فضل كبير من عند ربنا[٥١].

لن أتوقف عن الكتابة، الكتابة كالحب أو القدرة عليه[٥٢].

الحقيقة أن حياتي كلها تستوجب الشكر من جميع نواحيها ولا أتمنى على الله إلا شيئا واحد وهو ألا يجعل عمري الطبيعي أطول من عمري الفني.. بل ينهيهما معا[٥٣].

سوف أموت حاسة وراء حاسة لكن ما أرجوه هو أن تكون حاسة الكتابة هي آخر حاسة تموت[٥٤] هذا الكلام يعنى تحديداً أن إبداعى يعيش في حياتي وأن حياتي بغير إبداع تفقد معناها ومغزاها فأنا أحب الحياة ما أمكن فيها الإبداع، وإن توقف هذا الإبداع تفقد الحياة أعز قيمتها وأغلاها، فتوقف الإبداع عندى هو الموت الحقيقي وما أقصده هو أن لا ينهى الله عمري الفني ثم يدعني أعيش بعد ذلك[٥٥].

إذا كانت السنوات - الأخيرة - قد شهدت ظهور أعمال روائية جديدة لأمثال: عبد الحكيم قاسم، ويحي الطاهر عبد الله، وجمال الغيطانى، والقعيد، وإسماعيل ولى الدين، والسيد الشوربجى، وعباس الأسوانى، وغالب هلسا.. غير الروايات التى ظهرت في الأقطار العربية.. (فهذا يعنى أننى لم أكن عقبة أمام الأجيال الجديدة كما يشاع).

إننى أعتبر فتحي غانم من أعظم الروائيين العرب المعاصرين وأنه من أكثرهم ظلماً، وهذا شيء غريب، وهو له عالمه الروائي المتكامل وهذا شيء نادر، وهو في مقدمة الروائيين حقيقة، وعظيم حقيقة، ولم ينل من حق النقد والإلتفات إليه شيئاً ولا أدرى سبباً لهذه اللعنة، يمكن لإشتغاله بالصحافة، كثيرون يعملون بالصحافة وينالون

حقهم، أو أنه عزيز النفس ويحافظ على كرامته.. لو كان ذلك سبباً لعدم نيله حقه فإنها تكون مصيبة وهو رجل تقدمي، والنقاد التقدميين عندنا بلا حدود، ولكن يبدو أن هناك سراً لا نستطيع تحديده إنما فتحي غانم أقول لك وأختم بالعشرة: من أعظم الروائيين العرب المعاصرين.

أضرب لك مثلا آخر بمحمود السعدنى.. كيف لا يلتفت إليه أحد كأديب ساخر عالمي يكفى أنه صاحب أعظم سيرة عربية ذاتية.

وخيري شلبي إنه فنان ضخم بكل معنى الكلمة، وإذا لم ينتبه النقد المعاصر إلى وضع فتحى غانم ومحمود السعدنى وخيرى شلبى، في القمة التى يستحقونها، يبقى للأسف النقد نائم، وتبقى مصيبة ستحسب عليه في جميع الأجيال القادمة.

ويا ليت لي إستعداد للنقد لهيأت نفسى له للتنويه بمثل هؤلاء الفنانين، ولكننا ننوه بالوسائل المتاحة كحديث مثل هذا الذي تجريه معي، أو حديث في إذاعة، في تلفزيون.. ما أملكه، ولكن ذلك ليس كافياً لأن عندنا قمم مخفية، هذا عيب كبير جداً[٥٦].

على الكاتب أن يستمر بصرف النظر عن النتيجة. لقد فعلوا هذا مع عبد الحليم حافظ، عندما طالبوه بالتوقف عن الغناء حتى يتيح الفرصة لغيره من المطربين، فماذا حدث بعد وفاته؟

بموت عبد الحليم، مات نوع من الغناء كان يمثله، وظهر فريق آخر لا يمت بصلة إلى عبد الحـليم أو بغيره من المطربين الذين كانوا يطالبون بإسكاته[٥٧] إن الأديب لا يتوقف عن الإنتاج إلا لظروف قهرية، فيما يتعلق بي شخصيا فإن الشعور الذي يعترينى هو الإمتنان للحياة التى عشتها[٥٨].

أكبر نصر

أكبر نصر هو جائزة نوبل. وقد كانت فرحة شديدة جداً واستمرت. إنما كنت أقول لقلبي أحيانا: إن عليه أن يتوقع شيئاً ما وعليه ألا يفرح بلا نهاية، لأن الدنيا فيها هذا وفيها ذاك فجاءت محاولة الإغتيال كما جاءت قبلها العملية الجراحية التى أجريتها في لندن.

أما الهزيمة فهي ليست هزيمة واحدة بل هزائم: ففى محاولة النشر وصعوبته كنت أشعر بمرارة شديدة لكنني كنت أزداد تصميماً.

أما أكبر هزيمة أو خسارة في حياتي فهي عجزي عن القراءة لأن القراءة كانت أكبر متعة في حياتي ثم لم أعد قادراً عليها الآن[٥٩].

دائماً أشعر بالخسارة الكبيرة التى ضاعت بسبب عدم القدرة على القراءة في ظل ظروفي هذه وحتى قبلها أدركت معنى أن يكون للإنسان أصدقاء، تلك مسألة في غاية الأهمية تتعدى حتى مجرد إحتياجي لهم[٦٠]، لذلك فأنا مدين لأصدقائى بكل ما يصل إلى من معرفة بالكتابات الجديدة، وبكل ما قد يكون هناك من عروض فنية أو سينمائية ذات بال، لقد صار أصدقائى هم عينى وأذنى، أما بالنسبة لمتابعة الأحداث الجارية فاني أعتمد على الحاج محمد صبرى[٦١]، وهو محرر فى القسم الأدبى بالأهرام، وهو أيضا سكرتير نادى القصة، ويأتى لي يومياً بشكل منتظم ماعدا يوم الجمعة - فى حوالي العاشرة صباحاً فيجلس معى لمدة ساعة تقريباً ليقرأ لى الجرائد، هذا إتفاق أخوة بينى وبينه يقرأ لى الأهرام ونلقى نظرة على الأخبار والوفد ونركز إهتمامنا على قراءة المواد الاخبارية حيث لايتسع الوقت لقراءة المقالات إلا نادراً[٦٢] وفى يوم أجازته عادة ما تقوم إحدى بناتى بهذه المهمة. لكن الحقيقة ليس هناك ما يساوى أن يطلع المرء بنفسه على الكتاب أو الجريدة أو أن يشاهد فيلماً سينمائياً أو يذهب الى معرض فنى، فعين كل إنسان ترى ما قد لايراه الآخرون، وكم من مرة يشيد لك شخص بعمل ما تطلع عليه فلا يعجبك، والعكس صحيح، لكن ماذا أفعل؟ المثل العام يقول:

نصف العمى ولا العمى كله[٦٣] وبعد ذلك إما أن يزورنى طبيب العلاج الطبيعى الذى يقوم بعلاج يدى اليمنى، أو أقوم بالتدريبات التى حددها لى والتي من ضمنها أن أعود يدي علي الكتابة لمدة نصف ساعة يومياً[٦٤] كتمرين، باعتبار أن الكتابة هى أحسن الأدوات لتحسين عضلات الأصابع ولو حتى مجرد أن أكتب صفحة واحدة لأن كتابة الصفحة الواحدة هي عناء بالنسبة لى، لا أكتب أشياء يمكن تذكرها لأننى لا أكتب أسماء أو أرقاماً أو

جملاً في كراسة، ولا يوجد بها شيء له معنى[٦٥] على أن أدرب يدي اليمنى يومياً على الكتابة لذلك فأنا أكتب القصة وبدلاً من أن أظل أكتب أى شيء آخر فأنا أعيد كتابة القصة عدة مرات قد تصل إلى العشرين إلى أن تجيئني فكرة قصة أخرى فأكتبها وتصبح هي موضوع تدريبي اليومي على الكتابة.. وهكذا.

ويحدث فى بعض الأحيان أن أغير كلمة هنا أو هناك وفى بعض الأحيان لا أغير حرفاً لكنى أظل أكتب القصة من اجل التدريب فقط لذلك فأنا لم أنشرها لأنى حين عدت إليها وجدتنى غير راض عنها أما ما أكتبه الآن فأنا واثق منه ولقد حققت تقدماً كبيراً منذ بدأت هذه التدريبات قبل سنوات حين وقع لى حادث الإعتداء (محاولة الإغتيال) فوقتها لم أكن أستطيع تحريك ذراعي اليمنى على الإطلاق، أما الآن - فاني أستطيع الكتابة بلا مشقة كبيرة، وإن كنت لا أستطيع أن أطيل جلسة الكتابة لأكثر من نصف الساعة فى كل مرة[٦٦].

حوادث

أنا معرض باستمرار لحوادث الطريق آخر مرة في الصيف (١٩٨٦) وأنا أسير فى شارع الجبلاية وإذا بعربة تندفع ناحيتى بسرعة جنونية وبطريقة لولبية الحمد لله انى تماسكت وجريت ناحية شجرة وقفت خلفها لاحتمى بها وما هى إلا ثوان وإذا بالعربة تصطدم بالشجرة ويتناثر زجاجها على جسمى وأنا أردد فى ذهول إيه ده! الحقيقة كل هذا حدث فى ثوان ولكنى رأيت الموت بعينى[٦٧].

أيضاً فى الستينات وبمناسبة عيد العلم كان عبد الناصر يوزع علينا الجوائز، وبعد إنتهاء الحفل ركبت السيارة وفى الطريق إنقلبت بى ولم أصب إلا بخدوش وإصابات بسيطة[٦٨].

عاشق النيل

ومازلت أذكر كيف كنت أتدلى من سور كوبري أبو العلا لأ تفرج على تدفق مياه النيل ووالدتي ممسكة بي حتى لا أسقط في الماء، وتربيت على عشق النيل منذ الصغر. فقد كانت والدتي حين تصحبني للفسحة تأخذنى إلى شاطئ النيل، تماماً كما كانت تأخذنى لمشاهدة الآثار القديمة، والمتاحف وأضرحة الأولياء.

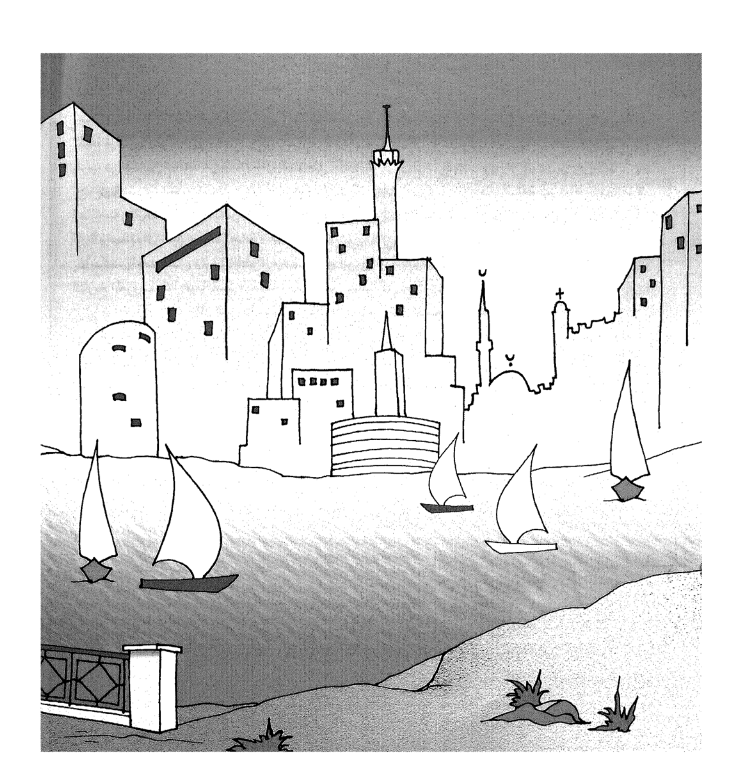
كانت والدتي مغرمة بالخضرة وبالمياه، وكانت نظرتها للنيل تماماً كنظرتها للآثار ـ بها مسحة من التقديس، ولقد بهرت بالنيل وبجماله منذ الصغر.

وفى مرحلة الصبا حين انتقلنا من حي الجمالية القديم إلى العباسية كنت أنا وأصدقائى الجدد نخرج في نزهات نيلية بالمراكب الشراعية في ساحل روض الفرج، وقد كان بإمكانك في ذلك الوقت أن تستأجر قارباً كبيراً يسع ما يقرب من عشرين شخصاً من ساعة الغروب وحتى الفجر بخمسين قرشا فقط.

فى السنوات التالية كنت قد انتقلت إلى مرحلة الدراسة الجامعية وكنت أثناء فترة الراحة بين محاضرات الفترة الصباحية وفترة بعد الظهر لا أعود إلى العباسية بل أمضى هذه الساعات مع أصدقائى في النيل بالجيزة.. كنا نستأجر قارباً ونجدف فى النيل وكان أصدقاء هذه الصحبة هم زملائي بالكلية الدكتور على أحمد عيسى أستاذ الإجتماع بالإسكندرية بعد ذلك، وتوفيق الطويل وعبد الهادي أبو ريدة وأديب متري وآخرهم الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ المعروف، كنا جميعاً بقسم الفلسفة وكان حسين بقسم التاريخ.

كان النيل بالنسبة لي في تلك الأيام هو مكان الفسحة ووسيلة الترويح (٦٩)

أنا أحب النيل إلى أقصى مدى، حتى إننى قبل بناء الكازينوهات التى على النيل كنت أحمل وسادة - جلدية لأضعها على الحشيش وأجلس عليها لأتأمل النيل دون أن أصاب بالرطوبة(٧٠)، وكنت أجلس أنظر إلى النيل ساعات متواصلة أنتظر ضوء القمر حتى منتصف الليل،حين يكون اليوم التالى أجازة لاعمل فيه، كنت أجلس حتى الفجر، ثم أذهب سيراً على القدمين إلى قهوة الفيشاوى بالحي القديم أفطر هناك وأدخن الشيشة، كنت افكر فى كل شى فى لحظات صفاء وتأمل، لكن معظم افكارى كانت تدور حول أعمالى الأدبية التى كنت استعد لإنجازاها، لقد كان النيل يلهمني الكثير إن النيل كان معشوقى فعلاً(٧١) إنى أكره العقار الملك، لكن المرة الوحيدة التي تعطشت فيها لأمتلك شيئا كانت فيلا تطل على النهر(٧٢).



ماذا يبقى؟

أعتقد أن أى كاتب قد يؤلف ثلاثين أو أربعين عملاً إبداعياً، ولكنه يتلخص فى عمل أو إثنين أو ثلاثة على أكثر تقدير، وبقية أعماله إما أن تكون تمهيداً لأعماله الكبيرة أو تنويعات على لحن سابق.

قطعت فى هذه الدنيا مرحلة طويلة من العمر، جربت فيها تجارب شتى من السرور والألم يضيق المقام عن حديثها[1].

نجيب محفوظ

لقد كانت سنوات حافلة بالمسرات لكنها لم تخل أيضاً من المآسى.. وذلك على المستويين الشخصى والوطنى معاً فقد عاصرت الحرب العالمية الأولى والتى -أسهمت بآثار - واضحة فى ثورة ١٩١٩، ثم فترة ما بين الحربين وذلك المجتمع الغريب الذى أفرزته إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية والتى تغيرت حياتنا بعدها بالكامل خاصة بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ثم جاءت حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ إلى عهد الإنفتاح ثم وقتنا الحالى، وقد تفاعلت مع كل من هذه الأحداث الكبرى التى صنعت تاريخنا فى القرن ال٢٠ وما كانت كتاباتى الروائية إلا إنعكاساً لهذا التفاعل الذى بدونه لا أتصو ر إننى كنت سأكتب شيئا فقد عشت حياة حافلة أشكر عليها الله الذى متعنى بحب الناس فهو ما يعيننى الآن العيش على الرغم من سنى المتقدمة كما منحنى الله الأصدقاء الذين لولاهم لكانت حياتى الآن خاوية بلا معنى[2] كانت الدنيا كلها تسعنى أسير من مقهى إلى حارة أستمد منها إبداعى، الآن لم يبق لى سوى الأحلام، فى بعض الأحيان لا تأتى على الأطلاق فأنا أصحو من النوم غير قادر على تذكر أى من الأحلام التى عشتها أثناء نومى وتلك ظاهرة تقلقنى بعض الشى رغم إننى أعرف أننى قد حلمت لكنى غير قادر على تذكر هذا الحلم وبالتالى أجدنى غير قادر على كتابة هذا الحلم كما أفعل الآن، اننى مازال لدى رصيد كبير من الاحلام التى كتبتها والتى لم تنشر بعد لكن ما يقلقنى هو الاحلام التى كانت مصدر إلهامى فى السنوات الأخيرة[3].

نعم تحقق لى ما أريد لنفسى فى حياتى الأدبية ولكن على طريقة ذلك الرجل الذى تزوج لينجب أولاد وكان يتصور أن هؤلاء الأولاد لن يكونوا أقل من زعماء كبار أو عباقرة أفذاذ وحينما تزوج وأنجب أولاداً سعد بهم وفرح رغم أن أحدهم أصبح كاتب فى الدرجة الثانية والثانى لم يتم تعليمه والثالث طبيباً فى الأرياف وهكذا.

ولكن هذه الحقيقة لا تقلل من حبه لهم وإحساسه بالسعادة بهم. نفس الشىء ينطبق على مؤلفاتى دون أية محاولة للتواضع أو للتقليل من شأن رواياتى بل بمنتهى الصدق والإخلاص ففى الشباب المبكر كنت أريد أن أصبح شيئاً لا يقل عن شكسبير فاذا قلت لى جوته أقول لك (ولماذا ليس شكسبير)[4].

الخلــود

أنا أنتمى إلى الجيل الثانى الذى يسمونه جيل العمالقة، وهم: طه حسين، توفيق الحكيم.. وهذا الجيل كان موسوعياً لأنه عاش فترة نهضة فعلية تبلور جزء مهم منها فى أعقاب ثورة ١٩١٩.. وقد شارك فى العمل السياسى ودعا إلى الإفادة بمنجزات الفكر الغربى والعودة إلى التراث.. من خلال رؤية جديدة ومغايرة.
كل واحد من الأسماء التى ذكرتها كتبت رواية أو اثنين إلا أن هذا الجيل لم يترك تراثاً روائياً ضخماً.

أما الموجة الثانية من هذا الجيل فبرز فيها: عبد الحميد السحار ونجيب محفوظ، ويوسف السباعى، وإحسان عبد القدوس.

وشكلت هذه الموجه جيلاً تخصص فى الرواية واراكم أعمالاً كثيرة، لذا كانت أولى مهماته تأسيس الرواية فى الأدب التى انتمى اليها الروائيون المذكورون.



كنا ننظر إلى أنفسنا كأننا نؤسس الفن الروائى فى العالم العربى ونخلق له كينونة مميزة والذى طال عمره حاول تطوير الرواية والمساهمة فى تعزيزها كنوع أادبى.

وكما كنت تفاعل جيلين فكنت أيضاً حصيلة ثقافية تبدأ بالتراث والقرآن والحديث وألف ليلة والسير الشعبية وتنتهى بالآثار الروائية والأدبية الغربية وإضافة إلى تجربتى الانسانية[٥].

كنت اؤمن بالخلود الذى تسأل عنه من قبل وكنت أفضل أن أعيش كاتباً خاملاً مجهولاً لو تحقق لى الخلود الأدبى بعد الموت أما الآن فانى أؤمن كل الايمان بالعكس تماماً.
الخلود الأدبى فى نظرى هو التفاعل بينى وبين قرائى المعاصرين الذين يهمهم ما أكتبه، الخلود فى الأدب حلم كما هو الحلم فى الحياة نفسها.. أما هدفى العملى فكان ولايزال هو الوصول إلى قرائى المعاصرين الذين يجمعنى وإياهم القضايا المشتركة التى أكتب فيها.

وانى مسلم فيما بينى وبين نفسى بأنه يحتمل جداً أن أصير لا شى فى الجيل التالى مباشرة وأن هذا أمر طبيعى وأن على الفنان ألا يطمع فى أكثر من ذلك فى هذا العالم الذى يتمخض كل ساعة عن جديد(٦).

نحن فى زمن العلم والتطور السريع، ما كانت تقطعه الإنسانية فى دهر ستقطعه فى يوم، كل ساعة ستخلق ذوقاً جديداً وتذوقاً جديداً، ستظهر مواهب لاحصر لها يعطى كل عطاءه ويذهب مشكوراً.

لقد أمكن حتى اليوم أن يطلع المثقف على التراث ولكن ماذا يصنع إذا نظر وراءه فوجد الآلاف بل الملايين من الفنانين والأعمال الفنية.

لن يبق له إلا أن يستوعب عصره وربما العصر المؤثر فيه مباشرة. وما الحاجة الى الرجوع الى وراء فى عصر يكشف كل ساعة عن جديد؟ لن يبق منا شىء وما ينبغى له. لن يبق منى فنياً شىء ولكن قد تبقى مصر لمن يحب مصر ولمن يحب أن يراجع بعض صفحاتها القديمة. ربما لهذا السبب وحده تبقى - أو تقترب من البقاء - الثلاثية أو زقاق المدق لا كأعمال فنية ولكن كوجه من وجوه مصر(٧).

مديــون

إحساسى أننى أديت عملى على أكمل وجه وأننى وفقت فيه وأننى مهدت الطريق لغيرى من المبدعين إضافة إلى إحساسى بالرضا عما حصلت عليه وعما قدمته فى ميدان الأدب الذى أحبه وأخلص له(٨) وإحساسى أيضاً.

عندما أكتب أتذكر لا إرادياً من علمونى فى الكتب أو فى المدارس ولذلك حين أفكر فى الخدمات التى قدمها لى من كونونى ثقافياً أشعر أننى مديون بأكثر من ديون مصر. لذلك عندما أقدم رواية لى للطبع أسأل نفسى عمالى فيها؟ هل اللغة؟ ان اللغة موجودة من أيام الجاهلية.

هل هو الفكر؟ إن الدنيا مليئة بالأفكار.

هل هى المذاهب؟ لقد أنشأها ناس دفعوا ثمنها غالياً.

هل هو الفن؟ إنه موجود فى كل مكان.

إذن ما الذى أكون قد فعلته لأستحق أن يوضع إسمى على رواية لى (٩)

أرذل العمر

قال الشيخ عبد ربه التائه:

* ما روعنى شيء كما روعنى منظر الحياة وهى تراقص الموت على ذاك الإيقاع المؤثر الذى لا نسمعه إلا مرة واحدة فى العمر كله

* أناس شغلتهم الحياة وآخرون شغلهم الموت أما أنا فقد استقر موضعى فى الوسط

نجيب محفوظ

أصداء السيرة الذاتية

* لو كنت أعلم علم اليقين

بأننى سأمارس الكتابة فى العالم الآخر

وأنجز ما لم أستطع إنجازه من أعمال، على الأقل سأرتاح نفسياً[1]

نجيب محفوظ

الحقيقة

أقول بمنتهى الصراحة والأمانة أننى إعتمدت فى مسيرة حياتى على عناصر أعتقد أنها ضرورية لكل انسان:

أولها الانتماء.. وهى كلمة بسيطة لكنها تعنى الكثير، تعنى الإنتماء للأسرة والوطن وتتسع للإنسانية وهذا يجعل الإنسان ينظر للحياة نظرة جديدة وأنه مطالب بأعمال كالتى تطلب من رب الأسرة نحو أسرته وأولاده.

العنصر الآخر هـو الايمان بالعمل بحيث لا أتوه بنفسى بين مصطلحات غامضة كالعبقرية والموهبة والإلهام لأن الشيء الذى أنا أحسه وواثق فيه هو العمل وإلى أى شى يؤدى وأن يكون ذلك بإصرار وقوة أستمدها من الإنتماء. عنصر ثالث: هو حب العمل بدرجة أكبر من حب ثمرته لأن الإنسان لو بحث عن الثمرة فهناك أكثر من وسيلة وأسلوب يؤدى إليها وقد تضيع قيمتها، أما حب العمل أكثر من الثمرة والإصرار عليه ويجعل منطلقه

للأشياء أساسه الحب فهذا على الأقل ينقى نفسه من إنفعالات كثيرة تجعله ثائراً فى عمله وحكمه وحكمته، لكن الحب يفتح الأبواب لتقدير ظروف الناس: أصدقاء وأعداء[٢].

تحررت

أنا لا أشكو ولا أتذمر لكنك تعلم أن الاعتداء الذى وقع علىّ فى أكتوبر ١٩٩٤ قد أفقدنى إمكانية إستخدام ذراعى اليمنى لأن الطعنة جاءت فى الجانب الأيمن من عنقى، والكاتب لابد ان يشعر بالعجز إذا أصيب ذراعه الأيمن. ولقد زاد من ذلك مع التدهور الذى أعيشه منذ سنين فى البصر والسمع فزاد إحساسى بالعجز[٣].

هذا هو حال الدنيا تجعلك تستغنى عن متعك واحدة فواحدة حتى لا يبقى شيء، عندها تعلم أنه قد حان وقت الرحيل[٤].

يزعجنى الموت ولا تزعجنى فكرة الموت - تخلصت وتحررت منها بالكتابة عنها فى قصص قصيرة.

أستشهد دائماً ببيت من الشعر أحفظه عن ظهر قلب: ما مضى فات والمؤمل غيباً ولك الساعة التى أنت فيها، فلسفتى فى هذا أنى أحذر نفسى من الإغراق فى الجدية أو الهموم.. أنا لست الخيام إنى آخذ الحياة بجديه والحياة تستحق هذا[٥].

كثيراً ما أشعر بالأسف لأننى لم أتخصص فى الأدب وجعلت الفلسة ضمن الثقافة العامة وليس العكس. أندم أيضاً لأنى لم أعشق السفر والترحال وإن لم يكن ضمن هواياتى المفضلة خصوصاً وأنى ضيعت فرصاً لاحصر لها لكى أجوب العالم كله مجاناً من أمريكا للهند ومن أوربا لروسيا سواء بحكم وظيفتى أو لكونى أديباً[٦].

أنا لا أكره السفر ولكنى لا أحب مجرد التفكير فى الخروج من مصر.. هذا التفكير يشقينى إلى أبعد حد مع العلم بأننى كنت سعيداً للغاية عندما سافرت هاتين الرحلتين(إلى يوغسلافيا واليمن) ومازالت يوغسلافيا تعيش فى ذاكرتى، وعندما كنت هناك لم أطلب العودة إلى مصر ولم اتعجلها بل على العكس إستمتعت كثيراً برحلتى[٧]،

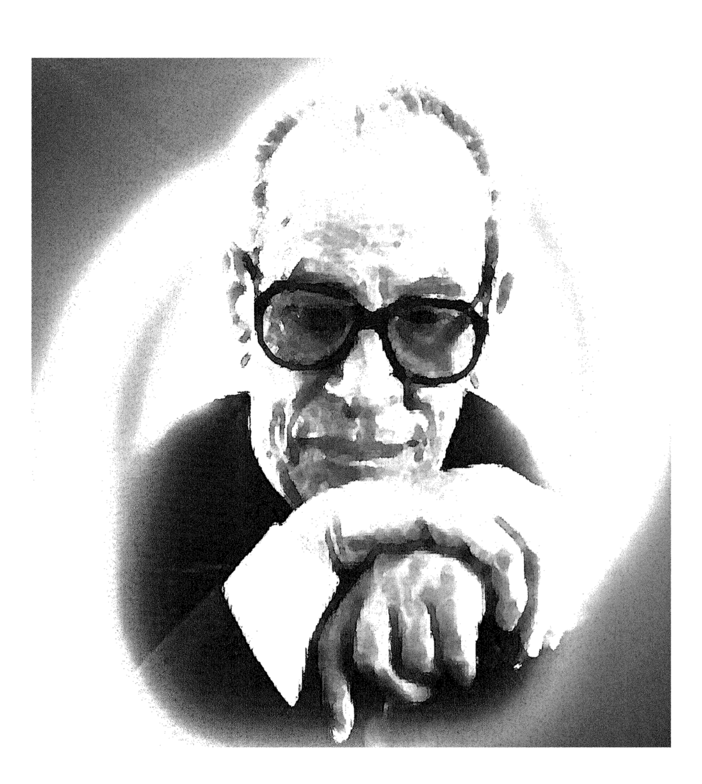
كذلك من عيوبى (إننى) إنطوائى أكثر من اللازم بالنسبة للمجتمع هذا رغم أننى كنت فى شبابى كثير التنقل والحركة، أميل للإنطواء من النوع الذى يحب من بعيد لبعيد فمثلاً عشقت طه حسين والعقاد والمازنى وهيكل وتوفيق الحكيم.. دون أن أفكر فى أى لقاء.. كذلك أم كلثوم وعبد الوهاب. الوحيد الذى تمنيت أن أراه ولم أستطع هو: سعد زغلول[٨]

(كذلك) التناقض بين الحلم والعصبية وبين الكرم والحرص[٩] .

دعاء لوطنى

كان لنا فى الماضى دعاء إلى الله كلما جاء شهر شعبان وكان يبدأ بهذه الكلمات: اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ياذا الجلال والإكرام، ثم تقول الدعاء الذى تريد، وإنى أشعر اليوم أن بى حاجة للتوجه بدعاء إلى الله يكون أساسه تيسير حياة الناس والتطور الديمقراطى الذى ولدته انتخابات الرئاسة الاخيرة سيجعل للشعب كلمة مسموعة ودوراً فى متابعة الإصلاحات المرجوة.

على أن إنتخابات الرئاسة وحدها لا تكمل التطور الديمقراطى الذى نتطلع إليه وإنما تكملها إنتخابات مجلس الشعب وإن جاءت نزيهة كما نتمنى أن تكون إنتخابات الرئاسة قد حققت المرجو منها ونقلتنا بغير رجعة إن شاء الله إلى وضع جديد يساير التطورالديمقراطى فى العالم والذى تخلفنا عنه طويلاً، وآن الأوان لهذه الأمة العريقة أن تلحق به[١٠] يأتى شهر رمضان المبارك هذا العام ونحن بين أمرين: تاريخ ملىء بالعطر والجمال والأناشيد الصوفية والسهر فى الفيشاوى حتى السحور وواقع أليم من جميع النواحى السياسية والإقتصادية والإدارية، لكن رمضان هو شهر التأمل، فلعله يكون هذه المرة باعثا على التفكير فى أحوالنا وتدبر أمورنا.



الإحتفال بعيد الميلاد:

هل يصح أن يقام إحتفال فى ظل الظروف التى تحيط بالعالم العربى والإسلامى فى الوقت الحالى؟ إن الظرف الذى نعيشه الآن فى العالم لا يسمح بالتفكير فى مثل هذا[١١].

عمرى ما احتفلت بعيد ميلادى، فنحن فى عائلتنا وتقاليدنا لا نعرف الإحتفال بعيد الميلاد وكنا فى الحرافيش قد إتفقنا أنه كلما جاء عيد ميلاد واحد منا نقيم عشاء ثم (زهقنا) إنما أنا عمرى ما قصدت أن أحتفل بعيد ميلادى بمعنى أن أتصل بناس كى يأتوا لزيارتى ونحتفل، لا شىء من هذا لكن ما يحدث أحياناً أن تنشر الصحف أخباراً عن يوم عيد ميلادى وهى كلها أخبار تخرج عن إرادتى،[١٢] لا كعكة ولا شمعة والصديق الذى يملك قلماً أو ريشة يقول لى: كل سنة وأنت طيب والدنيا بخير هذا سيكون محل تقدير أكثر من أي احتفالات لالزوم لها فى الوقت الحالى.

إنى أرى فى ذلك محافظة على القيمة، أما لو كتبوا المقالات والدراسات (فهى) تحية فى الحقيقة للأدب العربى، وأنا لذلك أتقبلها راضيا، كما أتقبل أيضاً ألا يقولوا فى ذلك اليوم شيئا على الإطلاق[١٣].

المصادر

المقدمة والتقديم

١ - من حوار لنجيب محفوظ إلى جريدة الأنباء الكويتية ١٨/ ١٢/ ١٩٨٨
٢ - من حوار مع د. مصطفي عبد الغني بأهرام ١٩٩٧/١٢/٧
٣ - نجيب محفوظ. محاورات قبل نوبل لأحمد هاشم الشريف - كتاب صباح الخير ١٩٨٩
٤ - نجيب محفوظ من القومية إلى العالمية - لفؤاد دواره - هيئة الكتاب ١٩٨٩
٥ - نجيب محفوظ دخل الـ٩٠ - إعداد احمد الشهاوي - نشرها في عدة حلقات بمجلة نصف الدنيا وهذه الفقرة من حلقة ٢٠٠١/١/١٤
٦ - استاذتي - لنجيب محفوظ - إبراهيم عبد العزيز - دار ميريت للنشر ٢٠٠٢
٧ - من حوار لمجلة الأداب البيروتية - يوليو ١٩٧٣ - نقلا عن كتاب (نجيب محفوظ سيرة ذاتية وأدبية) لحسين عيد - الدار المصرية اللبنانية - طبعة أولي - أكتوبر ١٩٩٧
٨ - من حواره لسلوى نعيم بمجلة (كل العرب) ٢٩/ ٢/ ١٩٨٨
٩ - من حواره لمجلة المصور ٢١/ ١٠/ ١٩٨٨
١٠ - السابق
١١ - من حواره لأسامة الرحيمي بأهرام ٢٠٠٣/١٢/٩
١٢ - السابق
١٣ - من حواره لسامح كريم بأهرام ١١/ ٢٠٠١/١٢
١٤ - السابق
١٥ - أهرام ٩/ ١٢/ ٢٠٠٣
١٦ - من حواره لجريدة الجمهورية ٢٩/ ١٩٨٤/١١
١٧ - نصف الدنيا ١٨/ ٢/ ٢٠٠١
١٨ - المصور - السابق
١٩ - نصف الدنيا - السابق
٢٠ - نصف الدنيا ٤/ ٢/ ٢٠٠١
٢١ - من حواره لمحمد سعد العوضي بمجلة أكتوبر ١٤/ ٨/ ١٩٨٨
٢٢ - نجيب محفوظ من القومية - السابق

طفولتي وصباي وأحلامي

١ - نصف الدنيا - الشهاوي - السابق
٢ - عصير حياتي - عبد التواب عبد الحي - الدار القومية للطباعة والنشر - ١/ ٩/ ١٩٦٦
٣ - من حواره لعادل ناشد - مجلة صباح الخير ١١/ ١٢/ ١٩٨٦
(*) صديقه
٤ - المصور - السابق
٥ - من حوار لكريمة الجبوري - بجريدة الدستور العراقية - ٢٢ تشرين الأول ٢٠٠٤
٦ - حوارات لنجيب محفوظ - لمحمد سلماوي - أهرام ٢٨/ ٦/ ٢٠٠١
٧ - المصور - السابق
٨ - نجيب محفوظ ومحمود السعدني في سهرة رمضانية - يوسف القعيد - المصور
٩ - من حواره لإسماعيل إبراهيم - بمجلة زهرة الخليج بالإمارات ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٠
١٠ - من حواره لمحمد سلماوي - بملحق أهرام الجمعة ١٥/ ١٢/ ٢٠٠
١١ - زهرة الخليج - السابق
١٢ - حوارات نجيب محفوظ - بأهرام ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٣
١٣ - الملحق - السابق
١٤ - السابق
١٥ - من حواره لمحمد هزاع بأهرام ٢/ ١١/ ٢٠٠٣
١٦ - الملحق - السابق
١٧ - من حواره مع زينب الباز بمجلة نصف الدنيا - ١٢/ ١٢/ ٢٠٠١
١٨ - الملحق السابق
١٩ - السابق
٢٠ - نصف الدنيا السابق
٢١ - الملحق - السابق
٢٢ - نصف الدنيا - السابق
٢٣ - حوارات نجيب .. أهرام ١٣/ ٢/ ٢٠٠٣
٢٤ - حوارات .. أهرام ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢
٢٥ - مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة - رشيد الزوادي - تونس ٢٠٠٣
٢٦ - نصف الدنيا - السابق
٢٧ - زهرة الخليج - السابق
٢٨ - الملحق - السابق
٢٩ - نصف الدنيا - السابق
٣٠ - السابق
٣١ - الملحق - السابق
٣٢ - أهرام ٢/ ١١/ ٢٠٠٣ - السابق
٣٣ - نصف الدنيا ١٨/ ٢/ ٢٠٠١
٣٤ - الأهرام - السابق
٣٥ - نصف الدنيا - السابق
٣٦ - الأهرام - السابق
٣٧ - المصور ٢١/ ١٠/ ١٩٨٨ - السابق
٣٨ - جريد (عكاظ) السعودية ٧/ ١/ ١٩٨٤
٣٩ - مجلة (الأقلام) نقلا عن كتاب (نجيب محفوظ) سيرة أدبية وذاتية - السابق
٤٠ - الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ - لعبد الرحمن أبو عوف - نقلا عن السابق
٤١ - الأقلام - السابق
٤٢ - الأهرام - السابق
٤٣ - من حواره مع عماد عبد الراضي

المصادر

- بأهرام ٣/ ٩/ ٢٠٠٣
٤٤ - من حواره لعلي المأذون بمجلة النصر
٤٥ - كل العرب - السابق
٤٦ - مجلة (الكواكب) ٢٤/ ٤/ ١٩٧٩
٤٧ - مقاهي نجيب محفوظ - السابق
٤٨ - أقدم لك حوارا مع أسماء لامعة - مفيد فوزي - كتاب روز اليوسف - ١٩٧٤
٤٩ - الأقلام - السابق
٥٠ - من حواره لمحمد الشناوي بجريدة - السياسي - ٢٠/ ٣/ ١٩٧٧
٥١ - نجيب محفوظ .. حياته وأدبه - نجيب فرج - نقلا عن نجيب محفوظ سيرة - السابق
٥٢ - السياسي - السابق
٥٣ - عصير حياتي - عبد التواب عبد الحي - الدار القومية للطباعة والنشر - ١/ ٩/ ١٩٦٦
٥٤ - صور حية .. مقابلات ضاحكة مع شخصيات عربية - جاذبية صدقي - الكتاب الذهبي لروز اليوسف - ابريل ١٩٦٣
٥٥ - من حواره لسلمي قاسم جوده - بمجلة آخر ساعة ٢/ ١١/ ١٩٨٨
٥٦ - من حواره مع قراء أخبار الأدب - أعدته بر كسام رمضان - ١٢/ ١٢/ ١٩٩٣
٥٧ - آخر ساعة - السابق
٥٨ - حوارات نجيب محفوظ - أهرام ١١/ ٥/ ١٩٩٥
٥٩ - من حواره مع صبري حافظ بمجلة (الآداب) مارس ١٩٧١ نقلا عن نجيب محفوظ سيرة - السابق
٦٠ - نجيب محفوظ من الجمالية إلي نوبل - د.غالي شكري - الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٨
٦١ - من حواره لعادل ناشد بمجلة صباح الخير ١١/ ١٢/ ١٩٨٦
٦٢ - من حواره لمفيد فوزي بصباح الخير ٨/ ٦/ ١٩٧٨
٦٣ - نجيب محفوظ من الجمالية - السابق
٦٤ - زهرة الخليج - السابق
٦٥ - أخبار الأدب - ياسر عبد الحافظ - ٨/ ١٢/ ١٩٩٦
٦٦ - من حواره لمحمد بهجت بأهرام ١٨/ ٥/ ٢٠٠١
٦٧ - من حواره لفؤاد دواره بمجلة الكاتب - يناير ١٩٦٣ - نقلا عن نجيب محفوظ سيرة - السابق
٦٨ - حوارات نجيب محفوظ - أهرام ١٢/ ٤/ ٢٠٠١

٦٩ - حوارات نجيب.. أهرام ١٩/ ٤/ ٢٠٠١
٧٠ - الكاتب - السابق
٧١ - أخبار الأدب - السابق
٧٢ - المصور - السابق
٧٣ - عصير حياتي - السابق
٧٤ - أساتذتي - السابق
٧٥ من حواره لمحمد بهجت - بأهرام ١٦/ ١٢/ ١٩٩٧
٧٦ - أهرام ٦/ ١٢/ ١٩٩٦ - السابق
٧٧ - أساتذتي - السابق
٧٨ - الأهرام - السابق
٧٩ - عصير حياتي - - السابق
٨٠ -صور حية - السابق
٨١ -أساتذتي -السابق
٨٢ - زهرة الخليج -السابق
٨٣ -الرجل والقمة -سامح كريم -نقلا عن نجيب ...سيرة -السابق
٨٤ -صور حية -السابق
٨٥ -صباح الخير -السابق
٨٦ -نصف الدنيا - ٤/ ٢/ ٢٠٠١
٨٧ -صور حية -السابق
٨٨ - زهرة الخليج - السابق
٨٩ -من حوره لمجلة صباح الخير
٩٠ -حوارات نجيب محفوظ...أهرام ١١/ ٥/ ١٩٩٥
٩١ -صباح الخير -السابق
٩٢ - نصف الدنيا
٩٣ - حوارات نجيب..أهرام ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٤
٩٤ - المصور - السابق
٩٥ -"الدستور" العراقية - السابق
٩٦ -المصور -السابق
٩٧ -من حواره مع علي بركة بأهرام ١٥/ ١/ ١٩٩٤
٩٨ -نجيب محفوظ ومحمود السعدنى فى سهرة -السابق
٩٩ - المصور - السابق
١٠٠ -من حواره مع سلوى العنانى -نقلا عن" مسيرة عبقرية..قراءة فى عقل نجيب محفوظ" - للدكتور مصري حنورة - مكتبة الانجلو المصرية - الطبعة الرابعة أغسطس ١٩٩٤.
١٠١ -كل العرب - السابق
١٠٢ -نجيب محفوظ...حوارات ما قبل نوبل - السابق

شبابى وجهاد نفسى

١ - أهرام ١٠/ ٣/ ١٩٨٨ نقلا عن مقالات نجيب محفوظ التى جمعها فتحى العشري فى عدة كتب صادرة عن الدار المصرية اللبنانية.
(*) سبب هذه التسمية انه كان مهتما أثناء رئاسته للوزارة بردم البرك والمستنقعات.
٢ - عصير حياتي -السابق

٣ - أقدم لك حوارا - السابق
٤ - حوارات نجيب -أهرام ٨/٧/٢٠٠٤
٥ - أساتذتي -السابق
٦ - من حواره لمحمد سلماوي بملحق أهرام الجمعة ١٧/٣/١٩٩٥
٧ - من حوار صحفي لنجيب محفوظ نقلا عن محمد جبريل بعالم الكتاب عدد يناير -مارس ١٩٩٠.
٨ - -من حواره لسلوى العناني بملحق أهرام الجمعة ١٧/٣/١٩٩٥.
٩ - -نجيب محفوظ من الجمالية -السابق
١٠ - ملحق أهرام الجمعة -السابق
١١ - عصير حياتي -السابق
١٢ - النصر -السابق
١٣ - عصير -السابق
١٤ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
١٥ - ملحق أهرام الجمعة - السابق
١٦ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
١٧ - مجلة الآداب - يوليو ١٩٧٣ نقلا عن نجيب محفوظ سيرة -السابق
١٨ - من حواره مع إبراهيم عبد العزيز -بأهرام ١٣/١٢/٢٠٠٢
١٩ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٢٠ - عصير -السابق
٢١ - حوارات نجيب محفوظ -بأهرام ١١/٣/٢٠٠٤
٢٢ - نصف الدنيا ١٤/١/٢٠٠١
٢٣ - ملحق أهرام الجمعة -السابق
٢٤ - نصف الدنيا -١٧/١٢/٢٠٠٠
٢٥ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٢٦ - عصير -السابق
٢٧ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٢٨ - صالون نجيب محفوظ -أهرام ٢٣/١٠/١٩٨٨
٢٩ - حوارات نجيب -أهرام ١١/٧/٢٠٠٢
٣٠ - أهرام ٩/١٢/٢٠٠٣ - السابق
٣١ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٣٢ - ملحق أهرام الجمعة -١٧/٣/١٩٩٥
٣٣ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٣٤ - من حواره لمحمد شعير بأخبار الأدب -٣/١٢/٢٠٠٠
٣٥ - أقدم لك حوارا - السابق
٣٦ - الأهرام -السابق
٣٧ - من حواره مع مأمون غريب بآخر ساعة
٣٨ - ملحق أهرام الجمعة - السابق
٣٩ - أقدم لك حوارا -السابق
٤٠ - عصير السابق
٤١ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٤٢ - نجيب محفوظ من الجمالية -السابق
٤٣ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٤٤ - عصير -السابق
٤٥ - نجيب محفوظ وحرافيش الإسكندرية -آخر ساعة ١٠/٨/١٩٩٤
٤٦ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٤٧ - حوارات نجيب..أهرام ٨/٧/٢٠٠٤
٤٨ - حوارات نجيب..أهرام ٢٠/٩/٢٠٠١
٤٩ - حوارات..أهرام ٢٢/٨/٢٠٠٢
٥٠ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٥١ - الأهرام -السابق
٥٢ - كل العرب -السابق
٥٣ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٥٤ - صباح الخير -السابق
٥٥ - أهرام ١١/١٢/٢٠٠١ - السابق
٥٦ - نجيب محفوظ يلتقي بزملاء الجامعة -إبراهيم عبد العزيز -نصف الدنيا ٥/١٢/٢٠٠٤
٥٧ - الأهرام -السابق
٥٨ - نصف الدنيا السابق
٥٩ - حوارات نجيب..أهرام ١/٨/٢٠٠٢
٦٠ - نصف الدنيا السابق
(*)الاستدراك لسامح كريم
٦١ - أهرام ١١/١٢/٢٠٠١ - السابق
٦٢ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٦٣ - حوارات نجيب..أهرام -٢٦/٩/٢٠٠٢
٦٤ - من حواره" للأنباء" الكويتية -٤/١٢/١٩٨٨
٦٥ - نجيب محفوظ من القومية -السابق
٦٦ - من حديثه لمجلة الوطن العربي -العدد١٣٤٨.
٦٧ - أقدم لك حوارا - السابق
٦٨ - نجيب محفوظ من الجمالية -السابق
٦٩ - من حواره لصباح الخير -١٢/١٠/١٩٧٨
٧٠ - من حواره لنادية صالح ببرنامج زيارة لمكتبة فلان -بالبرنامج العام ١١/١٢/١٩٦٩.
٧١ - من حواره"للكواكب"٢٩/٧/١٩٥٨
٧٢ - مكتبة فلان -السابق
٧٣ - من حواره لعصام عبد الله بمجلة القاهرة ١٥/٩/١٩٨٧.
٧٤ - من حواره لكمال الملاخ بمجلة "الاقتصادي" ٨/١٢/١٩٨٦
٧٥ - صباح الخير -السابق
٧٦ - الاقتصادي -السابق
٧٧ - صباح الخير -السابق
٧٨ - الاقتصادي -السابق
٧٩ - القاهرة - السابق
٨٠ - الكوكب -السابق
٨١ - مكتبة فلان - السابق
٨٢ - حوارات نجيب ..أهرام ٢٠/٤/٢٠٠٠
٨٣ - القومية - السابق
٨٤ - أساتذتي - السابق
٨٥ - من حواره لحلمي النمنم -١/١٢/١٩٩٢ - المصور

٨٦ – نصف الدنيا – ٢٤/١٢/٢٠٠٠
٨٧ – المصور – السابق
(*) صباح الخير – عادل ناشد
٨٨ – أهرام ٦/١٢/١٩٩٦
٨٩ – من حواره للسياسة – الكويتية – ٢٣/٥/١٩٨٤
٩٠ – المصور – السابق.
٩١ – الأهرام – السابق
٩٢ – المصور –السابق
٩٣ – حوارات نجيب محفوظ – لمحمد سلماوى.
٩٤ – المصور –السابق
٩٥ – صباح الخير – السابق
٩٦ – نصف الدنيا ١٤/١/٢٠٠١
٩٧ – صباح الخير – السابق
٩٨ – ملحق أهرام الجمعة ٦/١٢/١٩٩٦ – السابق
٩٩ – القومية – السابق
١٠٠ – من حواره لملحق "الزهور" بمجلة الهلال – سبتمبر ١٩٨٦ – نقلا عن نجيب محفوظ سيرة – السابق
١٠١ – مجلة فصول يناير/ مارس ١٩٨٢ – نقلا عن السابق.
١٠٢ – القومية – السابق.
١٠٣ – أخبار الأدب ٨/١٢/١٩٩٦ – السابق.
١٠٤ – من حواره لأسامة عرابي بجريدة" العربي "الناصري ١٤/١٢/٢٠٠٣ .
١٠٥ – القومية – السابق
١٠٦ – نجيب محفوظ و ضيوفه فى الأهرام – ١١/١١/١٩٨٨.
١٠٧ – نصف الدنيا – السابق.
١٠٨ – من حواره لسمير طنطاوى بجريدة "الشعب" ١/١١/١٩٨٨.
١٠٩ – الأهرام – السابق
١١٠ – نصف الدنيا – السابق
١١١ – الأهرام –السابق
١١٢ – حوارات نجيب – أهرام ٩/١/٢٠٠٣
١١٣ – القومية –السابق
١١٤ – حوارات – السابق
١١٥ – حوارات نجيب بأهرام ١١/٣/٢٠٠٤
١١٦ – حوارات ٩/١ –السابق
١١٧ – حوارات ١١/٣/٢٠٠٤ السابق
١١٨ – حوارات ١٦/١/٢٠٠٣ – الأهرام
١١٩ – العربي – السابق
١٢٠ – أهرام ١١/١١/١٩٨٨ – السابق
١٢١ – أهرام ١١/٣/٢٠٠٤
١٢٢ – من حواره لسعد طعيمة بجريدة" الميدان " ١١/١٢/٢٠٠١
١٢٣ – عصير – السابق
١٢٤ – القومية –السابق
١٢٥ – عصير – السابق
١٢٦ – من كتاب – مع نجيب محفوظ – لأحمد محمد عطية –نقلا عن نجيب محفوظ – سيرة – السابق
١٢٧ – من حواره لمجلة فصول –عدد خاص عن القصة القصيرة – نقلا عن السابق.
١٢٨ – الرؤى المتغيرة – السابق.
١٢٩ – من حواره لعادل ناشد – صباح الخير ١١/١٢/١٩٨٦
١٣٠ – أقدم لك حوارا – السابق
١٣١ – أساتذتي – السابق
١٣٢ – أخبار الأدب – السابق
١٣٣ – الآداب – يوليو١٩٧٣ –السابق.
١٣٤ – ملحق أهرام ٦/١٢/١٩٩٦
١٣٥ – نجيب محفوظ في أحاديث البحر – لمصطفى عبد الله –أخبار الأدب ٢٣/١٠/١٩٩٤
١٣٦ – الدستور – السابق
١٣٧ – صباح الخير – السابق
١٣٨ – الملحق – السابق
١٣٩ – أقدم لك حوارا – السابق
١٤٠ – عصير – السابق
١٤١ – القومية – السابق
١٤٢ – عصير – السابق
١٤٣ – عالم الكتاب – السابق
١٤٤ – الآداب – يونيو ١٩٦٠ – نقلا عن نجيب سيرة – السابق
١٤٥ – الرؤى المتغيرة – السابق
١٤٦ – عصير – السابق
١٤٧ – القومية – السابق
١٤٨ – نجيب محفوظ من الجمالية – السابق
١٤٩ – أساتذتي – السابق
١٥٠ – نجيب محفوظ من الجمالية – السابق
١٥١ – أساتذتي – السابق
١٥٢ – القومية – السابق
١٥٣ – من حواره لإلهام شعبان بأهرام ٩/٣/٢٠٠٣
١٥٤ – السابق
١٥٥ – أخبار الأدب ١٢/١٢/١٩٩٣
١٥٦ – حوارات نجيب محفوظ – أهرام ١١/٥/١٩٩٥
١٥٧ – أخبار الأدب – السابق
١٥٨ – الأهرام – السابق
١٥٩ – صباح الخير
١٦٠ – الأهرام – السابق
١٦١ – من حواره لمأمون غريب بمجلة آخر ساعة ٩/١١/١٩٨٨
١٦٢ – السياسي – السابق
١٦٣ – الآداب – يوليو ١٩٧٣ – السابق
١٦٤ – السابق
١٦٥ – حوارات نجيب – أهرام ١٨/٣/٢٠٠٤
١٦٦ – نجيب محفوظ من الجمالية – السابق
١٦٧ – من حواره مع 'ماتياس رافيدي" الشاعر والكاتب والملحق الثقافي بسفارة

تشبلي – بمجلة
صباح الخير – ١٥/ ٨/ ١٩٩١
١٦٨ – حوارات نجيب محفوظ – لمحمد سلماوي – أهرام ٥/ ٦/ ٢٠٠٠
١٦٩ – عصير – السابق
١٧٠ – أهرام ١٦/ ١٢/ ١٩٩٧ – السابق
١٧١ – عصير – السابق
١٧٢ – العربي – السابق
١٧٣ – ملحق أهرام الجمعة ٦/ ١٢/ ١٩٩٦ السابق
١٧٤ – الوطن العربي – السابق
١٧٥ – المصور – السابق
١٧٦ – القومية – السابق
١٧٧ – نجيب محفوظ من الجمالية – السابق
١٧٨ – أخبار الأدب – ٣/ ١٢/ ٢٠٠٣ السابق
١٧٩ – من حواره إلى رجب حسن رجب بمجلة عالم الكتاب – السابق
١٨٠ – نجيب محفوظ بأهرام ٧/ ٧/ ١٩٩٤
١٨١ – كتاب (نجيب محفوظ يقول) لرجب حسن – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣
١٨٢ – من حواره لأسامة السعيد بمجلة الشباب – مارس ٢٠٠١
١٨٣ – القومية – السابق
١٨٤ – الجمالية – السابق
١٨٥ – المجالس المحفوظية لجمال الغيطاني – أخبار الأدب ٨/ ١٢/ ١٩٩٦
١٨٦ – حوارات نجيب بالأهرام
١٨٧ – أخبار الأدب السابق
١٨٨ – مجلة – المجلة – يناير ١٩٦٣ – نقلاً عن نجيب سيرة – السابق
١٨٩ – من حواره لعادل ناشد – بصباح الخير
١٩٠ – عالم الكتاب – السابق
١٩١ – من حواره لجريدة 'المساء" ٢٨/ ٢/ ١٩٨٥
١٩٢ – نصف الدنيا ١٨ فبراير ٢٠٠١
١٩٣ – حوارات نجيب محفوظ – لمحمد سلماوي – أهرام ١٥/ ٨/ ١٩٩٦
١٩٤ – من حواره لمحمد بهجت بملحق الأهرام (أيامنا الحلوة) ١٨/ ٥/ ٢٠٠١

أنا والثورة وعبد الناصر

١ – أهرام ٢٢/ ٣/ ١٩٧٦
٢ – مجلة الطليعة – يناير ١٩٧٣ – نقلاً عن نجيب سيرة – السابق
٣ – نجيب محفوظ يقول – السابق
٤ – نصف الدنيا ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٠
٥ – حوارات نجيب محفوظ – لمحمد سلماوي – أهرام ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٢
٦ – ملحق أهرام الجمعة السابق
٧ – من حواره لعبد الرحمن أبو عوف بمجلة الإذاعة والتليفزيون
٨ – من حواره لرضا هلال بأهرام ١٠/ ٧/ ٢٠٠٢
٩ – الجمهورية – السابق
١٠ – المصور – السابق
١١ – من حواره لماجدة الجندي بمجلة الأهرام العربي ١٨/ ٧/ ١٩٩٨
١٢ – حوارات نجيب .... أهرام ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٤
١٣ – نصف الدنيا ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٠
١٤ – السياسي – السابق
١٥ – نصف الدنيا ١١/ ٣/ ٢٠٠١
١٦ – من حواره لزينب منتصر بروز اليوسف ٢٤/ ١٢/ ١٩٨٨
١٧ – نجيب محفوظ حياته وأدبه – السابق
١٨ – حوارات نجيب محفوظ – أهرام ٥/ ٩/ ٢٠٠٢
١٩ – نجيب محفوظ من الجمالية – السابق.
٢٠ – من حواره مع عادل رضا بمجلة آخر ساعة ١٩/ ١٠/ ١٩٨٨
٢١ – أهرام ٢٨/ ٦/ ١٩٨٥
٢٢ – من حواره لمجلة الحوادث اللبنانية ١٢/ ٣/ ١٩٧٦
٢٣ – آخر ساعة – السابق
٢٤ – الجمالية – السابق
٢٥ – نصف الدنيا – السابق
٢٦ – الجمالية – السابق
٢٧ – من حواره مع إبراهيم عبد العزيز ٢/ ١٢/ ١٩٨٩
٢٨ – ملحق أهرام الجمعة ١٧/ ٣/ ١٩٩٥ – السابق
٢٩ – من حديثه لسيد خميس بجريدة القاهرة ١١/ ١٢/ ٢٠٠١
٣٠ – من حواره لمحمد شويقة بمجلة الإذاعة والتلفزيون
٣١ – من كتاب نجيب محفوظ .. 'وطني مصر – لمحمد سلماوي – مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠
٣٢ – أهرام ٢/ ٢/ ١٩٨٢
٣٣ – مجلة الحوادث – السابق.
٣٤ – أهرام ٢٢/ ٤/ ١٩٨٢
٣٥ – أخبار الأدب ٧/ ١٢/ ٢٠٠٣
٣٦ – نجيب محفوظ.... محاورات قبل نوبل – السابق

مفاجأة السادات

١ – أهرام ٢٢/ ٤/ ١٩٨٢ – السابق
٢ – المصور – السابق
٣ – الجمالية – السابق
٤ – نجيب محفوظ من القومية – السابق
٥ – كتاب – مسيرة عبقرية.. قراءة في عقل نجيب محفوظ – للدكتور مصري حنورة – الطبعة الرابعة ١٩٩٤ – مكتبة

المصادر

الأنجلو المصرية
٦ - مجلة أكتوبر - عدد ٦ أكتوبر ١٩٩٨
٧ - القومية - السابق
٨ - من حواره لمجلة الشباب - مايو ١٩٨٩ (إجابات على أسئلة القراء - إعداد راوية سالم)
٩ - الجمالية - السابق
١٠ - الشباب - السابق
١١ - الجمالية - السابق
١٢ - حوارات - أهرام ٢٢/٧/٢٠٠٤
١٣ - القومية - السابق
١٤ - محاورات قبل نوبل - السابق
١٥ - من حواره إلى عبد الستار الطويلة وعبد الرحمن شاكر - بمجلة روزاليوسف ١٢/٢/١٩٧٦
١٦ - الأهرام العربي - السابق
١٧ - أهرام ٢/٢/١٩٨٢ - السابق
١٨ - المصور - السابق
١٩ - وطني مصر - لسلماوي - السابق
٢٠ - من حواره لإبراهيم عبد العزيز بمجلة الإذاعة والتليفزيون - ٤/١٠/٢٠٠٣
٢١ - الإذاعة - شويقة - السابق
٢٢ - الإذاعة - أبو عوف - السابق
٢٣ - صباح الخير - السابق
٢٤ - الإذاعة - السابق
٢٥ - الإذاعة - شويقة - السابق
٢٦ - الجمالية - السابق
٢٧ - الأهرام - السابق
٢٨ - الإذاعة ٤/١٠/٢٠٠٣ - السابق
٢٩ - يوميات نجيب محفوظ مع الحرافيش - إبراهيم عبد العزيز - مجلة الإذاعة والتليفزيون - ٢٩/١٠/٢٠٠٥

كيف أكتب؟

١ - نصف الدنيا ٤/٢/٢٠٠١
٢ - الإذاعة - شويقة - السابق
٣ - كل العرب - السابق
٤ - من حواره لماجدة الجندي - صباح الخير - ١١/١٢/١٩٨٦
٥ - نصف الدنيا - ٢٥/٣/٢٠٠١
٦ - الإذاعة - شويقة - السابق
٧ - نصف الدنيا - ١١/٣/٢٠٠١
٨ - كل العرب - السابق
٩ - نصف الدنيا - السابق
١٠ - الجمالية - السابق
١١ - من حواره مع عماد الغزالي لجريدة الوفد - ٢٧/١٠/١٩٩٥
١٢ - من حواره مع إبراهيم عبد العزيز لمجلة الإذاعة والتليفزيون - ١٦/١٢/١٩٩٥
١٣ - جريدة المساء - ٢٨/٢/١٩٨٥
١٤ - الجمالية - السابق
١٥ - الأهرام - ١٦/١٢/١٩٩٧
١٦ - عصير حياتي - السابق
١٧ - المصور - السابق
١٨ - القومية - السابق
١٩ - الجمالية - السابق
٢٠ - المصور -السابق
٢١ - الجمالية - السابق
٢٢ - الإذاعة - شويقة - السابق
٢٣ - الآداب - يونيو ١٩٦٠ - نقلاً عن نجيب محفوظ سيرة - السابق
٢٤ - صباح الخير - السابق
٢٥ - أكتوبر - ١٤/٨/١٩٨٨ - السابق
٢٦ - صباح الخير - السابق
٢٧ - نصف الدنيا - ١٤/١/٢٠٠١
٢٨ - نجيب محفوظ - سيرة - السابق
٢٩ - صباح الخير - السابق
٣٠ - مسيرة عبقرية - السابق
٣١ - حوارات نجيب محفوظ - الأهرام - ٢٠/١١/٢٠٠٣
٣٢ - نصف الدنيا - ٢٤/١٢/٢٠٠٠
٣٣ - حوارات نجيب - الأهرام ١١/٧/٢٠٠٢
٣٤ - نصف الدنيا - ١١/٣/٢٠٠١
٣٥ - نصف الدنيا - ٢٤/١٢/٢٠٠٠
٣٦ - حوارات - السابق
٣٧ - الأنباء - ١٢/١٢/١٩٨٨ - السابق
٣٨ - نصف الدنيا ١٨/١/٢٠٠١
٣٩ - من حواره لمحمود صالح بجريدة "الخميس" ٢٣/١١/٢٠٠٠
٤٠ - القومية - السابق
٤١ - أقدم لك حواراً - السابق
٤٢ - نصف الدنيا ٩/٥/٢٠٠٤
٤٣ - من حواره لحمدي رزق بمجلة المصور - بمناسبة عيد ميلاد نجيب محفوظ الـ٩١
٤٤ - نصف الدنيا - السابق
٤٥ - حوارات نجيب بأهرام ٢٩/٤/٢٠٠٤
٤٦ - نصف الدنيا ٦/١٠/٢٠٠٢
٤٧ - نجيب محفوظ من القومية إلى العالمية - فؤاد دوارة - السابق
٤٨ - نصف الدنيا ١٨/٢/٢٠٠١
٤٩ - مسيرة عبقرية - السابق
٥٠ - نصف الدنيا - السابق
٥١ - حوارات نجيب - أهرام ٢٥/١١/٢٠٠٤
٥٢ - نصف الدنيا ١٤/١/٢٠٠١
٥٣ - صباح الخير - السابق
٥٤ - نصف الدنيا ١٨/٢/٢٠٠١
٥٥ - مسيرة - السابق
٥٦ - الإذاعة - السابق
٥٧ - نصف الدنيا - السابق
٥٨ - الإذاعة - السابق
٥٩ - أهرام ٧/١٢/١٩٩٣ - السابق
٦٠ - مسيرة - السابق
٦١ - القومية - السابق
٦٢ - نصف الدنيا ٤/٢/٢٠٠١

٦٣ - من حواره لأسامة عرابي بمجلة إبداع - العدد الأول - الثالث: يناير - مارس ٢٠٠٢
٦٤ - الإذاعة - أبو عوف - السابق
٦٥ - أقدم لك حواراً - السابق
٦٦ - من حواره لمأمون غريب بأخبار الأدب - ٢٢/١٠/١٩٩٥
٦٧ - مسيرة - السابق
٦٨ - صباح الخير - ناشد - السابق
٦٩ - الإذاعة - السابق
٧٠ - أخبار الأدب - السابق
٧١ - أكتوبر - السابق
٧٢ - المصور - السابق
٧٣ - الجمالية - السابق
٧٤ - المصور - السابق
٧٥ - القومية - السابق
٧٦ - نصف الدنيا ١٤/١/٢٠٠١
٧٧ - نصف الدنيا ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠١
٧٨ - الجمالية - السابق
٧٩ - عصير حياتي - السابق
٨٠ - الجمالية - السابق
٨١ - من حواره إلى عبد النور خليل - الكواكب - ٧/٨/١٩٦٢.
٨٢ - كل العرب - السابق
٨٣ - المصور - السابق
٨٤ - من حواره لناهد عز العرب بمجلة الإذاعة و التلفزيون
٨٥ - إبداع - السابق
٨٦ - أهرام - ١٩/١٢/٢٠٠١
٨٧ - إبداع - السابق
٨٨ - من حواره لإبراهيم عبد العزيز بمجلة الإذاعة - ٢٠/٩/١٩٨٦
٨٩ - إبداع - السابق
٩٠ - ملحق أهرام الجمعة٦/١٢/١٩٩٦ - السابق
٩١ - من حوار الجريدة النقاد - ١٠/١٢/ ٢٠٠٤
٩٢ - ملحق - السابق
٩٣ - الكواكب ٢٥/١٠/١٩٨٨
٩٤ - القومية - السابق
٩٥ - إبداع - و - المصور - السابق
٩٦ - المصور - السابق
٩٧ - أهرام ٢٣/١٢/١٩٩٧

خلاصة تجربتي في الوظيفة

١ - وجهة نظر - نجيب محفوظ - بالأهرام
٢ - أقدم لك حوارا - السابق
٣ - محاورات - السابق
٤ - مجلة الإذاعة و التلفزيون ١٧/ ١١/ ٢٠٠٥
٥ - الإذاعة - أبو عوف - السابق
٦ - أقدم لك حوارا - مفيد فوزي - السابق
٧ - وجهة نظر - نجيب محفوظ - بالأهرام
٨ - أقدم لك حوارا - السابق

أصدقائي

١ - أصداء السيرة الذاتية
٢ - أقدم لك - السابق
٣ - آخر ساعة - السابق
٤ - صباح الخير - ماجدة - السابق
٥ - المصور - السابق
٦ - أقدم لك - السابق
٧ - مقاهي نجيب محفوظ - السابق
٨ - أقدم لك - السابق
٩ - الكواكب ٧/٨/١٩٦٢ - السابق

زواجي

١ - أصداء السيرة الذاتية - السابق.
٢ - أخبار الأدب ١٢/١٢/١٩٩٣
٣ - من حواره لنبيل أباظة - بأخبار اليوم ١٩/١١/١٩٨٨
٤ - كل العرب - السابق
٥ - أخبار اليوم - السابق
٦ - روز اليوسف - زينب - السابق
٧ - كل العرب - السابق
٨ - الأنباء الكويتية٤/ ١٢/ ١٩٨٨
٩ - من حواره مع سعاد زهير بروز اليوسف ١٩/٧/١٩٦٥.
١٠ - نصف الدنيا ٢٥/ ٣/ ٢٠٠١
١١ - من حواره مع إسماعيل إبراهيم بجريدة صوت الأزهر - ٥/١/٢٠٠١
١٢ - نصف الدنيا ١٤/١/٢٠٠١
١٣ - صوت الأزهر - السابق
١٤ - من حواره لعادل الألفي بمجلة الشباب - يونيو ٢٠٠٥
١٥ - صوت الأزهر - السابق
١٦ - المصور - السابق
١٧ - الشباب - السابق

جائزة نوبل

١ - أهرام ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٣
٢ - ٢/٧/١٩٩٩ - نقلا عن نصف الدنيا
٣ - نجيب محفوظ من القومية - دوارة - السابق
٤ - المصور - السابق
٥ - نصف الدنيا ١١/ ٣/ ٢٠٠٢
٦ - الكواكب - السابق
٧ - نصف الدنيا١٤/ ١/ ٢٠٠١
٨ - أخبار الأدب - السابق
٩ - نصف الدنيا ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٠
١٠ - من حواره لمصطفى عبد الغني - بأهرام ١٤/ ١٠/ ١٩٨٨
١١ - روز اليوسف - السابق
١٢ - أخبار الأدب - السابق

المصادر

١٣ – آخر ساعة – عادل – السابق
١٤ – نصف الدنيا١٤/١/ ٢٠٠١
١٥ – الدستور – العراقية – السابق
١٦ – نصف الدنيا – السابق
١٧ – الدستور – السابق
١٨ – آخر ساعة – السابق
١٩ – المصور – السابق
٢٠ – الأهرام السابق
٢١ – الإذاعة و التلفزيون ١٦/ ١٢/ ١٩٩٥
٢٢ – المصور – السابق
٢٣ – الإذاعة – السابق
٢٤ – المصور – السابق
٢٥ – الإذاعة – السابق
٢٦ – المصور – السابق
٢٧ – الأهرام – السابق
٢٨ – المصور – السابق
٢٩ – الدستور – السابق
٣٠ – صباح الخير ٢٧ أكتوبر ١٩٨٨
٣١ – أهرام ١١/ ١٢/ ٢٠٠١ – السابق
٣٢ – حوارات نجيب محفوظ – لسلماوي – أهرام ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٤
٣٣ – حوارات نجيب – أهرام٦/ ٩/ ٢٠٠١
٣٤ – الإذاعة و التلفزيون ٢٢/ ١٠/ ١٩٨٨
٣٥ – المصور – السابق
٣٦ – أهرام ١٥/ ١٠/ ١٩٨٨
٣٧ – أقدم لك حوارا – السابق
٣٨ – الأهرام – السابق
٣٩ – الإذاعة – السابق
٤٠ – من حواره لسيد عبد القادر – بآخر ساعة ١٩/ ١٠/ ١٩٨٨
٤١ – الإذاعة – السابق
٤٢ – صباح الخير – ناشد – السابق
٤٣ – الإذاعة – السابق
٤٤ – من حواره لإبراهيم عبد العزيز
٤٥ – الأهرام
٤٦ – مسيرة عبقرية – السابق
٤٧ – أهرام ١٥/ ١٠/ ١٩٨٨
٤٨ – مسيرة –السابق
٤٩ – نصف الدنيا –٤/ ٢/ ٢٠٠١
٥٠ – صباح الخير – السابق
٥١ – نصف الدنيا ١٤/ ١/ ٢٠٠١
٥٢ – نصف الدنيا١٨/ ٢/ ٢٠٠١
٥٣ – القومية – السابق
٥٤ – السياسة – الكويتية ٢٣/ ٥/ ١٩٨٤
٥٥ – من حواره مع محمد هزاع بأهرام ٨/ ١٢/ ٢٠٠٢
٥٦ – من حواره لإبراهيم عبد العزيز – السابق
٥٧ – صباح الخير – السابق
٥٨ – حوارات – بأهرام ٦/ ٧/ ٢٠٠١
٥٩ – من حواره لسهام ذهني – بصباح الخير
٦٠ – من حواره ليوسف القعيد بالمصور ٢٧/ ١١/ ١٩٩٨
٦١ – حوارات نجيب – أهرام ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٤
٦٢ – صباح الخير – السابق
٦٣ – حوارات – السابق
٦٤ – نصف الدنيا ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٠
٦٥ – صباح الخير – السابق
٦٦ – نصف الدنيا –السابق
٦٧ – صباح الخير – السابق
٦٨ – الوفد – ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨
٦٩ – وطني مصر – السابق
٧٠ – المصور ٢١/ ١٠/ ١٩٨٨ – السابق
٧١ – وطني – السابق
٧٢ – أقدم لك حوارا – السابق

ماذا يبقى ؟

١. نصف الدنيا ٢٨/ ١/ ٢٠٠١
٢. حوارات – أهرام ١٣/ ١٢/ ٢٠٠١
٣. حوارات – أهرام ١٢/ ٩/ ٢٠٠٢
٤. القومية – السابق
٥. المساء – السابق
٦. آخر ساعة – السابق
٧. من حواره مع ضياء الدين بيبرس بمجلة الهلال – فبراير ١٩٧٠
٨. صوت الأزهر – السابق
٩. أساتذتي – السابق

أرذل العمر

١ – من حواره لعادل ناشد بصباح الخير ١١/ ١٢/ ٢٠٠١
٢ – أساتذتي – السابق
٣ – وطني مصر – السابق
٤ – نصف الدنيا ٦/ ١٠/ ٢٠٠٠
٥ – أقدم لك حوارا – السابق
٦ – صباح الخير
٧ – المصور – السابق
٨ – صباح الخير – السابق
٩ – من حواره مع إيمان نور – بجريدة الأخبار ١٠/ ١٢/ ١٩٨٦
١٠ – حوارات ٦/ ١/ ٢٠٠٥
١١ – حوارات نجيب محفوظ
١٢ – نصف الدنيا
١٣ – حوارات – ١٨/ ١٠/ ٢٠٠١

الكاتب فى سطور



إبراهيم عبد العزيز - صحفي بمجلة الإذاعة و التلفزيون

له عدد من المؤلفات الأدبية هي: -

١ - رحلة في عقول مصرية - (هيئة الكتاب)

٢ - رسائل خاصة جدا - (كتاب اليوم)

٣ - الملف الشخصي لتوفيق الحكيم - (دار المعارف)

٤ - يحيى حقي 'ذكريات مطوية" (مشترك مع نهى حقي)

٥ - رسائل يحيى حقي إلى ابنته (مشترك مع نهى حقي) الطبعة الثانية - مكتبة الأسرة

٦ - أوراق مجهولة للدكتور طه حسين - (دار المعارف)

٧ - أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم" الطبعة الثانية - مكتبة الأسرة

٨ - أشعار توفيق الحكيم (دار قباء)

٩ - رسائل طه حسين (دار ميريت) - الطبعة الثانية - مكتبة الأسرة

١٠ - في براح الفكر - كتاب لم ينشر للسندباد - (المجلس الأعلى للثقافة)

١١ - أساتذتي لنجيب محفوظ (دار ميريت)

١٢ - تراث طه حسين - المقالات الإسلامية و الأدبية (دار الكتب و الوثائق)

١٣ - رصاصة في قلبين .. لتوفيق الحكيم - مسرحية لم تنشر (دار الشروق) - ٢٠٠٥

١٤ - أنا نجيب محفوظ.. سيرة ذاتية - (المجلس القومي للشباب - الإدارة المركزية للطلائع) - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦


الادارة المركزية للطلائع

ماذا تعرف عن الإدارة المركزية للطلائع بوزارة الشباب؟

تعمل الإدارة المركزية للطلائع بوزارة الشباب على مواكبة السياسة العامة للدولة بتوجيه الإهتمام للنشء والطلائع باعتبارهم أبناء الحاضر و رجال المستقبل و أمل مصر المشرق ، وذلك من خلال توسيع قاعدة الممارسين من الطلائع للأنشطة المختلفة الثقافية ، الرياضية ، الفنية ، البيئية والتي يتم تنفيذها بمراكز الشباب المنتشرة بالمدن والقرى والنجوع بمختلف محافظات الجمهورية والإكتشاف المبكر للموهوبين في هذه الأنشطة ورعايتهم وإشراك المتميزين منهم في الإحتفالات والمناسبات القومية وتمثيل مصر في المحافل العربية والدولية .

هذا بالإضافة إلى التعاون مع عدد من الوزارات والمؤسسات والجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، وتسعى إلى دمج فئات المجتمع من النشء والطلائع مع أقرانهم من ذوي الإحتياجات الخاصة من أجل دعم العلاقات الأخوية بينهم لخلق مجتمع متماسك و مترابط

ولمزيد من المعلومات يمكن زيارة موقع طلائع مصر على شبكة الأنترنت وهو www.pioneersegypt.com

الإصدارات القادمة

